

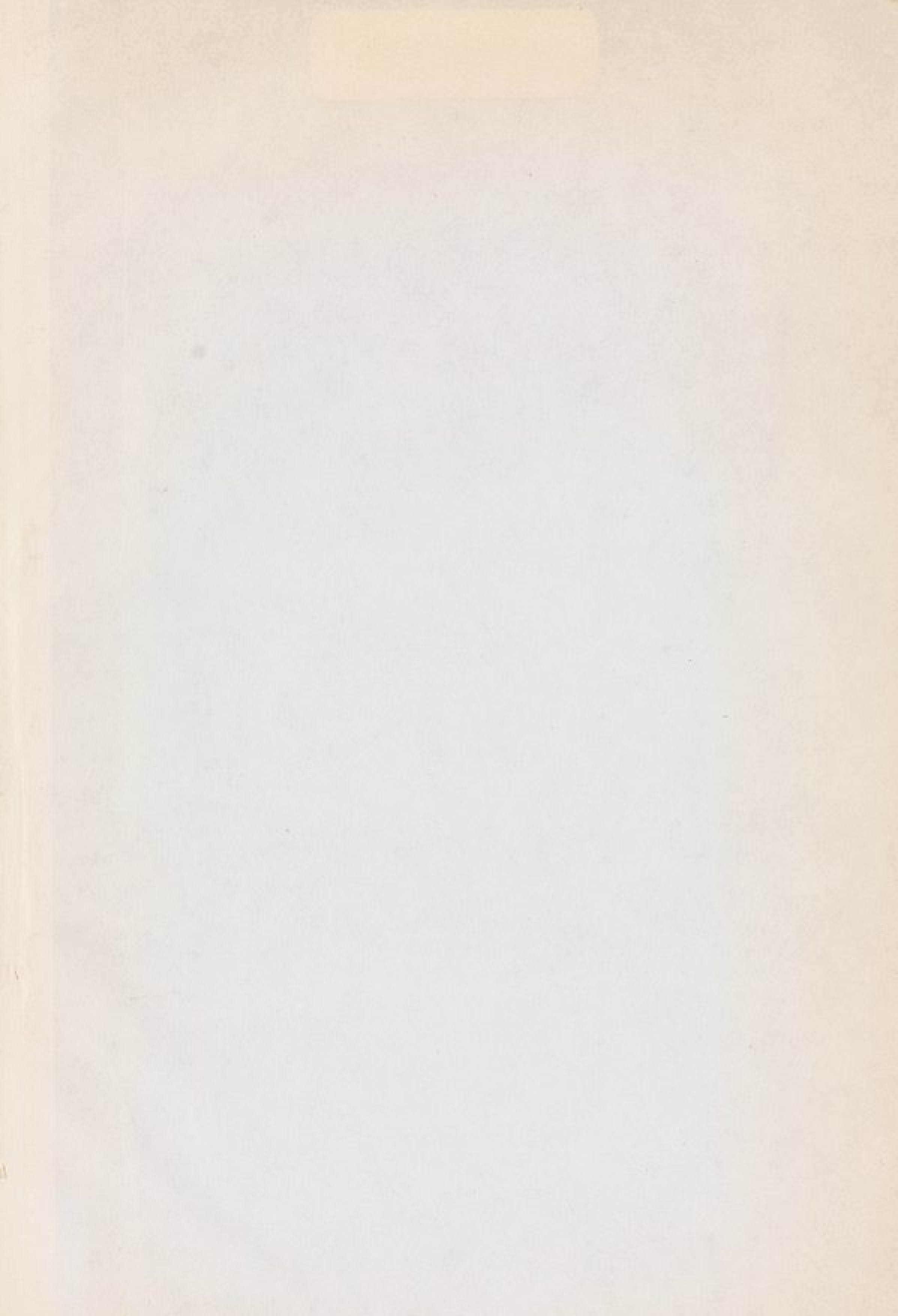
DATE	ISSUED TO
OCT 31 '68	BINDERY

2274.79996.3885 v.1
al-Sāmarrā'i
Tārīkh madīnat Sāmarrā'

DATE	ISSUED TO
OCT 31 '68	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 074323070



يونس الشيخ ابراهيم السامرائي

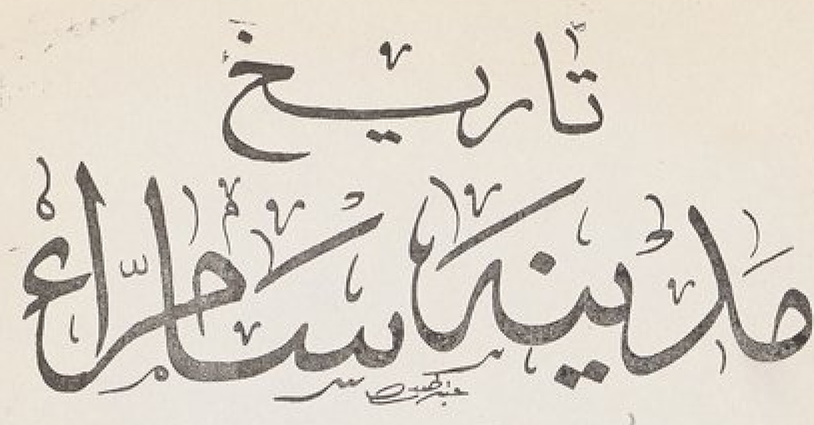
تاريخ مدينة سامراء

الجزء الاول

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م





تأليف

يونس الشيخ ابراهيم السامرائي

صاحب مجلة صوت الاسلام

الجزء الاول

﴿ الطبعة الاولى ﴾

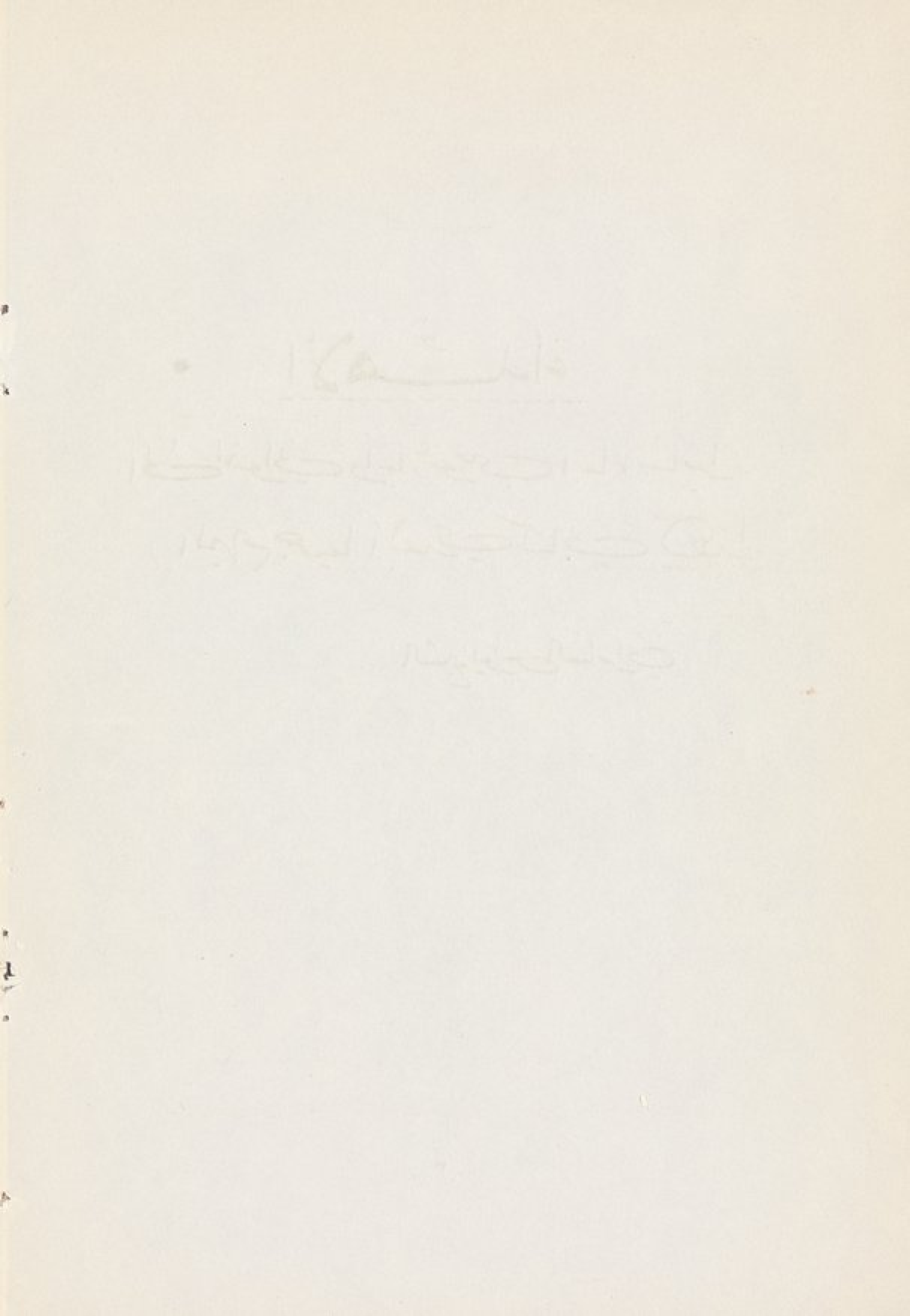
ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

الإهداء

الى اخواني وابناء عمومتي ابناء سامراء

اليهم جميعاً أهدي كتابي هذا

الشيخ يونس السامرائي





المقدمة

بقلم: الاستاذ الكبير البحاثة كوركيس عواد

لم يشهد التاريخ مدينة أنشئت وازدهرت وعلا شـأنها في مضماري الرقي والعمران، ثم لم تلبث أن خبا نورها بعد زمن يُعد قصيراً جداً في حياة المدن. فاستولى عليها الخراب والدمار، على نحو ما حصل لمدينة «سامراء».

ذلك ان الخليفة العباسي الثامن، المعتصم بالله، بعد أن أقلقه أمر الاقامة في بغداد عاصمة الدولة العباسية، وصعب عليه البقاء فيها لأسباب سياسية واجتماعية لا مجال لذكرها هاهنا، راح يفكر في إنشاء مدينة أخرى، يتخذ منها مقراً لملكه. فوقع اختياره، بعد التجوال والتحري، على موضع سامراء، لما رآه فيه من مزايا ومحاسن آثره معها على غيره من المواضع التي ارتادها. فأمر بالتخطيط والبناء، وسار العمل في ذلك بسرعة وإتقان عجيبين، حتى تكامل البناء. فانتقل اليها مع جيشه ورجال دولته، وكان ذلك في سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) ثم تلاه في الاقامة فيها، سبعة آخرون ممن تولى الحكم بعده من خلفاء بني العباس وهم: الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، وآخرهم المعتمد، الذي أمضى فترة من أيام خلافته فيها، ثم هجرها في سـنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م)، وعاد الى بغداد، العاصمة القديمة.

وهكذا، دام مجد سامراء العباسية، زهاء نصف قرن من الزمان. وبعـد أن فقدت مكانتها السياسية، فقدت معها كل شيء. فسرعان ما انهار كيانها

وتقوض عمرانها وآلت الى الخراب ، فاضحت مباني تلك المدينـة الفخمة أطلالاً دارسة .

ولابد من الاشارة الى ان المعتصم ، إذا عُدَّ مؤسساً لمدينة سامراء ، فان المتوكل ، إبنه ، كان قد اضفى على المدينة بهاء ورونقاً ، بما شيده في مختلف أنحائها من « قصور » عظيمة الشأن ، جمعت بين مباهج الحيـاة ورواء الصنعة وجمال الريازة وكمال الاناقة . ولـكن تلك العمارات الباذخة ، لا تعدو أن تكون اليوم خرائب وتلولاً أثرية أو قل انها أصبحت أثراً بعد عين .

وعلى غرار ما نجـده فى كثير من المدن الاسلامية المندثرة ، قام في جوار سامراء ، بلدة ثانية عرفت بسامراء أيضاً . وهذه الأخيرة ما زالت قائمة عامرة في جنوبي أطلال سامراء العباسية .

تلك المدينة الدائرة ، وهذه المدينة العامرة ، هما موضوع الـكتاب الذيعني الاستاذ البحاثة الجليل يونس الشيخ ابراهيم السامرائي بتأليفه .

والاستاذ الشيخ يونس السامرائي ، ممن أنجبته هذه المدينة ، وهو ابن وفيّ من أبنائها . وقف نفسه علىخدمة هذه المدينة العظيمة الشان فى التاريخ الاسلامي فصنف فيهـا التصانيف النفيسة . وكلها مؤلفات قيمة نافعة ، طُبع بعضها ، وما زال بعضها الآخر ينتظر دوره في النشر . فمما طبع من مؤلفاته التي تدخل فى هذا الباب : « دليل سامراء » ، و « تاريخ عشائر سامراء » ، و « الالعاب الشعبية لصبيان سامراء » ، و « الـكنايات العامية في سامراء » ، و « تاريـخ علماء سامراء » ، و « مراقد الأئمـة والاولياء في سامراء » . كما أصدر مجـلة «سامراء» الحافلة بالموضوعات المختلفة عن هذه المدينة فى دوريها القديم والحديث.

وللاستاذ الشيخ يونس ، مؤلفات اخرى عديدة ، ما زالت مخطوطة ، تفضل فاطلعني عليها . وهي تتناول شؤوناً مختلفة من ماضي هذه المدينة وحاضرها . ولعله يوفق لنشرها فى وقت قريب إن شاء الله .

وهذا الكتاب الذي يقدم المؤلف الفاضل الجزء الاول منه اليوم لقرائه ، هو أحد تلك التصانيف التي تحفّى لتأليفها ، باذلاً فى سبيل جمعه وتصنيفه كل غال ونفيس ، لا يثنيه عن ذلك تعب ، ولا يقف في سبيله جهدٌ أو كلل . فرجع فى إعداده الى أمهات المصادر العربية التي تطرقت الى هذا الموضوع ، وفيها القديم والحديث . كما استعان بكثير مما دوّنه الباحثون الغربيون عن مدينة سامراء ، وبينهم المؤرخ والمنقب الآثاري والرحالة .

ولست الآن في سبيل التعريف بما صنعه المؤلف الفاضل في كتابه ، بل سأدع هذا الأمر له كي يحدث قراءه بما انتهى اليه من جوانب هذا الموضوع الطريف ، الذي سيستمتعون بما حواه من فوائد تاريخية وبلدانية وأدبية .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

مدينة سامراء من المدن المهمة في العراق حيث كانت بالأمس عاصمة الدولة العباسية وهي اليوم احدى المدن المقدسة يؤمها الزوار والسياح من مختلف انحاء العالم اما لزيارة مرقدي الامامين العظيمين علي الهادي وولده الحسن العسكري رضي الله عنهما واما للاطلاع على المعالم الأثرية العربية العباسية الخالدة العظيمة التي لا تزال اعجوبة اهل الدنيا امثال الملوية ومنارة ابي دلف ودار العامة وقصر العاشق والمنقور وقبة الصليبية وتل العليق وغيرهـــا من الآثار التي لا تزال ماثلة للعيان .

واما للترويض عن النفس في البلد الذي عشقه الزوار لطيب هوائه وعذوبة مائه وقلة دائه وفي ذلك يقول الامام على الهادي (أُخرجت الى سر من رأى كرهاً ولو اخرجت منها لخرجت كرهاً لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها) وهي البلد العربي الأصيل الذي وقف ردحاً طويلا من العصور بوجـه الشعوبية واعداء الاسلام فمنه انطلقت جحافل الشهامة والنجدة بقيادة بطلها المعتصم بن هارون الرشيد لتأديب امراء عمورية والانتصار للمرأة العربيـــة ومنه انطلقت جحافل العروبة والاسلام في زحفها المقدس بقيادة زعيمها المعتمد الخليفة العباسي لتحرير البصرة من ظلم الزنج الذين عاثوا في الارض فساداً وعلى أرضها الطيبة درج الفلاسفة والعباقرة امثال الـكندي والبحتري وابن المعتز والصولي . وفيها تربى الفصحاء والادباء والفقهاء والشعراء امثال ابي تمام وعلي بن الجهم والجاحظ

وابن السكيت والبويطي ، وبهذا يجوز لنا أن نقول بحق ان سامراء ذخيرة التاريخ وكنز البطولة ومرتع العلم والفروسية والامجاد ومفرق هام الشهامة والاباء وسحر الأدب والعبقرية فاذا افتخر الرومانيون بمدينتهم (روما) واذا تبجح البابليون بعروس الشرق (بابل) التي تفننوا فيها حتى اقاموا لها الجنائن المعلقة . وإذا افتخر الاكاسرة بطيسفون والمناذرة بالحيرة فخليق بنا أن نفتخر بمدينتنا الخالدة (سامراء) التي كانت احدوثة الزمان فى هاتيك الايام اذ لا يعرف في الدنيا مدينة اتسع عمرانها في بضع سنوات كما اتسع عمران مدينة سامراء .

وما أبناء سامراء اليوم الا أحفاد اولئك العرب الغر الميامين الذين دوخوا الدنيا ببطولاتهم وفتوحاتهم . ومن السلالة الهاشمية الرفيعة ، وأنسابهم التي يحتفظون بها تثبت ذلك وهو واضح ومعلوم لدى الناس وضوح الشمس فى رابعة النهار .

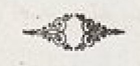
ولما لهذه المدينة من ماض مجيد وتاريخ تليد ومكانة مرموقة عزمت متوكلاً على الله على أن أضع مؤلفاً يشمل تاريخ مدينة سامراء قديماً وحديثاً وقد انتهيت الى وضع كتاب في ثلاثة أجزاء وقد سميته (تاريخ مدينة سامراء) وهذا هو الجزء الأول وقد شمل العهد العباسي في سر من رأى وما قبله من القرون والاحداث .

وها هو الكتاب اقدمه خدمة متواضعة لبلدي فاذا كنت قد وفيته حقه على الوجه الاكمل فهذا ما ارجوه وأتمناه وان كان غير ذلك فالكمال لله وحده .

وختاماً لا يسعني إلا أن اسجل شكري وتقديري للذين ابدوا إلي

التوجيهات والملاحظات القيمة وأخص بالذكر منهم الدكتور مصطفى جواد والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور يوسف عزالدين والاستاذ كوركيس عواد والأستاذ سالم الآلوسي والاستاذ عبد الحميد العلوجي وغيرهم كثيرون لا مجال لذكرهم راجياً من الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء انه سميع مجيب .

الشيخ يونس السامرائي



موقع سامراء الجغرافي

تقع مدينة سامراء الحالية على ضفة نهر دجلة اليسرى شمال مدينة بغداد عاصمة العراق على بعد (١٣٠) كيلومتراً بالطريق البري و (١٧٥) كيلومتراً عن بغداد بطريق النهر وهي مبنية الآن على أطلال مدينة (سر من رأى) العباسية : والأخيرة كانت تمتد على طول نهر دجلة الى مسافة بعيدة نحو تسعة كيلومترات تقريباً جنوبي المدينة الحالية وحوالي الخمسة والعشرين كيلومتراً شماليها أي ان مجموع طولها يبلغ زهاء (٣٥) كيلومتر ، أما عرضها فيتراوح بين الكيلومترين والاربعة كيلومترات أي بمعدل ثلاثة كيلومترات وعلى هذا الاساس يمكن تقدير مساحة مدينة سامراء العباسية بحوالي مائة وعشرة كيلومترات مربعة، واذا اضيف الى هذه المساحة مساحة حديقة حيوانات المتوكل (حير المتوكل) التي تقع في أقصى الحدود الجنوبية وهي نحو خمسين كيلومتراً مربعاً ، وكذلك مساحة منطقة القادسية الواقعة بجوار الحديقة المذكورة ، وهي حوالي سبعة كيلومترات مربعة ، جاز لنا أن (١) نقدر مساحة سامراء العباسية بحوالي (١٦٧) كيلومتراً مربعاً ، ولو أضيف الى ذلك مساحة معسكر الاصطبلات القائم على ضفة نهر دجلة اليمنى وهي حوالي (٥٨) كيلومتراً مربعاً ، أمكننا اعتبار مجموع مساحة سامراء العباسية (٢٢٥) كيلومتراً مربعاً ، أي ما يقرب من (٩٠٫٠٠٠) دونم مشارة : هذا عدا مشتملات المدينة من بساتين وحدائق وقصور على الجانب

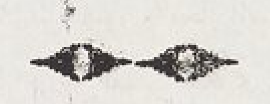
---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

الايمن من نهر دجلة وهي المشتملات التي تقع بين نهر دجلة ونهر الاسحاقي والتي تمتد على طول ضفة دجلة الغربية مقابل (سر من رأى) ولاشك أن هذه المساحة الكبيرة تجعل مدينة (سر من رأى) في عداد اكبر مدن العالمين القديم والحديث وهذا ما حمل يافوت الحموي على القول بأنها (صارت أعظم بلاد الله) والقزويني على الحكم بأنه (لم يكن فى الأرض أحسن ولا أجمل ولا اوسع ملكاً منها) واذا ما لاحظنا ان مساحة مدينة القاهرة بما فيها مصر الجديدة ، وهى اكبر عاصمة في الوطن العربي في الوقت الحاضر حيث يبلغ عـــدد سكانها قرابة أربعة ملايين نسمة لا تزيد على (٤٠٫٠٠٠) فدان مصري (٦٧٫٠٠٠) دونم عراقي وان مدينة بغداد الحالية لا تزيد مساحتها على الستين كيلومتراً مربعاً (٢٤٫٠٠٠) دونم عراقي يتضح لنا ما كان لمدينة سر من رأى من اتساع من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان .

أما سامراء الحالية فيبلغ طولها نحو اربعة كيلومترات وعرضها كذلك وهى مبنية في الوقت الحاضر على الطراز الحديث، ولمدينة سامراء منزلة جليلة فى نفوس العرب والمسلمين حيث يوجد فيها رفات آل النبي الاطهار وهم الامام علي الهادي وولده حسن العسكري رضي الله عنهما في وسط صحن كبير وطلى قبته بالذهب السلطان ناصر الدين شاه في عام (١٢٨٥ هـ) كما هو مدون على أربعة اركان القبة ، وكان الامام علي الهادي رضي الله عنه يسكن سامراء فى أيام جعفر المتوكل فلما توفي سنة (٢٥٤ هـ) دفن في بيته ، ولما توفي الحسن العسكري رضي الله عنه سنة (٢٦٠ هـ) دفن الى جواره . وقد انشأ الحضرة في حدود عام (١٢٠٠)

للهجرة اخوة ثلاثة من أهل خوي وسلماس وروميه وكان الانشاء والتعمير برعاية الحاج مرزة محمد السلماس المتوفى في سنة (١٢١٩) والى جانب هذين الضريحين يشاهد سرداب الغيبة ، وهذا السرداب معروف بغيبة المهدي وفيه باب خشبي جميل من عهد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله (٦٠٦هـ-١٢٠٦م) وقد مضى على صنعه عدة قرون .. وهناك آثار عباسية لا تزال ماثلة للعيان سوف نتكلم عنها إن شاء الله في هذا الكتاب .



سامراء قبل الفتح العربي

لا يمكننا تحديد تاريخ مدينة سامراء بزمن معين إلا أن كثيراً من الأدلة الثابتة تؤكد على أن هذه المدينة كانت آهلة بالسكان قبل الفتح العربي بقرون عديدة . قال الحموي فى المعجم ان ابراهيم الجنيدي قال سمعتهم يقولون ان سامرا بناها سام بن نوح عليهما السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء ، ولقد اجريت أعمال التنقيب الاركيولوجي في سامراء من قبل الدكتور هرتسفلد في موسم (١٩٣٠ - ١٩٣١ م) ضمن نطاق المقبرة التي كانت قد ظهرت للعيان في بقعة شبه الحاوي المطلة على نهر دجلة والواقعة فى القرب من شريعة باب الناصرية شمالي سامراء الحالية على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرتسفلد قد قام به فى سنة (١٩١٢ - ١٩١٣) فثبت في نهاية تلك الأعمال ان كلا من القبور والفخار المصبوغ الذي وجد فيها يعود الى أزمان الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) وربما كان يمثل نوعاً من ذلك الفخار الذي يعود الى الايرانيين الذين عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ وقد عرف العصر الذي تعود اليه مقبرة سامراء هذه بـ (عصر حلف) (٥٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق . م) وهو العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث والذي تمتاز آثاره بزخرفة الأواني المفخورة وبرقي أشكالها وتعدد ألوانها . وعلاوة على هذا النوع الفخارية فقد ترك لنا أهل (حضارة حلف) دمى من الطين المشوي غريبة (١) الصنع وكمية كبيرة من الحروز المنقوشة

---

(١) ري سامراء ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ : مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٤٨

وأول نوع من الختوم المنبسطة . ويستدل من القطع المعدنية الصغيرة القليلة انهم كانوا فى بدء معرفتهم المعدن . وقد جاءت تسمية عصر حلف من الموقع المسمى (تل خلف) «الاسم الشائع الآن (تل حلف) محرفاً» الواقع في سوريا عند أعالي نهر الخابور (خابور الفرات) على بعد حوالي ١٤٠ ميلا من شمال غربي نينوى حيث اكتشف البارون فون اوبنهايم طائفة كبيرة من الأواني القديمة المزخرفة تحت انقاض قصر يرتقي تاريخه الى العصر الحثي وتدل ظواهر الحال على ان هذه الأواني تعاصر فخار سامراء الآنف الذكر .

وقد عثر الدكتور أحمد سوسة أثناء تدقيقه لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ ايضاً ، وهو من نفس الفخار الذي في بقعة شبة الحاوي ، وذلك في التل المعروف باسم (تل الصوان) الواقع على نهر دجلة جنوبي سامراء فى جوار منارة القائم ، وبعد أن اتصل الدكتور سوسة بالبروفسور هرتسفلد واعلمه (١) بوجود هـذا الفخار كتب هرتسفلد مؤيداً ما توصل اليه الدكتور سوسة من وجود هذا الفخار في المكان المذكور ، وأضاف تأييده هذا قائلا بأن هذه الآثار هي من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ ، وحيث ان التنقيب الاخير اثبت وجود أبنية ومرافق مشيدة باللبن ومسورة .

يتضح مما تقدم أن المنطقة التي انشئت فيها مدينة (سر من رأى) العباسية كانت مأهولة منذ اقدم الازمنة وترجع حضارتها الى عصور سحيقة فى التاريخ ، لذلك فان ماجاء في نشرة مديرية الآثار العامة عن حفريات سامراء (ج١ص٤)

---

(١) في عام ١٩٦٤ م اجريت تنقيبات في تل الصوان عثر فيه على آثار تؤيد رأي الدكتور سوسة أيضاً .

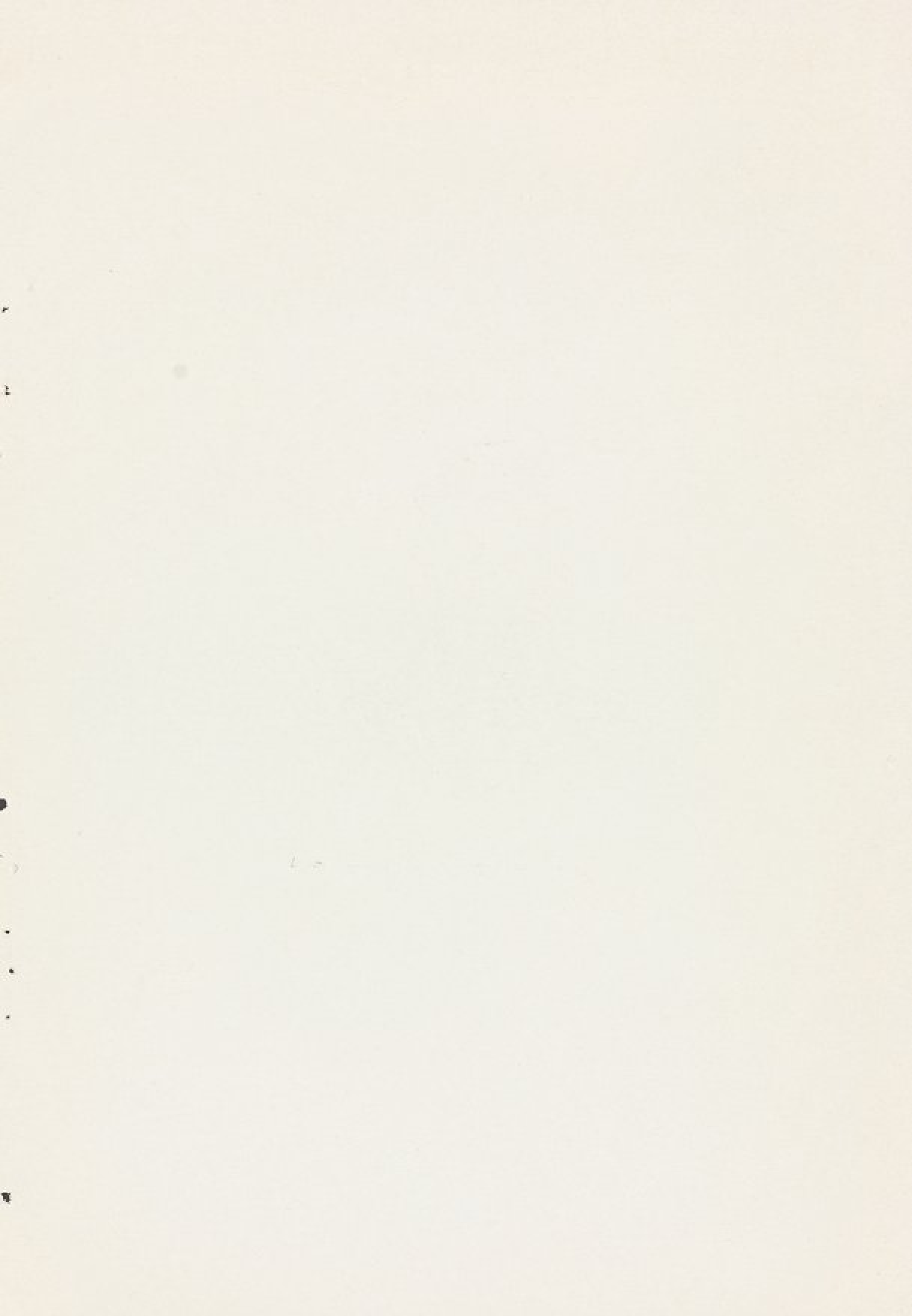
من أن «اطلال سامراء تعود الى دور معين محدود لم يسبقه دور بناء أقدم منه» لا يصح قبوله بعد العثور على الآثار (القبتاريخية) التي مر ذكرها.

ومهما يكن من الأمر فقد كان هذا الموقع قبل انشاء سامراء فيه عدة قرى واديرة معروفة ومن أهمها دير اشتراه المعتصم من رهبانه واتخذه بيتاً للمال حيث اسس عاصمته الجديدة. ولم يكن المعتصم ورجاله أول من تنبه الى مزايا هذا الموقع فقد عرفته الدولة الساسانية وشيدت فيه حصناً عرف باسم حصن (سومير) كان له شأن كبير ولا سيما في حروبهم مع الرومان. ولعل لاسم حصن سومير الذي اشرنا اليه صلة باسم سامراء، والراجح ان الاسم الحديث مشتق منه.

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب هذه المنطقة بقوله «انتهى المعتصم الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر بالقاطول آخذ من دجلة فبنى قصوراً ..».



١ - الخليفة المتوكل على الله العباسي



سامراء بعد الفتح العربي

شيدت هذه المدينة في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (وهو أصغر أبناء هارون الرشيد) وذلك سنة (٢٢١ هـ - ٨٣٦ م) أي بعد تشييد بغداد بنحو خمس وسبعين سنة . وكان السبب في بناء سامراء ان الخليفة المعتصم كان قد اكثر من اتخاذ الجند الترك في جيشه وألف منهم فرقاً خاصة طغى نفوذها على سائر فرق الجيش من الفرس والعرب وضاقت بغداد باولئك الجند الترك وكان من الصعب التوفيق بينهم وبين سكان هذه العاصمة اذ أن اولئك الترك كانوا (كما كتب بعض المؤرخين) عجماً جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجال والنساء والاطفال وكان سكان بغداد يتذمرون من هذا الاستهتار فيثبون على الجند الترك فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً فثقل هذا كله على المعتصم وعزم على الخروج بجنده من عاصمة المنصور وعلى ان يتخذ لدولته عاصمة جديدة ولا سيما انه كان يخشى أن يثور عليه أهل بغداد وبعض العناصر العربية والفارسية في جيشه بسبب تقريبه الجند الترك فضلا عن قسوة المعتصم في الانتصار للمعتزلة واضطهاد خصومهم كانت قد ابعدت قلوب كثير من رعاياه ولا سيما في بغداد .

فخرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامراء وكان هناك للنصارى دير عادي ، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال نجدها في الكتب السالفة والامم الماضية انها

مدينة سام بن نوح ، قال المعتصم : ومن أي بلاد هي ؟ وإلام تضاف ؟ قال من بلاد الطيرهان ، واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار ، وهواء طيب وأرض صحيحة تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة والمـاء . فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم ارضهم بأربعة آلاف دينار وذاك حسب ما ذكره المسعودي في (مروج الذهب ج ٤ ص ٥٤) وهذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبي في البلدان ص ٢٥٨ ، اما ياقوت الحموي فقد ذكر في معجم البلدان ج ٣ ص ١٦ من ان المعتصم دفع خمسة آلاف دينار .

وقد فحص المعتصم ورجاله عدة مناطق قبل أن ينتهوا الى اختيار الموقع الذي شيدوا فيه مدينة سامراء والذي تقوم عليه سامراء الحالية ، ويبدو أن تفضيلهم هذه المنطقة انما يرجع الى موقعها الحصين لأن المياه تكاد تحيط بها من جميع أطرافها لتؤلف خطاً نهرياً في المدينة الجديدة وتسهل الاتصال بها ونقل التجارة بينها وبين مدن العراق فضلا عن أن أراضيها كانت مرتفعة وفي مأمن نسبي من خطر الفيضان وكان هذا الموقع يمتاز بأن نهر دجلة يحاذيه من الغرب بينما يحيط به من الشمال والشرق مجرى النهروان (القاطول الكسروي) الذي يتفرع من نهر دجلة شمالي موقع سامراء ويسير محاذياً نهر دجلة متجهاً نحو نهر العظيم . أما في الجنوب فقد كان نهر القائم الاسفل يتفرع من نهر دجلة ويلتقي بمجرى النهروان قبل وصوله الى نهر العظيم ، وكان الماء في مجرى النهروان ومجرى القائم الاسفل دائم الجريان وكانت ضفافها عظيمة الارتفاع ، فضلا عن هذا كله فقد كان مجال التوسع في البناء على هذا الموقع كبيراً جداً .

شيد المعتصم في هذا الموقع عاصمته الجديدة . ولم يلاحظ في بنائها العناية بالاسوار والتحصين فقد كانت المنطقة حصينة بطبيعتها وكانت الخلافة العباسية قد ثبتت اركانها ولم يكن هناك خطر خارجي ظاهر يهدد عاصمتها في قلب العالم الاسلامي . وانما اتجه المعتصم في بناء هذه العاصمة الى الابداع في البناء والتوسع في العمران وسائر الفنون الصناعية والزخرفية فاستقدم للمشاركة في عمارتها اعظم الصناع وأصحاب المهن من انحاء الامبراطورية الاسلامية ليجعلها اكبر منافس لمدينة بغداد، واتسع في مدينة سامراء البناء، اذ لا يعرف في الدنيا مدينة اتسع عمرانها في بضع سنوات كما اتسع عمران مدينة سامراء حتى امتد الى مسافة (٣٥) كيلو متراً على ضفتي نهر دجلة .

وذكر اليعقوبي في كتابه (البلدان) (١) وصفاً لمدينة سامراء بالعهد العباسي الزاهر فقال (واتسع الناس في البناء بسر من رأى اكثر من اتساعهم ببغداد وبنوا المنازل الواسعة . الا ان شربهم جميعاً من دجلة مما يحمل في الروايا على البغال وعلى الابل لان آبارهم بعيدة ثم هي مالحة غير سائغة فليس لها اتساع في الماء ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة .

ولما فرغ المعتصم من التخطيط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة وهو جانب سر من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة فأنشأ هناك العمارات والبساتين والاجنة ، وحفر الانهار من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي . وحمل النخيل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان) اهـ

---

(١) طبعة النجف ، المطبعة الحيدرية سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م ص ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥

وعنى المعتصم بتخطيط سامراء . وامر بأن يراعى فصل الاجناس والطبقات المختلفة من الجند والموظفين وأصحاب المهن وسائر السكان فاسكن كلا منها جهـة أو قطيعة خاصة وامر أن تكون قطائع الجند بعيـدة عن الاسواق وعن محلات أصحاب المهن المختلفة وامر كذلك بتشييد الاسواق الضخمة في سامراء وبعمل رصيف كبير على نهر دجلة ترسو فيه السفن القادمة من بغداد وواسط والبصرة والموصل وسائر المراكز التجاريـة فى العراق وبذلك اصبحت سامراء احدى المدن الـكبرى فى ديار الاسلام بل مركز الخلافة الاسلامية فى المعمورة .



اسماء مدينة سامراء

مدينة سامراء الخالدة من المدن القديمة الآهلة بالسكان قبل فجر التاريخ وقد ذكر البلدانيون والمؤرخون في كتبهم اسماء مختلفة حسب تعاقب الاجيال على السكنى فيها وتسميتهم لها ونظراً لفائدة هذه الاسماء ندرجها هنا :

١ ـ سامراء : ممدوداً كما جاء في معجم البلدان للحموي وشاهده قول البحتري

وأرى المطايا لا قصور بها   عن ليل سامراء تذرعه

٢ ـ سامرا : مقصوراً وقد جاء هذا الاسم في الكتابات الآرامية وفي قول ابن حماد بن الحسن بن علي بن عبيدالله البصري في قصيدته التائية :

وفي غربي بغداد وطوس   وسامرا نجـوم ظاهراتُ

وقد ورد هذا الاسم في مراصد الاطلاع لابن عبدالحق (جـ ٢ ص ٧٠٩)

٣ ـ سامره : بالهاء : ورد هذا الاسم في مراصد الاطلاع ايضاً في (جـ ٢ ص ٧٠٩) وفي مجمل التواريخ والقصص (ص ٥١٧) .

وقال الحموي في معجمه (١) قال حمزة كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل اليها الأتاوة التي كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم ودليل قائم في اسم المدينة لان سا ، اسم الاتاوة ، ومره اسم العدد والمعنى انـه مكان قبض عدد جزية الرؤوس .

٤ ـ سُرَّ مَنْ رَأى : مهموز الآخر وقد ذكره الحموي في المعجم ايضاً

---

(١) معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٥ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ م

وشاهده قول المنتصر :

الى الله اشكو عبرة تتحدر ... ولو قد حدا الحادي لظلت تحدر

فياحسرة ان كنت في سر من رأى ... مقيماً وبالشام الخليفة جعفر

وقال ابن خلكان (١) « وسُر من رأى فيها ست لغات » وقال الجوهري في الصحاح في فصل رأى « سُر من رأى بضم السين المهملة وفتحها » .

٥ ـ سامرّى : ورد هذا الاسم في كتاب « مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ص ٢٠٦ » تأليف ميخائيل عواد .

٦ ـ سامرا : جاء هذا الاسم في مراصد الاطلاع لابن عبد الحق ج ٢ ص ٧٠٩

٧ ـ سر مَن راء : ممدوداً كما ورد في قول البحتري :

لارحلنَّ وآمالي مطرحة ... بسر من راء مستبطي لها القدر

٨ ـ سُرّ مَن رَا : مقصوراً غير مهموز كما ورد ذلك في قول الحسين ابن الضحاك :

سر من را اسر من بغداد ... فاله عن بعض ذكرها المعتاد

٩ ـ سُراء : بضم السين ممدوداً كما قال الجوهري في القاموس سراء ممدودة مشدودة مضمومة وتارة تفتح اسم لسر من رأى . وسر من را بضم السين والراء أي سرور وبفتحها كذلك وساماء وساء من رأى والنسبة سر من ري وسامرى وسرى . ومنه الحسن بن علي بن زياد .

١٠ ـ سُرُور من رأى : قال الحموي فى معجمه ذكر محمد بن احمد البشاري نكتة حسنة فيها قال لما عمرت سامراء و كملت واتسعت بركتها وخيرها واتسق

---

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠ مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨

نظامها سميت سرور من رأى ثم اختصرت فقيل سر من رأى فلما خربت وتشوهت خلقتها سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقيل سامراء .

١١ ـ ساء من رأى : ورد هـذا الاسم في معجم البلدان كما ذكرناه آنفاً .

١٢ ـ سام راه : قال الحموي في معجمه انها مدينـة لسام بن نوح فنسبت اليها بالفارسية سام راه يعني طريق سام . وقيل في وجه التسمية إنها كانت موضع اخذ الخراج قالوا بالفارسية ساء مره أي موضع اخذ الخراج .

١٣ ـ عسكر : ورد هذا الاسم في كتاب الصواعق المحرقـــة لابن حجر ص ٢٠٥ كما أشار اليه الشيخ محمد السماوي في ارجوزتـه « وشايج السراء في شأن سامراء » حيث قال :

وسميت عسكر اذ معناها مجتمع الجنود في مغناها

١٤ ـ زوراء : ورد هذا الاسم في كتاب البلدان لليعقوبي وقال اسمها في الكتب المتقدمة زوراء بني العباس ويصدق ذلك لأن قبل مساجدها كلها مزورة (أي مايلة) فيها ازورار ليس فيهـا قبلة مستوية الا انها لم تخرب ولم يذهب اسمها .

١٥ ـ طيرهان : ورد هذا الاسم في كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٤ حيث قال : كانت سر من رأى في متقدم الأيام صحراء من الطيرهان لا عمارة بها .

١٦ ـ طيرهان : بالباء الموحدة ورد هـذا الاسم في كتاب مروج الذهب ص ٥٤ ج ٤ المسعودي حيث قال سأل المعتصم عن سامراء وقال من أي البلاد والى م تضاف قيل له من بلاد طبرهان وهو مصحف والاصل هو طيرهان

١٧ ـ أسكي بغداد : أي بغداد العتيقة ورد هذا الاسم في مجلة سومر

ج ١ المجلد الثالث ص ٧٦ .

١٨ ـ شامريا : ومعناها الله يحرس : ورد هـذا الاسم في كتاب (نبذة تاريخيـة في أصول اسماء الامكنة العراقية ص ٢٦٣ : تأليف بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

١٩ ـ شاموره : ومعناها الحرس : أي منزل الحرس : ورد هـذا الاسم في كتاب (نبذة تاريخية في اصول اسماء الامكنة العراقية ص ٢٦٩ .

٢٠ ـ سَرمارتا : ورد هذا الاسم في مجلة سومر ج ٨ ص ٢٦٣ ونصه إن اسم هذه البلدة قد جاء في الكتابات الآشورية .

٢١ ـ سُومرا : ورد هذا الاسم في مجلة سومر ج ٨ ص ٢٣٣ .

٢٢ ـ سومير : ورد هـذا الاسم في مجلة سومر ج ١٧ ص ١٦٧ نقلاعن المؤرخ الروماني اميانس مرشلينس ونصه « سرنا في سرع سريع نحو حصن يدعى سومير ويعينهـا لين (١) بسامراء . ترجمة فؤاد جميل وسالم الآلوسي .

٢٣ ـ سيمورم : ورد هذا الاسم في احد محاضرات الدكتور زكي محمدحسن وقال ان هذا الاسم ورد في الكتابات البابليه (٢) .

٢٤ ـ سوميره : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد الى مواطن الآثار والحضارة تأليف فؤاد سفر وصادق الحسني .

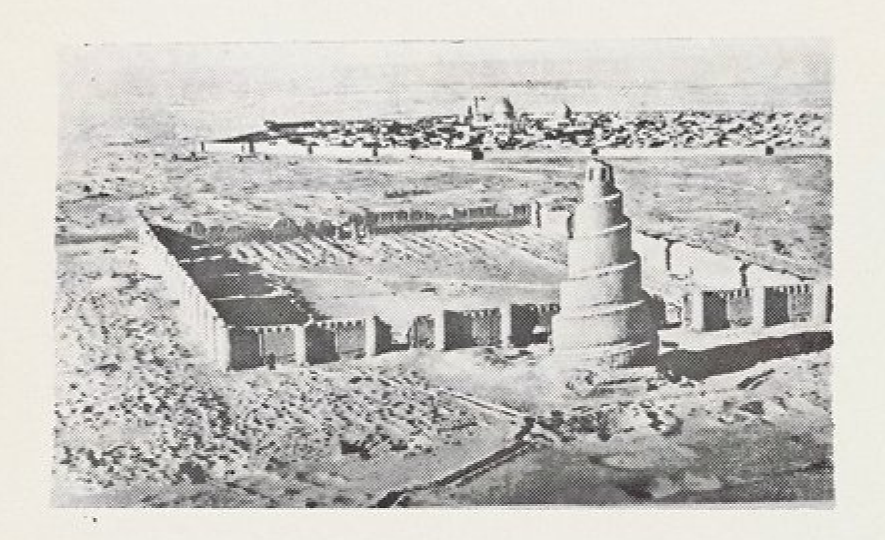
٢٥ ـ سومروم : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد الآنف الذكر .

٢٦ ـ سورمارتا : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد أيضاً .

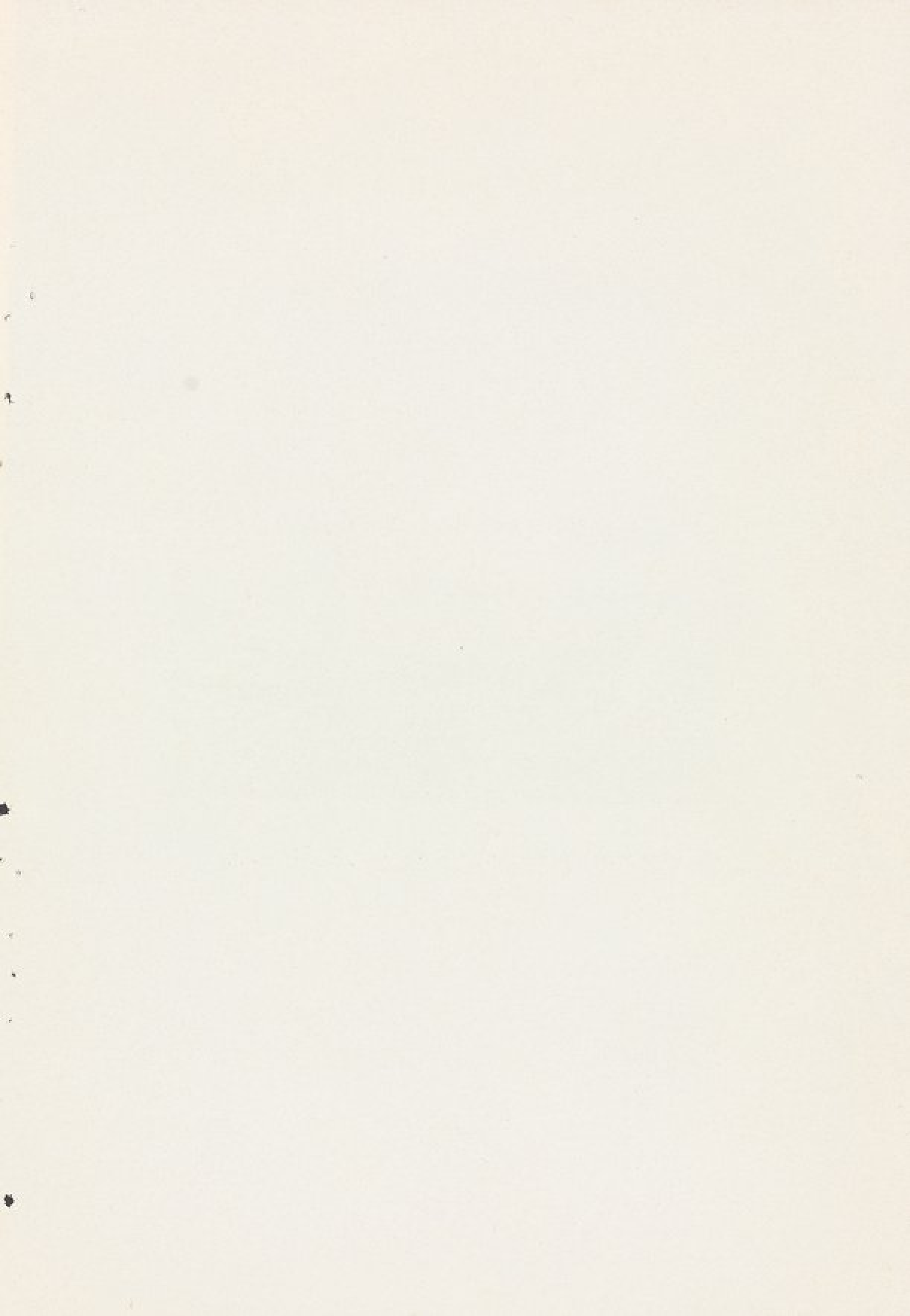
---

(١) أحد علماء الآثار المعروفين .

(٢) التي ألقاها على طلبة فرع الآثار في كلية الآداب العراقية .



٢ ـ منظر جوي لمدينة سامراء وجامع الملوية



سامراء عاصمة العباسيين

اختار الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد ، مدينة سامراء ليجعلها عاصمة جديدة لملكه العظيم ، ثم وسعها ابنه الواثق وأوصلها الى أوج عظمتها وأقصى اتساعها المتوكل ، إلا ان المدينة تركت بعد ذلك وأعاد المعتمد مقر الخلافة الى بغداد ، ولم يكن قد مر عليها اكثر من اربع وخمسين سنة ملك خلالها ثمانية من خلفاء بني العباس وهم :

١ ـ المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ ﻫ) — (٨٣٣ ـ ٨٤٢ م)

٢ ـ الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ ﻫ) — (٨٤٢ ـ ٨٤٧ م)

٣ ـ المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ ﻫ) — (٨٤٧ ـ ٨٦١ م)

٤ ـ المنتصر (٢٤٧ ـ ٢٤٨ ﻫ) — (٨٦١ ـ ٨٦٢ م)

٥ ـ المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥١ ﻫ) — (٨٦٢ ـ ٨٦٦ م)

٦ ـ المعتز (٢٥١ ـ ٢٥٥ ﻫ) — (٨٦٦ ـ ٨٦٩ م)

٧ ـ المهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦ ﻫ) — (٨٦٩ ـ ٨٧٠ م)

٨ ـ المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩ ﻫ) — (٨٧٠ ـ ٨٩٢ م) (١)

وقصة انشاء مدينة سامراء بالسرعة التي اقيمت فيها ثم هجرانها على حين غرة من الامور التاريخية التي تستوقف النظر فقد نشر الاستاذ ساطع الحصري فى كتابه « آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع » (٢) بحثاً تحت عنوان « قصة

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٨ .

(٢) طبعته دار العلم للملايين سنة ١٩٦١ م

سامراء » ننقل منها النبذة التالية قال : « قصة مدينة سامراء ، من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ (١) « قطعة ارض قفراء » على ضفة مرتفعة من نهر دجلة . لاعمارة فيها ولا انيس بها ، إلا ديراً للنصارى تتحول فى مثل لمح البصر الى مدينة كبيرة ، لتكون عاصمة لدولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ ، فى دور من ألمع أدوار سؤددها . تنمو هذه المدينة الجديدة وتزدهر بسرعة هائلة لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السابقة ، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة إلا في القرن الاخير ـ فى بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة ـ في بعض الاقسام من العالم الجديد .

غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ، لأن المدينة تفقد (صفة العاصمة) التي كانت علة وجودها وعامل كيانها ، قبل أن يمضي نصف قرن على نشأتها . فتأخذ من الاقفرار والاندراس بسرعة هائلة ، لا تضاهيها سرعة سوى تلك السرعة الشاذة التي كان تم بها تأسيسها .

وبعد أن كان الناس يسمونها باسم « سر من رأى » اضحوا يسمونها باسم « ساء من رأى » وبعد أن كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها اخذوا يسترسلون في رثاء أطلالها فبعد أن قال ابن الجهم في وصف احد قصورها :

بدائع لم ترهـا فارس ... ولا الروم في طول اعمارها
صحون تسافر فيها العيون ... إذا ما تجلت لأبصارها
وقبـة ملك كأن النجوم ... تضيء اليها بأسرارها

صار يرثيها ابن المعتز بقوله :

(١) نشر هذا البحث فى كراسة بعنوان سامراء نشرتها مديرية الآثار عام ١٩٤٠ .

قد اقفرت سر من رأى	وما لشــيء دوام
فالنقض يحمـل منها	كـأنهـا آجام
ماتت كما مات فيـل	تسل منـه العظام

وفى الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية ، بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن . وامست رسوماً وأطلالا هائلة ، تمتد اليوم أمام انظار الزائر وتتوالى تحت اقدام المسافر الى ابعاد شاسعة ، لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلومترات.

عندما يتجول المرء بين هذه الاطلال المترامية الاطراف ، ويتامل فى السرعة العظيمة التي امتاز بها تأسس مدينة سامراء وتوسعها من جهـــة ، واقفرارها واندراسها من جهة اخرى . لا يتمالك نفسه من التساؤل عن العوامل التي سيطرت على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب » .

وذكر المستر « سيتون لويد » في كتابه « الرافدان »(١) سامراء فقال « وفي التاريخ ثلاثة أمثلة بارزة لعواصم لم تدم إلا جيلا واحداً وكان سبب ظهورها شذوذ فرد واحد أو عقيدته . ففي مصر نقل فرعون من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة هو أخناتون الشاذ ، دست الحـكم ، من طيبة حيث عكر كهنة (رع) المشاغبون سكينته وهدوء فكره ، الى عاصمة جديدة قصيرة الأجل هي مدينـــة البساتين في العمرنة . وكذلك لم تعش عاصمة الملك الآشوري سرجون التي ابتناها في خورسباد (٢) أمداً طويلا بعد وفاته . وهكذا كان الحال فى (سامراء)

(١) الرافدان : الترجمة العربية للاستاذين طه باقر وبشير فرنسيس ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ المطبوع ١٩٥٠ م .

(٢) اسمها القديم « دور ـ شاروكين » أي مدينة سرجون .

فقد شيدت وسكنها الناس واتسعت رقعتها عهداً بعد عهد ثم هجرت وحدث كل ذلك في مدى خمس وستين سنة ، ومع ذلك فقد دامت طوال حكم لا يقل عن ثمانية خلفاء وقد اختار المعتصم لبناء عاصمته موضع دير نصراني على ضفة دجلة اليسرى نحو سبعين ميلا فوق بغـداد ، وتدعى « سر من رأى » ولا ريب في أن الخليفة عد هذا الاسم فألا حسناً ، على أن ذلك كان لأهل بغـداد سعداً لابتعاد الترك المتمردين مسافة مأمونة عنهم . ومهما يكن الأمر فان المعتصم سكن في سامراء وابتنى قصراً كبيراً في موضع الدير وانشأ حوله عاصمة ربما كانت أعظم منظراً وابهر خطة من أي مدينة في التاريخ القديم .

وبنى الخلفاء السبعة الذين اعقبوه قصوراً ومساجد لهم ووسعوا المدينة على ضفة النهر الى أن صار امتدادها على النهـر يزيد على العشرين ميلا . وعلى حين غرة هجـر الخلفاء هذه العاصمة ونقلوا مركزهم الى بغـــداد فتركوها خالية خاوية » ا . هـ .

* * *

تراجم خلفاء بني العباس

في سـامراء

---

١ ـ المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) — (٨٣٣ ـ ٨٤٢ م)

المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن الرشيد . ولد سنة ثمانين ومائة ، كذا قال الذهبي . وقال الصولي : في شعبان سنة ثمان وسبعين .

وهو ثامن الخلفاء من بني العباس ، وكان من اعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن . وكان له محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به ، غير أنه إذا غضب لا يبالي من قتل . وقد عرف بالشجاعة والقوة . قال نفطويه عنه : « كان من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره » .

وهو أول خليفة أدخل الاتراك الديوان ، وكان يتشبه بملوك الأعاجم ويمشي مشيهم ، وبلغت غلمانه الاتراك بضعة عشر الفاً .

بويع له بالخلافة بعد المأمون ، في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن وممن امتحن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه (١) .

وفي سنة عشرين بعد المئتين تحول المعتصم من بغداد وبنى مدينة سُر مَن رأى ، وفي سنة ثلاث وعشرين غزا المعتصم الروم ، فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي . مطبعة السعادة ١٩٥٢ م .

عثلها الخليفة ، وشتت جموعهم وخرب ديارهم ، وفتح عمورية بالسيف وقتل منها ثلاثين الفاً وسبى مثلهم فكان من نصره وظفره ما لم يخف ، فقال في ذلك ابو تمام قصيدته المشهورة منها :

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حدّه الحدّ بين الجد واللعب
والعلم في شُهب الأرماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية؟ أم أين النجوم؟ وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً مُلفقة	ليست بعجم إذا عدت ولا عرب

مات المعتصم بسر من رأى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومئتين .

٢ ــ الواثق بالله هارون (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ) — (٨٤٢ ــ ٨٤٧ م) .

هو الواثق بالله هارون بن المعتصم بن الرشيد . ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة ، وولي الخلافة بعهد من ابيه ، بويع له في تاسع عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين .

وفي سنة ثمان وعشرين استخلف على السلطنة أشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً .

كان الواثق ابيض ، تعلوه صفرة ، حسن اللحية في عينيه نكتة . وافر الأدب مليح الشعر .

قال الصولي : كان الواثق يسمى المأمون الأصغر ، لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده . وكان الواثق اعلم الناس بكل شيء وكان شاعراً وكان اعلم الخلفاء بالغناء ، وله اصوات وألحان عملها نحو مائة صوت ، وكان حاذقا

يضرب العود ، راوية للاشعار والأخبار .

وقال الفضل اليزيدي : لم يكن في خلفاء بني العباس اكثر رواية للشعر من الواثق فقيل له : كان أروى من المأمون ؟ فقال نعم ، كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق . وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً .

قال يزيد المهلبي : كان الواثق كثير الأكل جداً . وقال حمدون بن اسماعيل ما كان في الخلفاء أحد أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى ولا خلاف منه ولما احتضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك   لا سُوقَةٌ منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفارقهم   وليس يغني عن الأملاك ماملكوا

فمات الواثق بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة مائتين واثنتين وثلاثين من الهجرة .

٣ ـ المتوكل على الله جعفر (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) — (٨٤٧ ـ ٨٦١ م) .

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة خمس وقيل سبع ومائتين ـ وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق فاظهر الميل الى السنة ، ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق وذلك فى سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين الى سامراء وأجزل عطاياهم واكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية .

وفي سنة خمس وثلاثين ألزم المتوكل النصارى بلبس الغل .

وفي سنة ست وثلاثين أمر بهدم قبر الحسين ، وهدم ما حوله من الدور

وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته وخرب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفاً بالتعصب .

ومن الغرائب ان المتوكل قال للبحتري : قل في شعراً وفي الفتح بن خاقان فاني أحب أن يحيا معي ، ولا افقده فيذهب عيشي ، ولا يفقدني ، فقل في هذا المعنى فقال :

سيدي أنت كيف أخلفت وعدي	وتثاقلت عن وفاء بعدي ؟
لا أرتني الأيام فقدك يا فتح	ولا عرفتك ما عشت فقدي
أعظم الرزء أن تقدم قبلي	ومن الرزء أن تؤخر بعدي
حذراً ان تكون إلفاً لغيري	إذ تفردت بالهوى فيك وحدي

كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد ثم إنه اراد تقديم المعتز لمحبته لأمه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى ، فكان يحضره مجلس العامة ، ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور ، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل ابيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة سبع واربعين ومائتين .

٤ ـ المنتصر (٢٤٧ ـ ٢٤٨) — (٨٦١ ـ ٨٦٢ م) .

هو المنتصر بالله : محمد ابو جعفر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .

كان مليح الوجه ، اسمر ، أعين ، أقنى ، ربعة ، جسيما ، بطيناً ، مليحاً ، مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير قليل الظلم محسناً الى العلويين وصولاً لهم ، ازال عن آل ابي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم زيارة قبر الحسين

ورد على آل الحسين فدك فقال يزيد المهلبي فى ذلك :

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زماناً بعدها وزمانا

ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا

بويع له بعد قتل ابيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده وأظهر العدل والانصاف في الرعية ، فمالت اليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، وكان كريماً حليما .

ومن كلامه : لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام

ولما ولي صار يسب الأتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه وهموا به ، فعجزوا عنه لأنه كان مهيباً ، شجاعاً ، فطناً ، متحرزاً ، فتحيلوا الى أن دسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضه ، فاشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات. ولما احتضر قال: يا أماه ذهبت مني الدنيا والآخرة عاجلت ابي فعوجلت .

وكان المنتصر أول من عدا على أبيه من بني العباس .

مات فى خامس ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ، عن ست وعشرين سنة او دونها فلم يتمتع بالخلافة إلا اشهراً دون ستة اشهر . وكانت وفاته بسر من رأى

٥ ـ المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥١ هـ) — (٨٦٢ ـ ٨٦٦ م)

هو المستعين بالله ابو العباس احمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل وله سنة احدى وعشرين ومائتين .

كان مليحاً ابيض بوجهه اثر جدري ألثغ . ولما مات المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وقالوا : متى وليتم احداً من اولاد المتوكل لا يبقى منا باقية فقالوا :

ماالها إلا احمد بن المعتصم ولد استاذنا ، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة واستمر الى اول سنة احدى وخمسين فتنكر له الأتراك لما قتل وصيفاً وبغا ، ونفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر حتى قيل في ذلك .

خليفـة في قفص	بين وصيف وبُغا
يقـول ما قالا له	كما تقول الببغا

ولما تنكر له الأتراك خاف ، وانحدر من سامراء الى بغداد ، فارسلوا اليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع ، فامتنع فقصدوا الحبس واخرجوا المعتز بالله وبايعوه ، وخلعوا المستعين، ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ، ودام القتال اشهراً وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل امر المستعين ، فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك اسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة فخلع المستعين نفسه فى أول سنة اثنين وخمسين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فاحدر الى واسط فاقام بها تسعة اشهر محبوساً موكلا بـه أمين ثم رد الى سامراء وارسل المعتز الى احمد بن طولون أن يذهب الى المستعين فيقتله فقال والله لا أقتل اولاد الخلفاء ، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة وله إحدى وثلاثون سنة وكان خيراً فاضلا بليغاً أديباً .

٦ ـ المعـتز بالله (٢٥١ ـ ٢٥٥ هـ) — (٨٦٦ ـ ٨٦٩ م)

هو المعتز بالله : ابو عبدالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

بويع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين وخمسين وله تسع عشرة سنة ولم يل الخلافة قبل احد اصغر منه . وكان بديع الحسن . قال علي بن حرب أحد شيوخ ابن المعتز في الحديث : ما رأيت خليفة أحسن منه .

وأول سنة تولى مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة وخلف خمسمائة الف دينار ، فاخذها المعتز .

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد ، وضربه وقيده فمات بعد ايام ، فخشي المعتز أن يتحدث عنه انه قتله او احتال عليه ، فاحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر ، وكان المعتز مستضعفاً مع الاتراك فاتفق أن جماعة من كبارهم أتوه وقالوا : يا امير المؤمنين أعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منه ، فطلب من أمه مالاً لينفقه فيهم ، فأبت عليه وشحت نفساً ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء ، فاجتمع الاتراك على خلعه ، ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا فلبسوا السلاح وجاءوا الى دار الخلافة فبعثوا الى المعتز ان اخرج الينا فبعث يقول قد شربت دواء وانا ضعيف فهجم عليه جماعة ، وجروا برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون اخلع نفسك ثم احضروا القاضي ابن ابي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم احضروا من بغداد الى دار الخلافة وهي يومئذ سامرا محمد بن الواثق . وكان المعتز قد ابعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه ثم ان الملأ اخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فادخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء فسقوه ماء بثلج ، فشربه وسقط ميتاً وهو اول ميت مات عطشاً وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين .

٧ ـ المهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦ ﻫ) — (٨٦٩ ـ ٨٧٠ م)

هو المهتدي بالله الخليفة الصالح : محمد بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد . ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومائتين ، وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وما قبل بيعته أحد حتى اتى بالمعتز ، فقام المهتدي له وسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه ، فجيء بالشهود فشهدوا على المعتز انه عاجز عن الخلافة ، فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدي فارتفع حينئذ المهتدي الى صدر المجلس .

وكان المهتدي اسمر ، رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً ، متعبداً ، عادلا ، قوياً في امر الله بطلا ، شجاعاً لكنه لم يجد ناصراً ولا معينا .

قال الخطيب لم يزل صائماً منذ ولي الى أن قتل . قال نفطويه : حدثني بعض الهاشميين انه وجد للمهتدي سفط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه ، وكان قد اطرح الملاهي ، وحرم الغناء وحسم السلطان عن الظلم وكان شديد الاشراف على امر الدواوين يجلس بنفسه ويجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب .

وقدم موسى بن بغا من الري يريد سامراء لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز وأخذ أموال امه ومعه جيشه ، فصاحت العامة على ابن وصيف : يا فرعون قد جاءك موسى فطلب موسى بن بغا الاذن على المهتدي ، فلم يأذن له فهجم بمن معه عليه ـ وهو جالس في دار العدل ـ فاقاموه وحملوه على فرس ضعيفة وانتهبوا القصر وأدخلوا المهتدي الى دار ناجود وهو يقول يا موسى اتق الله ويحك ما تريد ؟ قال والله ما نريد إلا خيراً فاحلف انا أن لا تمالىء صالح بن وصيف

فخلف لهم فبايعوه حينئذ ثم طلبوا صالحاً ليناظروه على افعاله ، فاختفى ، وندبهم المهتدي الى الصلح فاتهموه انه يدري مكانه ، فجرى في ذلك كلام ثم تكلموا في خلعه فخرج اليهم المهتدي من الغد متقلداً بسيفه فقال قد بلغني شأنكم ، ولست كمن تقدمني مثل المستعين والمعتز ، والله ما خرجت اليكم إلا وأنا متحنط ، وقد اوصيت وهذا سيفي والله لأضربن به ما استمسكت قائمته بيدي ، اما دين ، اما حياء ، اما دعة ؟ لم يكن الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ؟ ثم قال ما اعلم علم صالح فرضوا وانفضوا ونادى موسى بن بغا . من جاء بصالح فله عشرة آلاف دينار فلم يظفر به احد واتفق ان بعض الغلمان دخل زقاقا وقت الحر ، فرأى باباً مفتوحاً فدخل فمشى في دهليز مظلم ، فرأى صالحاً نائماً فعرفه ـ وليس عنده احد ـ فجاء الى موسى فاخبره ، فبعث جماعة فاخذوه وقطعت رأسه وطيف به .

وتألم المهتدي لذلك فى الباطن ثم رحل موسى ومعه بكيال الى السن في طلب مساور فكتب المهتدي الى بكيال ان يقتل موسى ومفلحاً أحد امراء الاتراك ايضاً او يمسكها ويكون هو الامير على الاتراك كلهم ، فاوقف بكيال موسى على كتابه وقال اني لست افرح بهذا ، وانما هذا يعمل علينا كلنا فاجمعوا على قتل المهتدي وساروا اليه فقاتل عن المهتدى المغاربة والفراعنة والاسروسنية وقتل من الاتراك فى يوم اربعة آلاف ، ودام القتال الى ان هزم جيش الخليفة وامسك هو فعصر على خصيته فمات وذلك في رجب سنة ست وخمسين فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً .

٨ ـ المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩ ه) — (٨٧٠ ـ ٨٩٢ م)

هو المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .

ولد سنة تسع وعشرين ومائتين. ولما قتل المهتدى كان المعتمد محبوساً بالجوسق فاخرجوه وبايعوه، ثم انه استعمل اخاه الموفق طلحة على المشرق وصير ابنه جعفراً ولي عهده وولاه مصر والمغرب ولقبه المفوض الى الله وانهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس واحبوا اخاه طلحة.

وفي سنة تسع وستين اشتد تخيل المعتمد من اخيه الموفق فانه كان خرج عليه فى سنة اربع وستين ثم اصطلحا، فلما اشتد تخيله منه هذا العام كاتب المعتمد ابن طولون نائبه بمصر ، واتفقا على امر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق وخرج المعتمد من سامراء على وجه التنزه وقصده دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب الى اسحاق بن كنداج ليرده، فركب ابن كنداج من نصيبين الى المعتمد فلقيه بين الموصل والحديثة فقال يا امير المؤمنين اخوك فى وجه العدو وانت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجي فيغلب عدوك على ديار آبائك في كلمات أخر ثم وكل بالمعتمد جماعة ورسم على طائفة من خواصه ثم بعث الى المعتمد يقول ما هذا بمقام فارجع فقال المعتمد فاحلف لي انك تنحدر معي ولا تسلمني فحلف له وانحدر الى سامراء فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه اسحاق اليه فانزله فى دار احمد بن الخصيب ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول اليه ولما بلغ الموفق ذلك بعث الى اسحاق بخلع وأموال ، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ولقبه ذا السندين ولقب صاعداً ذا الوزارتين وأقام صاعد في خدمة المعتمد ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد في ذلك :

أليس من العجائب أن مثلي ‏ ‏ يرى ما قل ممتنعاً عليه ؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً　　وما من ذاك شيء في يديه

اليه تحمل الاموال طراً　　ويمنع بعض ما يجبى اليه

ثم فى شعبان من سنة سبعين اعيد المعتمد الى سامراء ودخل بغداد ومحمد ابن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه . وكان هو آخر خلفاء بني العباس في سامراء وهو الذي نقل الخلافة من سامراء الى بغداد: وفى سنة تسع وسبعين ضعف امر المعتمد جداً لتمكن ابي العباس بن الموفق من الامور وطاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلساً عاماً واستشهد فيه على نفسه انه خلع ولده المفوض من ولاية العهد بايع لأبي العباس ولقبه المعتضد .

ومات المعتمد بعد اشهر من هذه السنة فجأة وذلك ليلة الاثنين لاحدى عشر بقيت من رجب ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة (١) .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : مطبعة السعادة ١٩٥٢

شجرة الخلفاء العباسيين

في سامراء

العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

عبد الله رضي الله عنه

علي

محمد

المنصور

المهدي

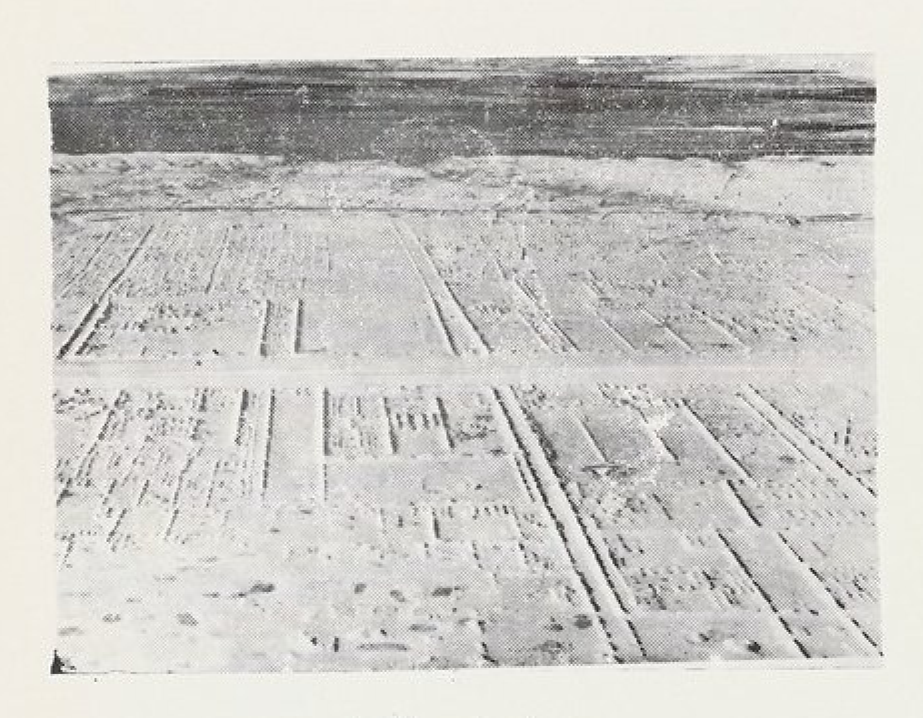
هارون الرشيد

المعتصم

جعفر المتوكل — الواثق — المستعين

المهتدي (ابن الواثق)

المعتمد — المنتصر — المعتز بالله (أبناء المتوكل)



٣ ـ الشارع الاعظم



الشوارع العباسية

كان في مدينة (سر من رأى) العباسية عدة شوارع مهمة بني على جوانبها القصور الفخمة والمساجد والحدائق والمتنزهات الجميلة وقطائع القواد ودوائر الدولة العديدة ومن هذه الشوارع .

أ — شارعا الخليج والسريجة (١)

من أهم الشوارع العامة التي امتدت على طول مدينة سامراء غرباً الشارع الذي على دجلة وكان يعرف بـ (شارع الخليج) ، وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والابلة والاهواز وما اتصل بذلك ومن الموصل وديار بكر وديار ربيعة وما اتصل بذلك .

وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم او اكثرهم والموضوع المعروف بالازلاخ الذي عمر بالرجالة المغاربة فى أول ما اختطت سر من رأى (٢) والشارع الثاني الذي يلي شارع الخليج شرقاً هو الشارع الرئيسي للمدينة فكان يعرف فى أول الامر بأسم شارع السريجة ثم سمي (الشارع الاعظم) وكان يمتد هـذا الشارع في عهد المعتصم مسافة « ١٩ » كيلومتراً تقريباً من آخر البناء في المطيرة جنوباً الى آخر البناء في قطيعة اشناس ودور عربايا شمالا ، وعلى طرف هـــذا الشارع انشئت العمارات من قطائع وأسواق ودواوين وقصور ومساجد ، كما انه فتحت عدة دروب من جهتيه بعضها ينفذ الى شارع الخليج أو الى دجلة من جهة الغرب

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦١ و ٦٢

(٢) البلدان لليعقوبي ص ٣٠ طبعة النجف .

والبعض الآخر ينفذ الى الشارع الموازي اليه من جهة الشرق وهو الشارع المسمى « شارع ابي احمد » وهكذا كانت العمارات والقطائع تمتد في الطول بين شارع السريجة الاعظم وبين شارع الخليج من جهة الغرب وبين شارع السريجة وشارع ابي أحمد من جهة الشرق .

وكان يخترق شوارع المدينة التي كانت تمتد على طول ضفة دجلة اليسرى واديان احدهما في الشمال ويسمى « وادي ابراهيم بن الرياح » والآخر في الجنوب ويسمى « وادي اسحق بن ابراهيم » وكان هذان الواديان يبدآن في الاراضي المتموجة التي في شرق المدينة فيسيران غرباً حتى ينتهيا في دجلة ، وبذلك كانا يأخذان بالمياه التي تتجمع في الاراضي المذكورة فيصبانها في دجلة .

أما موقعا هذين الواديين بالنسبة الى مدينة سامراء الحالية فقد دلت التنقيبات على أن الوادي الشمالي « وادي ابراهيم بن الرياح » يقع على بعد زهاء سمائة متر من سور اشناس جنوباً ، فيبدأ من شمال تل العليق بالقرب من القاطول الأعلى ثم يسير باتجاه الشمال الغربي حتى يصب في دجلة جنوب النهر القديم المعروف بـ « نهر مرير » في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعة كيلومترات من مدينة سامراء الحالية شمالا .

واما الوادي الجنوبي « وادي اسحق بن ابراهيم » فيبدأ في الأراضي المتموجة التي في شرقي سامراء الحالية ثم يسير غرباً حتى ينتهي في دجلة في نقطة تقع على مسافة ١٫٥ كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً .

ولا يزال هذان الواديان يكونان مجمعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين سور اشناس شمالا والمطيرة جنوباً ، ويعرف الوادي الجنوبي في الوقت الحاضر

باسم « وادي الموح » في حين ان الوادي الشمالي لا يعرف باسم خاص به .

ويلاحظ ان هرتسفلد رسم هذين الواديين في خارطته التقريبية التي رسمها عن سامراء استناداً الى وصف اليعقوبي للمدينة في غـير المكانين المذكورين ، فرسم وادي ابراهيم بن رياح في شمال سور اشناس في حين انـه رسم وادي اسحق بن ابراهيم في شمال سامراء الحالية وهـذا بعيد عن الواقع حيث لا ينطبق لا على وصف اليعقوبي ولا على الوضع الطبيعي الحالي الذي يرجح انه احتفظ بشكله الأصلي الى حد بعيد .

وقد وصف اليعقوبي في كتابه « البلدان » شارع السريجة كما وصف الابنية والقطائع التي انشئت عليه ، فقال ان شارع السريجة كان يمتد من المطيرة جنوباً الى وادي اسحاق بن ابراهيم شمالا ، وبعد أن يعبر الوادي يستمر في سيره نحو الشمال وينتهي بالقرب من الوادي الشمالي « وادي ابراهيم بن رياح » أما تسمية « وادي اسحاق بن ابراهيم » فسببها أن اسحاق بن ابراهيم انتقل في عهـد المتوكل الى شارع السريجة في مكان هذا الوادي « فبنى على رأسـه واتسع في البناء » فسمي الوادي باسمه .

وكانت قطيعة اسحاق بن يحيى بن معاذ على هذا الشارع مما يلي بناء اسحاق ابن ابراهيم شمالا ثم تتصل قطائع الناس يمنـة ويسرة في هذا الشارع الأعظم حتى تمـر الى ديوان الخراج الأعظم الذي يمتد شرقاً الى منتصف « شـارع ابي أحمد » الذي في جهة الشرق .

وكان في شارع السريجة (الشارع الاعظم) « قطائع قواد خراسان ، منها

قطيعة هاشم بن بانيجور ، وقطيعة عجيف بن عنبسة ، وقطيعة الحسن بن علي المأموني ، وقطيعة هارون بن نعيم ، وقطيعة حزام بن غالب ، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصية والعامية يتولاها حزام ويعقوب أخوه ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس والاسواق في هذا الشارع يمنة ويسرة مثل سائر البياعات والصناعات ويتصل ذلك الى « خشبة بابك (١) » ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، ثم الجامع المعروف الذي لم يزل يجمع فيه الى أيام المتوكل فضاق على الناس فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً في طرق الحير ، المسجد الجامع والاسواق من احد الجانبين ومن الجانب الآخر القطايع والمنازل وأسواق اصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب الفقاع والهرائس والشراب وقطيعة مبارك المغربي وسويقة مبارك وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر ثم قطيعة أبي الوزير (٢) ثم قطيعة العباس بن علي بن مهدي ثم قطيعة عبدالوهاب بن علي بن المهدي ، ويمتد الشارع وفيه قطايع عامة الى دار هارون بن المعتصم وهو الواثق عند دار العامة وهي الدار التي نزلها يحيي بن اكثم في أيام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة ثم باب العامة ودار الخليفة وهي دار العامة التي يجلس فيها يومي الاثنين والخميس ثم الخزائن ، خزائن الخاصة وخزائن العامة ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم ثم قطيعة قرقاس الخادم وهو خراساني ثم قطيعة ثابت الخادم ثم قطيعة أبي الجعفاء

---

(١) خشبة بابك . هو المكان الذي صلبت فيه جثة بابك الخرمي .

(٢) يحتمل أن يكون القصر المعروف بالوزيري.

وسائر الخدم » (١) .

ب ـ شوارع أبي احمد والحير الأول وبرغامش التركي (٢)

وكان على الشارع الثالث وهو شارع ابي احمد بن الرشيد الذي تقدم ذكره قطائع قواد خراسان والعرب وأهل قم وأصبهان وقزوين وآذربيجان . فكان في (أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التي بناها في أيام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان واسبابهم من العرب ومن أهل قم وأصبهان وقزوين والجبل وآذربيجان يمنة في الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى السريجة الاعظم وما كان مما يلي ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع ابي احمد ، ديوان الخراج الاعظم وقطيعة عمر (٣) وقطيعة الكتاب وسائر الناس وقطيعة أبي احمد بن الرشيد فى وسط الشارع ، وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقال له وادي ابراهيم بن رياح قطيعة ابن ابي دواد وقطيعة الفضل بن مروان وقطيعة محمد بن عبدالملك الزيات وقطيعة ابراهيم بن رياح فى الشارع الاعظم ثم تتصل هذه الاقطاعات في هذا الشارع وفي الدروب الى يمنته ويسرته الى قطيعة بغا الصغير ثم قطيعة بغا الكبير ثم قطيعة سيما الدمشقى ثم قطيعة برغامش ثم قطيعة وصيف القديمة ثم قطيعة ايتاخ ويتصل ذلك الى باب البستان وقصور الخليفة) .

وكان عدا الشوارع الثلاثة التي مر ذكرها ، وهي شوارع الخليج والسريجة وأبي أحمد ، شارعان آخران يمتدان بموازاة شارع أبي أحمد من جهة الشرق

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٣ و ٦٤

(٢) ري سامراء ج ١ ص ٦٥

(٣) يحتمل أن يكون القصر العمري .

اولها، أي الشارع الرابع يسمى (شارع الحير الأول) وكان يمتد من الجنوب الى الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم ومن ثم الى وادي ابراهيم بن رياح، وفيه قطائع الجند والشاكرية وأخلاط الناس وقد صارت فيه دار أحمد ابن الخصيب في أيام المتوكل .

أما الشارع الذي يلي شرقا، أي الشارع الخامس، فيسمى (شارع برغامش التركي) وكان يبدأ من الجنوب في المطيرة عند قطائع الافشين التي صارت لوصيف وأصحاب وصيف ثم يمتد بموازاة (شارع الحير الأول) حتى ينتهي بالقرب من الوادى الذى يتصل بوادى أبراهيم بن رياح شمالا . وكانت في هذا الشارع (قطائع الاتراك والفراغنة) فدروب الاتراك منفردة ودروب الفراغنة منفردة والاتراك في الدروب التي في القبلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القبلة كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس وآخر منازل الاتراك وقطائعهم قطائع الخزر مما يلي المشرق) (١) .

ج — شارعا الاسكر (العسكر ؟) والحير الجديد (٢)

ولما تولى المتوكل الخلافة وسع مدينة سر من رأى من الشرق والجنوب والشمال ففتح من الشرق شارعين خلف (شارع برغامش التركي) الشارع الاول، وهو المجاور لشارع برغامش يسمى (شارع صالح العباسي) وهو شارع الاسكر (العسكر ؟) وفيه قطائع الاتراك والفراغنة والاتراك أيضاً في دروب منفردة والفراغنة في دروب منفردة ممتد من المطيرة الى دار صالح العباسي التي

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٦

(٢) ري سامراء ج ١ ص ١٠٥

على رأس الوادي ويتصل ذاك بقطائع القـــواد والـكتاب والوجوه والناس كافة (١)) وعلى الأرجح أن المقصود بـ (رأس الوادي) رأس (وادي اسحاق ابن ابراهيم) الذي تقدم البحث عنه .

أما الشارع الثاني الذي خلف (شارع الاسكر) فيقال له (شارع الحير الجديد) فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة والاسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من سائر كور خراسان (٢).

وبذلك بلغ عدد الشوارع الموازية لنهر دجلة على طول مدينة سامراء سبعة شوارع أولها من جهة الغرب (شارع الخليج) وآخرها من جهـــة الشرق (شارع الحير الجديد) وكانت الشوارع الاربعة الاخيرة وهي « شارع الحير الاول » و « شارع برغامش التركي » و « شارع الاسكر » و « شارع الحير الجديد » تسمى « طرق الحير » (٣) .

ب — الشارع الأعظم

وأهم ما يلفت النظر في أمر هذا الشارع سعة عرضه واستقامة تخطيطـه مما يدل على عظمة مشروع مدينة المتوكل الجديدة والابداع فى تنسيقها وتخطيطهـا . وقد كتب اليعقوبي فى هذا الصدد قال (ومد المتوكل الشار ع الاعظم من دار أشناس التي بالـكرخ والتي هي صارت للفتح ابن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره ، وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه

---

(١) انظر كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٩ طبع النجف .

(٢) البلدان ص ٢٩ لليعقوبي مطبعة الحيدرية النجف ١٩١٨

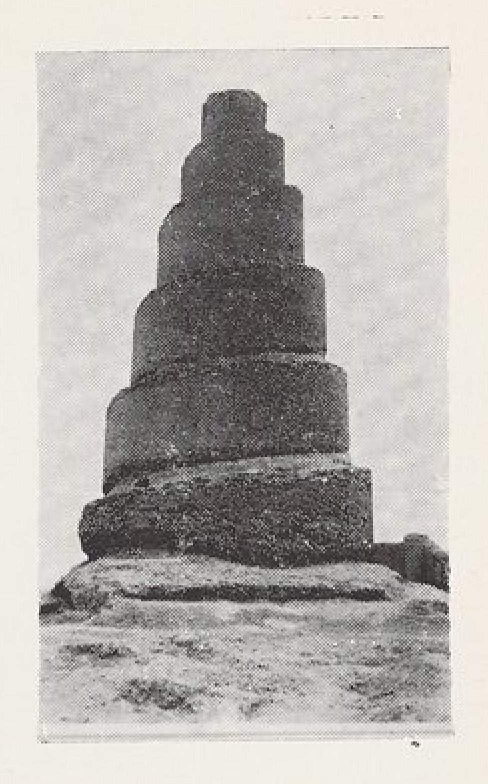
(٣) ري سامراء ج ١ ص ١٠٦

وأقطع الناس يمنة الشارع الأعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع وقدر أن يحفر فى جنبي الشارع نهرين يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذى يحفره » (١) .

ويمكن تتبع آثار هذا الشارع بين سور أشناس والمتوكلية إذ تحده أطلال الأبنية القديمة من الجانبين ، أما السواقي الجانبية التي كانت تستمد مياهاً من (النهر الجعفرى) والتي أشار اليها اليعقوبي فتشاهد آثارها على جانبي الشارع ايضاً في معظم اقسامه ويبدأ الشارع من سور أشناس بعرض حوالي خمسين متراً فيسير مسافة زهاء كيلومترين شمالا ثم ينعطف نحو الغرب قليلا فيسير من هنا في اتجاه مستقيم بين نهر دجلة ، ونهر القاطول الكسروى نحو المتوكلية ، وبعد أن يسير حوالي الكيلومتر في هذا الاتجاه يتضاعف عرضه حتى يصبح مائة متر ويستمر في نفس الاتجاه حتى اذا ما قطع زهاء ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر اعترضه السور الخارجي لمدينة المتوكلية وهو السور الذى يمتد عرضاً بين نهر القاطول الكسروى ونهر دجلة .

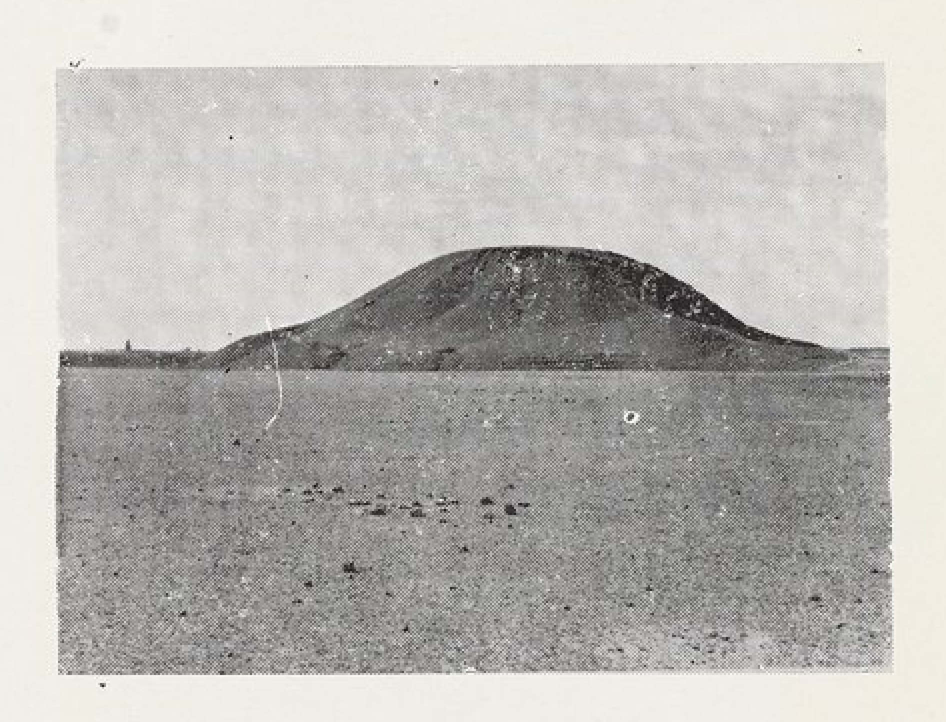
---

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٣٣٨ و ٣٠٩



٥ ـ جامع الملوية قبل التعمير

٤ ـ جامع الملوية بعد التعمير



٦ ـ تل العليق

المسجد الجامع الكبير

أو جامع الملوية

شيد المعتصم بالله سنة ٢٢١ هـ في سامراء جامعاً انفق عليه خمسمائة الف دينار وبنى المنارة أي (الملوية) ثم ضاق المسجد بالمصلين فهدمه المتوكل وشيد عوضاً عنه المسجد الجامع المنسوب اليه بين عامي (٢٣٤ ـ ٢٣٧ هـ — ٨٤٩ ـ ٨٥٢ م) وقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه ان المتوكل « اقطع الناس في ظهر سر من رأى في الحير الذي كان احتجزه المعتصم واتسع الناس بذلك وبنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » .

وقريب من هذا ما رواه البلاذري ونصه « لما استخلف المتوكل هارون الواثق بالله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فاقام بالهاروني وبنى بناء كثيراً وأقطع الناس في ظهر سر من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها وبنى مسجداً جامعاً كبيراً واعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » (١) .

وذكر المستوفي منارة الجامع فقال «ان المنارة القائمة في المسجدالجامع يومذاك

(١) ري سامراء جـ ١ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ : مطبعة المعارف ١٩٤٨ .

يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها في مكان آخر وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المعتصم » .

وقال المسعودي في مروج الذهب « ان المتوكل بنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليهـا من فراسخ فجمع الناس فيـه فتركوا المسجد الأول واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء ، واشتق نهر آخر وقـدر للدخول الى الحير فمات قبل أن يتم وحاول المنتصر تتميمه فلقصر أيامه لم يتمم ثم اختلف الامر بعده فبطل النهر وكان المتوكل انفق عليه سبعمائة الف دينار .

وأشار ابو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) منارة الملوية في سر من رأى في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب فقال « ان المتوكل كان يصعد منارة سر من رأى على حمار مريسي ، ودرج تلك المنارة من خارجها وأساسها على جريب من الأرض وطولها تسع وتسعون ذراعاً . ومريس قرية بمصر » ا . هـ

وذكر الدكتور مصطفى جـواد في احد تحقيقاته نقلا عن خلاصة الذهب المسبوك أن المسجد هذا من أبنية المعتصم فقال « سامراء : مدينة عظيمة كانت على طرف شرقي دجلة بين بغداد وتـكريت بناها المعتصم بالله سـنة احدى وعشرين ومائتين وانفق على جامعها خمسمائة الف دينار وجعل وجوه حيطانـه كلها رمسينا وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الاسحاقي (١) .

ويشاهد المرء آثار المسجد الجامع هذا مع مئذنتـه المعروفة باسم (الملوية)

---

(١) أصول التاريخ والأدب جـ ٧ ص ٩ . نقلا عن خلاصة الذهب المسبوك

شمالي شرقي مدينة سامراء الحديثة مباشرة ، وهي تعد من أهم الآثار الماثلة للعيان من مدينة سامراء القديمة ، ويمتاز هذا الجامع مع مئذنته عن بقية الجوامع بفسحته وضخامته وبمئذنته الغريبة . أما بناء الجامع فلم يبق منه غير جدرانه الخارجية التي تحيط بساحة مستطيلة طولها نحو ٢٤٠ متراً وعرضها ١٥٨ متراً . ويبلغ ارتفاع الجدران زهاء عشرة امتار وثخنها حوالي المترين وهي مبنية بالآجر . وقد دعمت هذه الجدران من خارجها بأبراج نصف دائرية وعددها اربعون برجاً (١) .

وكان فى جدران المسجد واحداً وعشرين باباً تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة اكبرها ٤٫٧٥ متراً وسعة اصغرها ١٫٥٠ متراً . ومن هذه الابواب خمسة في الضلع الشمالية لحائط المسجد (بابان صغيران فى جانبي الضلع وثلاثة أبواب كبيرة في الوسط) وثمانية فى كل من الضلعين المستطيلتين اللتين في الشرق والغرب (ثلاثة أبواب صغيرة وخمسة أبواب كبيرة) وتتفق مواقع الأبواب فى الحائط الشرقي مع مواقع أبواب الجانب الغربي ، أما الضلع الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذي يواجه القبلة وغير باب صغير في كل من جانبي المحراب ، وقد اختيرت مواقع الأبواب بحيث تتفق ونظام الاروقة في داخل المسجد . ولدي تدقيق اتجاه جدار القبلة تبين انه يقع على ١٩٨ درجة و ٣٠ دقيقة على حين أن (القبلة) تقع على ١٩٦ درجة و ٤٦ دقيقة أي أن اتجاه الجدار يرجع درجة واحدة و٤٤ دقيقة الى الشرق .

---

(١) فى سنة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة بترميم المسجد هذا وعمل سياج أمام الملوية كما قامت برفع الانقاض والاتربة التي في داخل فناء المسجد واستمر العمل حتى ١٩٦٤ .

ويستدل من استكشافات هرتسفلد على انه كان في حرم المسجد ٢٥ رواقاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها تسعة أعمدة ، وفي القسم الشمالي المقابل لحرم المسجد ٢٥ رواقاً ايضاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها ثلاثة اعمدة وتمتد هذه الصفوف من الاعمدة على شكل خطوط ذات زوايا قائمة الى داخل المسجد بالنسبة الى الجدارين ، الشمالي والجنوبي للمسجد ويلاحظ أن الرواق الاوسط من الـ ٢٥ رواقاً المذكورة فى كلا الجانبين اكثر اتساعاً من البقية . أما الجانبان الغربي والشرقي من المسجد ففي كل منهما ٢٣ رواقاً مؤلفة من ٢٢ صفاً من الأعمدة في كل صف منها اربعة أعمدة . وبذلك تكون جملة عدد الاعمدة ٤٦٤ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة دون طيقان من البناء .

أما المحراب فهو مستطيل اذ يبلغ عرضه ٢٫٥٩ متراً وعمقه ١٫٧٥ متراً ، وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان على شكل الساعة كانت قد جلبت من عينتاب . وكان يرتكز على هذه الاعمدة عقدان رأسيان يضمها اطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد .

وكان في وسط صحن المسجد فوارة عظيمة وهي التي ذكرها اليعقوبي بقوله وجعل فيه (اي المسجد) فوارة ماء لا ينقطع ماؤها ووصفها المستوفى بانها كانت من قطعة واحدة من الحجر محيطها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة اذرع وثخنها نصف ذراع وكانت تعرف بـ (كأس فرعون) .

وذكر الدكتور مصطفى جواد في أحد تحقيقاته نقلا عن بعض كتب التاريخ فى وصف الفوارة فقال « وفي حوادث سنة ٦٥٣ نقلت الى بغـــداد ففي

الحوادث » وفيها حملت القصعة الحجر المعروفة بقصعة فرعون من سر من الى بغداد في كلك وكانت عظيمة جداً فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمائة ثم كسرت ..

وقـد عزا المستوفي بنـاء المنارة والفوارة الى المعتصم كما عزا صاحب خلاصة الذهب المسبوك بناء الفوارة والمئذنة الى المعتصم ، على ان المصادر التاريخية تشير الى انها تعود الى عهد المتوكل .

وقد اثبتت تنقيبات هرتسفلد ان الاساس الاسطواني لقاعدة الفوارة كان مبنياً بالآجر ومونة الجـير والرماد . أما كأسها فكانت مرتكزة على قاعدة مكسوة بالرخام وقد عثر بجوار الفوارة خارج الاساس الاسطواني على قطع من اعمدة الرخام(١) والتيجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهبة ومحلاة بالفسيفساء الزجاجية . ولذلك يظن أن قد كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة من الاعمدة مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة (كأس فرعون) .

وقد ثبت لدى الدكتور أحمد سوسه خلال تدقيقه حول الموضوع هذا فقال إن الفوارة هذه كانت تستمد مياهها من القناة التي أنشأها المتوكل لايصال المياه الى مدينة سر من رأى ، وهي القناة التي كانت تبدأ من شمالي الدور فتسير الى مسافة حوالي أربعين كيلو متراً حتى تصل الى قلب العاصمة

ويستدل من حفريات هرتسفلد في منطقة المسجد على انه كان يحيط بالمسجد

---

(١) عثرت مديرية الآثار العامة خلال عام ١٩٦٤ على أربعة اعمدة من الرخام عندما رفعت الاتربة من ساحة الجامع .

سور عظيم من الآجر من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية ، وكان يحيط بهذا المستطيل العظيم من جوانبه الأربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع فى الشرق والجنوب والغرب وأكثر ضيقاً في الشمال . ويتضح من حفريات هرتسفلد في سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ان أضلاع السور الخارجي كانت تبلغ ٣٧٦×٤٤٤ متراً اي ان مساحة المسجد والزيادات التي فى خارجه كانت تربى على ١٧ هكتاراً او اكثر من ٦٨ دونماً عراقياً (مشارة) .

وتوجد داخل هذا السور بين جدران المسجد وبين السور آثار أبنية قديمة تدل على أنه كانت حوالي المسجد مدارس دينية يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك على نمط هيأة المدارس الدينية الحالية فى الجوامع والأماكن المقدسة .

أما منارة الملوية فتقع على بعد ٢٥ متراً من حائط المسجد الشمالي وعلى محوره الاوسط تماماً ، وهي مخروطية الشكل وتقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٢ متراً) وتعلو هذه القاعدة منارة حلزونية ذات مرقى سعته ٢٫٥٠ متراً يبدأ من وسط الجانب الجنوبي للقاعدة ويدور في اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تتم دورات خمس وتنتهي بغرفة صغيرة اسطوانية الشكل قطرها ستة أمتار وارتفاعها ستة امتار ايضاً ويزينها ثماني حنيات عليها عقود مدببة كل حنية منها في اطار قليل العمق يستند على عمودين صغيرين من الآجر ، والحنية الجنوبية تؤلف باباً تنتهي عنده المرقاة وتؤدي الى درج حلزوني ينتهي عند قمة المنارة : ويعتقد هرتسفلد أن هذا المرقى كان به قديماً ستائر خشبية لأن بالدرجات

ثقوباً يظن أنها عملت لتثبيت قوائم هذه الستائر الخشبية ، ويبلغ ارتفاع المنارة عن سطح الأرض اثنين وخمسين متراً وارتفاعها عن سطح القاعدة خمسين متراً . وفي القمة ثمانية ثقوب استنتج هرتسفلد من وجودها أنه ربما كانت تغطى هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة في هذه الثقوب ، ويبدو أن المنارة الملوية وشبيهتها منارة ابي دلف مشتقتان من بعض الزقورات البابلية وإن كان من الصعب أن نذهب الى أنهما منحدرتان او منقولتان عنها مباشرة وقيل إن هاتين المنارتين تذكران بالبروج المعروفة باسم (آتشكداه) والتي كانت تقام بايران لعبادة النار .

ويقول الدكتور أحمد سوسه عند وصفه هذه المنارة بقوله (ويتفق علماء الآثار بأن فكرة بناء مئذنة ذات مرقى حلزوني كالمئذنة التي تقدم وصفها مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة لأنها على طراز الزقورة التي كان يتخذها الصابئة من الكلدانيين والحرنانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب الهيكل . وأشار اليعقوبي الى أن المتوكل (جعل الطرق الى المسجد من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء تساوي الذراع السوداء حسب التقدير المتفق عليه من قبل العلماء المحققين حوالي ٤٩ سنتمتراً . لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع فى جيوشه وجموعه وبخيله ورجله ، ومن كل صف الى الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدروب واتسع أهـــل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت

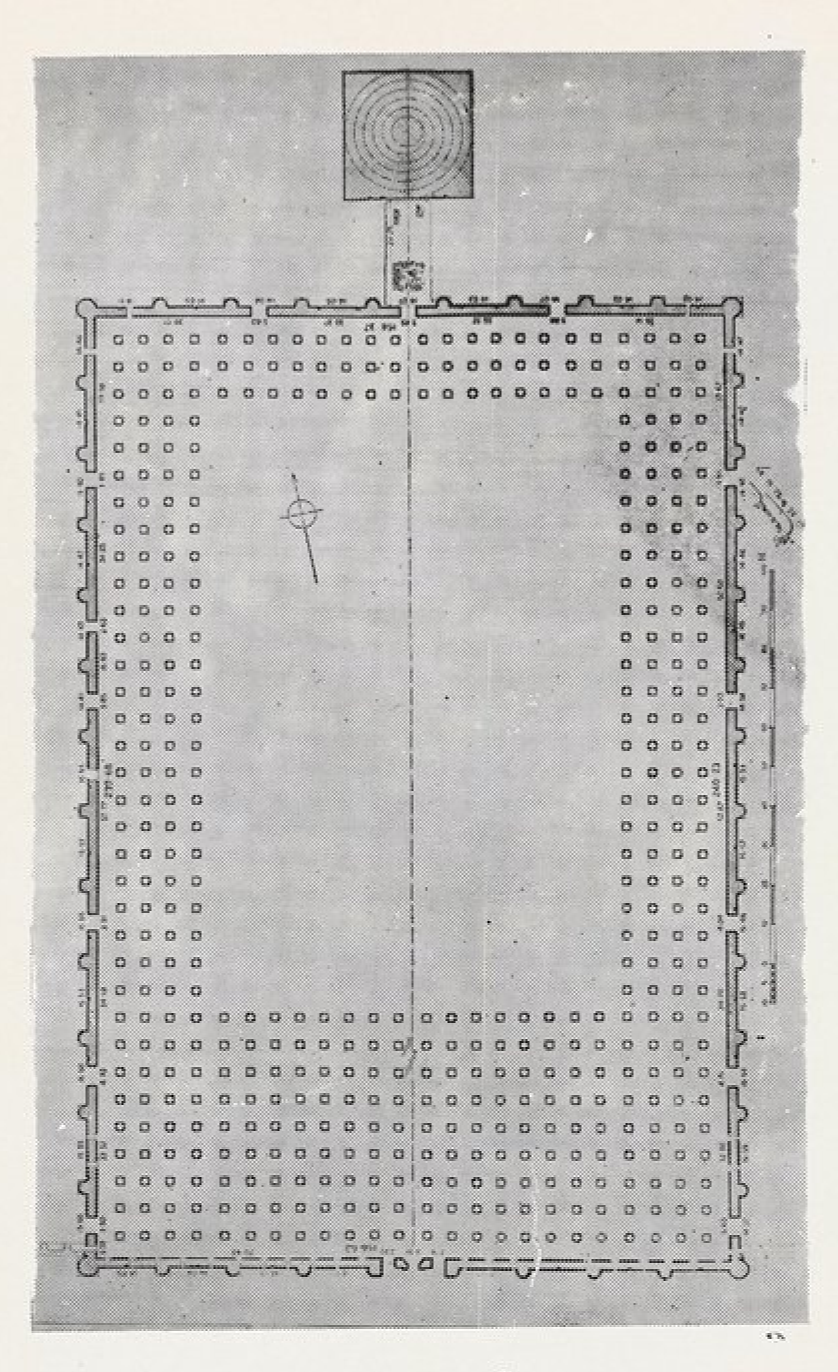
والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع ، واقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد واقطع احمد بن اسرائيل الكاتب أيضاً بالقرب من ذلك ، واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم (١) .

يتضح مما تقدم أن الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تتفرع من الشارع الأعظم الذي ينزل من وادي ابراهيم بن رباح ، وهو الشارع الرئيسي الذي كان يسير محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ومخترقاً حدائق (دار الخليفة) (دار العامة) الواقعة أمام الدار من جهة الغرب ، فتترك الشارع الاعظم جنوبي (دار الخليفة) و (قصر الهاروني) و (قصر الجوسق) وتتجه شرقاً حتى تفضي الى المسجد فى جانب الحائط الغربي الذي كانت فيه ثمانية أبواب وذلك بعد أن تخترق السور الخارجي للمسجد .

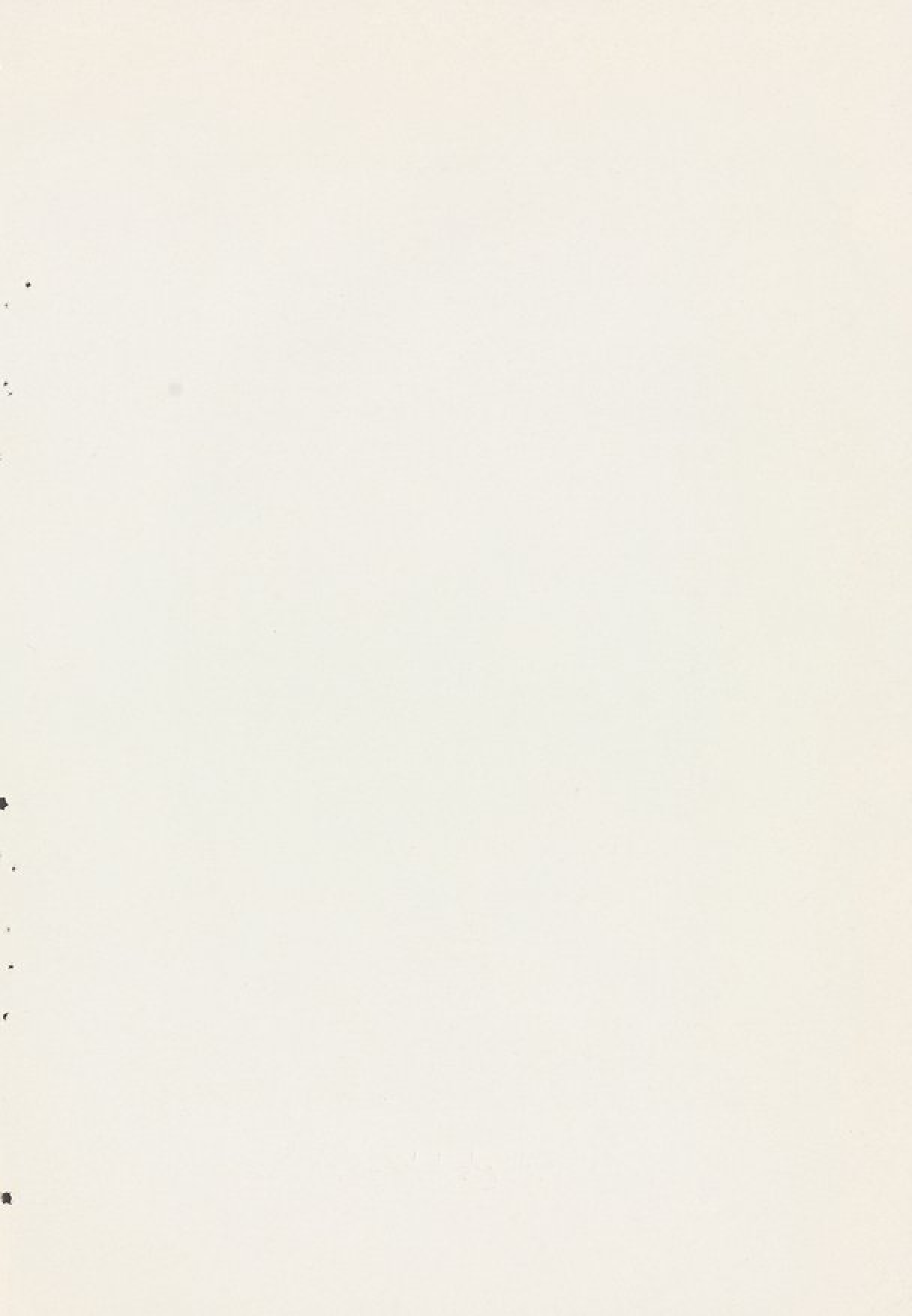
ويقول الدكتور احمد سوسه : (ومما يلفت النظر أن هرتسفلد رسم هذه الشوارع الثلاثة في الخارطة التي وضعها عن سامراء القديمة بحسب وصف اليعقوبي وهي صاعدة من الجنوب الى الشمال نحو الحائط الجنوبي للمسجد وهو الحائط الذي يقع فيه المحراب وكان بدون أبواب ولا شك أن ذلك بعيد كل البعد عن الواقع وهو لا يتفق ووصف اليعقوبي الذي يشير بصورة واضحة الى أن الشوارع الثلاثة كانت تنزل من جهة وادي ابراهيم بن رباح وهو الوادي الواقع في الشمال وفضلاً عن ذلك لا يمكن تصور هذه الشوارع في جنوب المسجد في حين أن الخلفاء كانوا يسكنون في القصور الواقعة فى الجهة الشمالية

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص ٣١ طبعة النجف .



٧ ـ تخطيط جامع الملوية



الغربية من المسجد كقصر الجوسق وقصر الهاروني ثم ليس من المعقول أن تتجه الشوارع في اتجاه حائط القبلة الذي يقع فيه المحراب وهو بدون اي مدخل .

وفيما ذكره الطبري عن حادث مقتل موسى بن بغا فى سنة ٢٥٦ هـ دليل واضح على أن الطريق المؤدي الى المسجد بين الجوسق والمسجد كان من جهة مئذنة الملوية اي من الشمال ، فقال الطبري ما نصه :

« وفي سنة ٢٥٦ اخرج العامة موسى بن بغا من داره ثم اخرجوه من باب الحير الذي يلي قبلة المسجد الجامع ليذهبوا به الى الجوسق فلما صاروا به الى حد المنارة ضربه رجل من اصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه الخ . . . » (١)

ويشاهد بجانب المسجد وعن شماله من الغرب سور من اللبن يسمى « سور عيسى » او « سور ام عيسى » يضم داخله بقايا بناء ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن موسى العباسي ، لأن اليعقوبي لم يذكره في كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التي اقطعها الخليفة اصحابه وبناء هذا السور من اللبن طوله ٣٦٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متراً ويشاهد المرء وراء السور على مسافة ٢٠٠ متر عنه تلولا كثيرة كشف الدكتور هرتسفلد عن قسم يعرف باسم « دار بهلول » فظهرت فيه البنية هي عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض وبناؤها باللبن وطلي خارجها بالجص وعلى الجص غشاء من البورق كما يشاهد على بعد كيلو مترين من السور شمالا آكام وتلول على جانبي الطريق الذي فى الحدود الشرقية للاطلال تعرف الآن بـ « مدق الطبل » وقد دلت التنقيبات فيها أنها كانت دوراً

---

(١) الطبري (٣ : ١٨١٠)

واسعة تشتمل على كثير من الحجرات كلها قرينة بالزخارف والتخاريم الجصية .

ويقول الدكتور كرزول في وصفه جامع الجمعة ما نصه : مسجد سامراء مستطيلا طوله ٢٤٠ متراً وعرضه ١٥٨ متراً (اي بنسبة ٣ : ٢) تطيف به جدران ذات ابراج مبنية جميعها بالآجر . فمساحته على التقريب ٣٨ الف متر مربع ومحرابه ليس على سمت القبلة فهو منحرف عنها بمقدار ١٫٣٠ درجة لأنه يقع على درجة ١٢ جنوباً بغرب بينما القبلة الحقيقية للمكان تقع على درجة ١٣٫٣٠ . ولم يبق من هذا المسجد غير جدرانه الخارجية أما الدعائم والأعمدة والسقف فلا وجود لها . وتبلغ ثخانة هذه الجدران مترين وهي مبنية بالآجر الاحمر الغامق الضارب للسواد الذي تبلغ الواحدة منه ٢٤ سنتمتراً مربعاً . وقد تآكل وجه البناء الى ما فوق قامة الرجل بفعل الرطوبة والاملاح وما تنتجه من التأثير الكيماني فى مواد البناء لا بسبب تعرضه لرمال الصحراء وهبوب الرياح كما كانت تعتقد العالمة الآثرية جرترودبل Gertrud bell وهو يشبه من هذه الوجهة قصر الحير . والابراج نصف دائرية تقريباً وقطرها في المتوسط ٤٫٥٠ المتر وهي تبرز عن الحائط بمقدار مترين . وبين كل برج والذي يليه ١٥ متراً تقريباً . وهناك من هـــذه الأبراج أربعة في الاركان وعشرة فى كل من الجدران الشرقى والغربي وثمانية في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي ، فهي جميعاً أربعون برجاً . وتبرز الابراج الواقعة في الاركان الجانبية مترين الى الخارج ومترين فى الداخل ، ولذلك فأقطارها اعظم من أقطار الابراج الاخرى التي لا تبرز سوى مترين الى الخارج فقط .

(الابواب) لهذا المسجد واحد وعشرون باباً كبيراً وبابان صغيران سعة كل منهما ١٫٢٥ المتر ومن هذه الابواب خمسة من الجانب الشمالي للمسجد بين

كل منها والذى يليه برجان يحصران بينها جزءاً من الحائط لا باب فيه . على الترتيب الآتي :

برج الركن الشمالي الشرقي . . . يتلوه الباب الاول .

وبرجان يحصران بينها جزءاً من الحائط لا باب فيه .

ثم الباب الثاني ، ويتلوه برجان بينها جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الثالث ، ويتلوه برجان بينها جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الرابع ، ويتلوه برجان بينها جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الخامس ، ويتلوه برج الركن الشمالي الغربي .

اي إن البرجين الجانبيين الركنيين الشماليين والابراج الشمالية الاخرى تحصر بينها خمسة ابواب مفتوحة فى الجدار الشمالي والرسم الآتي يوضح ذلك :

برج الركن ، برج برج برج برج برج برج برج برج ١٠ برج الركن
الشمالي الشرقي ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ الشمالي الشرقي

ه__: :_ه__ه_: :_ه__ه__: :__ه__ه_: :_ه__ه_: :__ه

باب باب باب باب باب
١ ٢ ٣ ٤ ٥

ويبلغ متوسط سعة البابين القريبين من الركنين ١٫٥٠ المتر ومتوسط سعة الابواب الثلاثة الاخرى ٤ أمتار . وبالحائط الغربي ثمانية ابواب تقع من الشمال الى الجنوب على النظام الآتي :

١ ـ باب سعته ٤٫٥٥ المتر وحائط ٢٠ ـ باب سعته ٤٫٧٥ المتر وحائط

٣ ـ باب سعته ٣٫٨٥ المتر وحائط ٤٠ ـ باب سعته ٢٫٦٢ المتر ٥٠ ـ باب

سعته ٤٫٠٠ أمتار ٦٠ ـ باب سعته ٢٫٦٢ المتر وحائط ٧٠ ـ باب سعته ٤٫٠٥ المتر وحائط ٨٠ ـ باب سعته ١٫٥٠ المتر .

يضاف اليها باب صغير سعته ١٫٢٥ المتر مما يلي البرج الركني الجنوبي .
وتتفق مواقع الابواب في الحائط الشرقي المقابل مع مواقع ابواب الجانب الغربي بحسب النظام السابق عدا البابين الرابع والسادس فلا وجود لهما ولذلك نجد مواقع الابواب في هذا الجدار كما يلي :

باب حائط باب حائط حائط باب حائط حائط باب حائط باب

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

فهناك ستة ابواب فقط يضاف اليها الباب الصغير الخلفي في الطرف الجنوبي ومن ذلك يتضح خطأ التخطيط الذي وضعه دي بيلييه De Beylie في ثلاثة جوانب من المسجد والذي رسمه فيوليه Viollet في الجانب الشمالي وخطأ التخطيطين اللذين نشرهما هرتسفلد أيضاً عن هذا المسجد والرسم الوحيد الصحيح الذي نشر هو الذي عملته جرترودبل وقلما نجد مواقع الابواب في منتصف الحائط المفتوحة فيه تماماً. وإذا فحصنا نظام أروقة المسجد فاننا نجد أن هذه الابواب قد اختيرت مواقعها بحيث تتفق ونظام الاروقة في حرم المسجد ورواقيه الجانبيين وتقع على محاورها .

أما في الجانب الجنوبي للمسجد فلا يوجد سوى ثلاث فتحات في الجزء الأوسط من الجدار وقد أثبتت استكشافات هرتسفلد وحفائره أن الفتحة الوسطى لم تكن باباً بل محراباً .

ويمتاز البرجان الجانبيان النصف الدائريين اللذان يحفان به عن غيرهما بأنهما مستطيلان من وجههما الداخلي حتى مستوى قمة الابواب وبذلك تكون جملة

الابواب واحداً وعشرين باباً يضاف اليهما بابان صغيران سعة كل منهما ١٫٢٥ المتر كما قدمنا . وقد سقطت جميع أجزاء البناء التي كانت تعلو الابواب الكبيرة ، ولكننا إذا فحصنا الاكتاف الجانبية للابواب الباقية في حالة جيدة إتضح لنا أنه كانت هناك عقود عانقة واطئة تقويها كتل خشبية ، ففي الباب الجنوبي الكبير في الجانب الغربي مثلا نجد الى اليمين أن البناء (من الطوب) يميل بانحناء الى الخلف ، ويستنتج من ذلك أن عقداً واطئاً كان يبدأ من هذا المكان كما ترى في الحائط مواضع الاعتاب او الكتل الخشبية فى نفس المستوى وأعلى منه قليلا . أما جزء من الحائط الذي يعلو هذه الآثار فهي مبنية بالطوب وليس فيه ما يستحق الملاحظة سوى أنه يبرز قليلا عن جانب الباب الذي يقع أسفله . فماذا يعني ذلك ؟

إن الجواب عن ذلك يمكن معرفته اذا فحصنا فحصاً دقيقاً . ففي أحد الابواب نرى بدء عقد صغير جداً ممتداً الى الخلف على هيئة قبو متجه الى داخل الحائط مما يدل على أنه كانت هناك عدة نوافذ صغيرة معقودة تعلو قمة كل باب من الابواب الكبيرة أسفل الافريز ذي الحشوات الغاطسة مباشرة . وهذا يفسر السبب في عدم وجود نوافذ في الجزء الجنوبي النهائي في كل جانب . إذ لم تكن هناك حاجة اليها لوجود الفتحات التي تعلو هذه الابواب ولكنها كانت ضرورية في أجزاء الحائط التي تليها حيث لا توجد ابواب بها .

(الافريز) والابراج خالية تماماً من الزخرفة ولكن الحائط محلى بطراز من الزخارف قوامه ست دخلات مربعة في كل منها زخرفة على هيئة صحن الفنجان وهي غير عميقة إذ يبلغ قطرها متراً وعمقها ٢٥ سنتمتراً ولا يزال بعضها

تغطيه كسوة من الزخارف الجصية وجزؤها العلوي على شكل عقد نصف دائري لا على هيئة دائرة كاملة كما كان ينتظر في مثل هذه الحالة . وفي كل جزء من الحائط شق رأسي عمودي (وفي واحد منها شقان) ولا شك أن هـذه الشقوق كانت بها أنابيب (او مواسير) لتصريف مياه المطر من سطح المسجد المستوي وجملة ارتفاع الحائط في الوقت الحاضر حوالي ١٠٫٥٠ المتر ويظهر أن ارتفاعه الاصلي لم يكن يربي على ذلك كثيرا .

(الشبابيك) وبالجزء العلوي من الحائط الجنوبي أسـفل مستوى الافريز ٢٤ نافذة اثنتان منها فوق البابين اللذين يحفان بالمحراب . وتقع هذه النوافذ على أبعاد متساويـة الا في منتصف الحائط فان ارتفاع الاطار المستطيل الذي يحيط بالمحراب جعل من المتعذر فتح نافذة في هذا الموضع . وسنرى ان مواقع هـذه النوافذ تتفق تماماً مع نظام اروقـة حرم المسجد الخمسة والعشرين وانها تقع على محاورها . وقد كانت هناك ايضاً نافذتان اخريان في كل جانب من جوانب الجزء الثاني من الحائط من الجنوب وبذلك يصبح جملة عدد النوافذ ٢٨ نافـذة على انه لم تـكن هناك نوافذ أخرى لعدم الحاجة اليها لأن الاروقة الجانبية كانت أقل عمقـاً من أروقة حرم المسجد . وهذه النوافذ من الخارج عبارة عن فتحات ضيقة مستطيلة . أما من الداخل فتعلوها عقود ذات خمس حنيات تحملهـا أعمدة جانبية متصلة بالحائط . ويحيط بذلك جميعه اطار مستطيل غاطس .

وقد سبق أن اوضحنا أن هذه النوافذ تقع بالضبط على محاور الاروقـة ولـكنها ليست على نسق واحد في أجزاء الحائط التسع فتارة تكون مفتوحة في الحائط واخرى في جوانب الابراج وهناك نافذة مفتوحة في وسط احد الابراج

تماماً . وقد عثر هر تسفلد في حفائر سنة ١٩١١ على قطع من الزجاج ثخنها ٢٫٥ سنتمتر هي بلاشك من النوع الذي كانت تملأ وتحلى به هذه النوافذ .

(المسجد من الداخل) :

نظرا لعدم وجود الدعائم التي كان يقوم عليها سقف المسجد لأخذها من مواضعها بغية الاستفادة من مادتها واستخدامها فى أغراض أخرى لم يكن من المستطاع معرفة تخطيط المسجد بالضبط حتى قام هر تسفلد باستكشافاته سنة ١٩١٠ اللهم الا فيما يتعلق بعدد أروقة حرم المسجد فان الاعمدة حين نزعت حتى أسسها تخلفت عن ذلك حفر يستدل بها الآن على أنه كان يوجد اربعة وعشرون صفاً من الاعمدة تكون خمسة وعشرين رواقاً تتفق محاورها مع مواقع والرواق الأوسط منها اكثر اتساعاً من بقيتها وقد كان السقف يرتكز على هذه العمد مباشرة فلم تكن هناك حاجة الى القناطر ولو كانت هناك قناطر لشاهدنا آثار اتصالها بالحائط ، ولكن هذه الآثار لا وجود لها مطلقاً في جميع الجدران .

وقد أثبتت استكشافات هرتسفلد وأعمال الحفر التي قام بها انه كان يوجد حقيقة بحرم هذا المسجد ٢٥ رواقاً الأوسط منها اكثر اتساعاً من البقية و ٢٤ صفاً من الأعمدة في كل منها عشرة عمد وبالرواق الشمالي (ويمكن تسميته بالبلاط او الأيوان او الليوان الشمالي) ٢٥ رواقاً الاوسط منها اكثر اتساعاً من البقيـة و ٢٤ صفاً من الأعمدة فى كل صف منها ثلاثـة عمد تسير عمودية على الحائط الشمالي .

أما الرواقان الجانبيان فكان بكل منها ٢٢ صفاً من الأعمدة مكونة ٢٣ رواقاً في كل صف منها أربعة عمد تسير موازيـة لحائط القبلة وبذلك تكون

جملة عدد الاعمدة ٤٨٨ عموداً ٠

(الاسس) كانت أسس الجدران مرتكزة على الصخر وكذلك كانت صفوف الاعمدة تقوم على أسس مستمرة قليلة الارتفاع مبنية على الصخر ٠ وقد ملئت المساحات الواقعة بين جدران هـذه الاسس الواطئة بالدقشوم والحصى وسوى سطحها ثم غطى بطبقة من الطوب كانت بمنزلة قاعدة لارضية القاعات الرخامية ، وهذا يؤيد ما رواه المقدسي من أن أرض هذا المسجد كانت مفروشة بالرخام ٠ ويظهر أن صحن المسجد كان مبلطاً بالطوب فقط ٠ وقد وجـد هرتسفلد أن الجـزء الاكبر من طوب ارضية الصحن لا يزال بحالته الاصلية لم تمتد اليه يد بينما طوب جدران الاسس قد اخذ جميعه ونقل من موضعه ولم يبق منه شيء أصلا ٠

(الدعائم) :

يمكن معرفة شكل الدعائم اذا درسنا بعناية آثار مواضعها الباقيـة فى الردم حيث لا تزال بقية باقية من الجص الذى كان يكسو قواعدها ٠ وقد كانت هذه القواعد مربعة وطول كل ضلع ٢٫٠٧ المتر وترتكز عليها ارجل مثمنة مبنيـة بالطوب في كل ركن من اركانها الاربعة عمود من الرخام ذو تاج مركب ٠ وقد امكن قياس أوجه الارجل الثماني حيث لا تزال بقاياها في الردم ٠ وقـد كانت بعض الاعمدة الرخامية مستديرا وبعضاً مثمناً قطرها حوالي ٣٠ سنتمترا اما بدن العمود فكان يربي على المترين ٠ وترتكز هـذه الاعمدة على صفائح من الرصاص وتدور حولها أطواق من المعدن في مواضع هـذا الاتصال ٠ وقد لحظ على احدى الارجل (او الاساطين) بعض الرموز اليونانية التي كان يتركها

البناءون اليونانيون على صدق الرواية القائلة بجلب البنائين والأعمدة من اللاذقية وانطاكية . وهذه الأعمدة الجانبية ذات تيجان وقواعد على شكل الساعة . وارتفاع داخل المسجد من البلاط حتى مواضع كتل السقف ٩٫٣٥ المتر وهـذا يسمح بوجود تاج وقاعدة ارتفاع كل منهما ذراعان وعمود ركني بدنه مكون من ثلاث قطع يضاف اليها تاج وقاعدة ارتفاعها ٥٠ سنتمتراً ، وكانت الأعمدة مختلفة الالوان والمواد وقد وجد منها تسعة ألوان . أما من حيث المواد فكان أكثرها من الرخام (١) وقليل جداً من الجرانيت وكانت الارجل مبنية بالآجر ومطلية بالجص بلون يتفق مع لون بدن العمود المتصل بها .

ونحن لا نعلم على وجه الدقة كيف عولجت واجهة الصحن ولا الحالة التي كانت عليها إلا أن هرتسفلد عثر على أربعة عمد من أعمدة إحدى الارجل في موضع أساس الركن الجنوبي الشرقي للصحن بالضبط واستنتج منها أن واجهة الصحن لم تكن تختلف مطلقاً عن صفوف الاعمدة التي خلفها . إلا أنه لاحظ أن أسس واجهـة الصحن اعرض من أسس بقية صفوف الاعمدة .

(المحراب) :

وقـد أثبتت حفائر هرتسفلد أن ما كان يظن من قبل أنه باب في منتصف الحائط القبلي لم يكن في الحقيقة سوى محراب المسجد ولم يكن تجويف هـذا المحراب مستديراً بل مستطيلا عرضه ٢٫٥٩ المتر وعمقه ١٫٧٠ المتر وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان على

(١) في عام ١٩٦٤ م رفع التراب من داخل المسجد فعثر على أربعة اعمدة من الرخام

شكل ساعة جلبت من عينتاب وكان يرتكز على هذه الاعمدة عقدان مدببان متحدا المركز يضمها إطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد ويتكون من حز وخوصة منشورية وحز عريض وقطاعها جميعاً على شكل ثلاثة ارباع دائرة ولا يبرز هذا الاطار على وجه الحائط . وقد كان خصرا هذين العقدين محليين بفسيفساء مذهبة . وقد عثر على عدة قطع من الزخارف الجصية ولكن لم يكن من المستطاع معرفة مواضعها بالضبط .

ووجد هرتسفلد ايضاً أن البابين الواسعين اللذين يحفان بالمحراب ويعلوهما عتبان أفقيان لم يكونا مدخلين رئيسيين مفتوحين من الخارج بل كانا يوصلان الى غرف متصلة بالمسجد وبوجه الحائط حول المحراب والبابين الجانبيين كثير من الحزوز الأفقية يعتقد هرتسفلد أنها آثار مواضع تركيب بعض الحشوات الخشبية .

(الزخارف) :

يقول المقدسي: إن هذا المسجد كان يضارع مسجد دمشق في رونقه وبهائه وإن جدرانه كانت مكسوة بالميناء وقد اختلف رانكنج ولسترينج في ترجمة هذه العبارة فترجمها الاول على أنها كانت مطلية بالميناء وترجمها الثاني على أنها تعني ألواح الخزف او مربعات القاشاني المموهة بالميناء أما هرتسفلد فشك في صحة استنتاج هذين العالمين وذكر أن كلمة الميناء الواردة بهذه العبارة تعني الفسيفساء الزجاجية . وعزز رأيه هذا بالاشارة الى ما رواه اليعقوبي من أن المعتصم (حمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف) . ولكنه عاد فيما بعد وغير رأيه هذا وأبدى أنها تعني الخزف ذا البريق المعدني لأنه كان بلا شك

شائعاً ومعروفاً في ذلك الوقت . ودليل ذلك إطباق القاشاني التي ارسلت من بغداد الى مسجد القيروان الكبير سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ ـ ٨٦٣ م) وما زالت تحلي محراب هذا المسجد الى الآن .

إلا أن الاستكشافات التي قام بها في هذا الموضع فى سنة ١٩١٠ على رأس البعثة الألمانية أثبتت صدق رأيه حيث عثر على كثير من بقايا الفسيفساء الزجاجية التي يمكن الآن معرفة الطريقة الفنية في صناعتها وإن كان من المستحيل معرفة أشكال الموضوعات الزخرفية والرسوم التي كانت تتكون منها .

(الفوارة)

ولا تزال فى وسط الصحن بقايا الفوارة العظيمة التي كانت بهـذا المسجد وذكرها اليعقوبي بقوله : (وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع ماؤها) .

ووصفها المستوفي بأنها كانت من قطعة واحدة من الحجر . دورها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة أذرع ثخانتها نصف ذراع وكانت تعرف بكأس فرعون . ولم تكن توجد قطعة واحدة من الحجر بهذه الضخامة في جوار سامراء ولا في المناطل المحيطة بها أكثر من ثلاثين فرسخاً .

وروى المستوفى ايضاً أنه (اي المعتصم) بنى مئذنة للمسجد ارتفاعها ١٧٠ ذراعاً يرقى اليهـا من الخارج وهي منفردة فى طرازها ولم يبن نظيرها من قبل ، ولا شك أنه بقوله هذا يشير الى فوارة ومأذنة مسجد سامراء . وإن كان قد عزا بناءه خطأ الى المعتصم وقـد أثبتت حفائر هرتسفلد أن الأسطوانى للقاعدة كان مبنياً بالطوب ومونة الجير والرماد . وهو الجزء الباقي من هـذه الفوارة . أما كأسها فكانت مرتكزة على قاعدة مكسوة بالرخام لا تزال بقايا جزء منها موجودة

الى الآن . وعثر بجوار الفوارة خارج الاساس الاسطوانى على قطع من أعمدة الرخام والتيجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهبة ومحلاة بفسيفساء زجاجية، ولذلك يظن انه كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة من الاعمدة مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة (كأس فرعون)

(الزيادات) :

يتضح من دراسة الطرف الجنوبي للجزء الجنوبى من حائطي السورين الشرقي والغربى أنه كان هناك حائط يتصل بهذين الطرفين . ودليل ذلك أنه لا يزال يوجد بقايا بدء عقد منخفض بالحائط الغربى . مما يدل على أن هذا الحائط كان محلى ببوائك معقودة صماء مماثلة للبوائك المسدودة(برحبة الشرف) بقصر الاخيضر .

وتدل الصورة الجوية التي صورت لهذا المسجد على أن هذه الحيطان لا يكاد يرى السائر آثارها إلا بصعوبة كانت جزءاً من سور عظيم كان يطيف بالمسجد من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية وكان يحيط بهذا المستطيل العظيم من جوانبه الاربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع في الشرق والجنوب والغرب وأكثر ضيقاً فى الشمال . ويعرف هذا الفضاء المتروك بين السورين بالزيادة . وكانت جدران الزيادات جميعاً مبنية بالطوب ولكنه ـ مع الاسف الشديد ـ حمل أكثره الى جهات أخرى (١) .

ويتضح من حفائر هرتسفلد سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ أن اضلاع السور الخارجي كانت تبلغ ٣٧٦ × ٤٤٤ متراً أي ان مساحة المسجد والزيادات تربى

---

(١) أثبتت التنقيبات التي أجريت في المسجد المذكور عام ١٩٦٧ من قبل مديرية الآثار العامة بوجود زيادة بالجانب الغربي من المسجد حيث ظهر مكان الاعمدة الرخامية .

على ١٧ هكتاراً او اكثر من ٤١ فداناً . ولا شك أن الابنيـة التي كانت بهـا المراحيض وأماكن الوضوء او المطهرة كانت جميعاً بهذه الزيادات كما يشاهد ذلك في مسجد ابن طولون الذي بني على مثال هذا المسجد .

وقد ذكر اليعقوبي أن المتوكل (جعل الطرق المؤدية الى المسجد من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيهـا اصناف التجارات، والصناعات والبياعات عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لئلا يضيق عليه بالدخول الى المسجد في الجمع فى جيوشه وجموعه ورجاله ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب وسلك فيهـا قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على المنازل والدور واتسع أهـل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق في صفوف الجامع . . . الخ .

وقد عالج شفارتش Sehwarz موضوع هذه الصفوف وعارض فى أن وجودها بهذه العظمة والاتساع يستلزم أن تكون للمسجد واجهة تساوي تقريباً طول أحد جوانبه تؤدي اليها هذه الصفوف . ولأجل أن يتغلب على هذه الصعوبة ظن أن هذه الصفوف لم تكن سوى الزيادات في الحقيقة وهمية لأنه لم يتنبه الى أن هـذا السور الخارجي كانت اطوال اضلاعه ٣٧٦ × ٤٤٤ متراً وهي كافية تمامـاً لأن تنتهي اليها هذه الشوارع او الصفوف الثلاثة .

(المئذنة) :

وتعرف بالملوية وتقع بالزيادة على بعـد ٢٥ متراً من الحائط بالمسجد وعلى محوره الاوسط تماماً وطول ضلع قاعدتها المربعة ٣٢ متراً وهي تتصـــل بالمسجد بأساس طوله ٢٥ متراً وعرضه ١٣ متراً وفي وسطه صغير يوصل الى القاعدة حيث

يبدأ المرقى بطريقة تشبه تماماً زيجورات بابل . والقاعدة محلاة الى جانبي الجسر بصفة (محراب صغير) مستطيلة قليلة الغور . وتعلو هـذه القاعدة مئذنة حلزونية ذات مرقى سعته ٢٫٥٠ المتر يبدأ من مركز او وســط الجانب الجنوبي ويدور فى اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تتم دورات خمس وكلما صعد الانسان الى أعلى زاد انحدار المرقى شدة . ويعتقد هرتسفلد إن هذا المرقى كان به قديماً درابزين من الخشب لأن الدرجات فيها ثقوباً يظن أنها عملت لتثبيت قوائم هذا الدرابزين الخشبي ، وفي قمة هذا الجزء الحلزوني طابق آخر اسطواني قطره ستة أمتار وارتفاعه ستة أمتار كذلك محلى بثمانية صفف عقودها مدببة كل منها في اطار قليل الغور مدبب العقد بعمودان صغيران من الطوب ، وينتهي المرقى عنــد الصفة الجنوبية وهي مفتوحة وبها باب يوصل الى ســلم شديد الانحدار يبدأ مستقيماً ثم يصير حلزونياً بعد ذلك . وفي نهايته نجد قمة المئذنة وهي ترتفع عن القاعدة بمقدار ٥٠ متراً تماماً . وفي هذه القمة ثمانية ثقوب استنتج هرتسفلد من وجودها أنـه ربما كانت تغطي هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة فى هذه الثقوب . هـذه هي صفة المئذنة الملوية إلا أن ريفويرا Rivoiro العالم الأثري الايطالي يشير اليها بقوله (إن المئذنة المربعة التي يتوجها في أكثر الاحيان طابق اسطواني علوي كانت الطراز السائد في عصور الاســلام الاولى كمئذنة مسجد ابن طولون والحاكم بالقاهرة) .

(نفقة المسجد) وقـد بلغت النفقة على المسجد خمســة عشر الف الف درهم كما روى ياقوت الحموي او ما يساوي اربعمائة الف جنيه استرليني بالعمــلة الانــكليزية .

(التاريخ) والمؤرخ الوحيد الذي ذكر التاريخ الحقيقي لبناء هذا المسجد هو – على ما وصل اليه علمنا – سبط ابن الجوزي وهو يقول انه بدىء في بنائه في سنة ٢٣٤ هـ – ٨٤٩ م وانتهى العمل فيه في سنة ٢٣٧ هـ – ٨٥٢ م .

(المئذنة) من الآراء المسلم بها الشائعة أن فكرة بناء مئذنة ذات مرقى حلزوني كمئذنة مسجد سامراء وابي دلف مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة ولكن هاتان المئذنتان ليستا صورة صادقة للزيجورات إذ أن الأخيرة كانت كلها رباعية التخطيط بمعنى أنها كانت مربعة او مستطيلة بنسبة ٣ : ٢ أضف الى ذلك ان الزيجورات لم تكن جميعها من طراز واحد وقد اثبتت الدراسات الحديثة لهذا الموضوع أن الطراز الذي كان أكثر شيوعاً من غيره في بناء هذه الزيجورات كان شكل برج مدرج ذي طبقات تتناقص سعتها كلما ارتفع البناء وواجهتها عمودية . ويرقى الى قمة الطابق الاسفل منها بسلم خارجي شديد الانحدار ويمكن الوصول الى الطبقات العليا بأجزاء تعتبر امتداداً لهذا السلم .

فاذا فرضنا أن هذا السلم كان يرتفع على ٤٥ فمن البديهي ان يرتد كل طابق من البناء الى الداخل مسافة تساوي مقدار ارتفاعه . وليس هذا الطراز هو الاصل الذي بنيت على مثاله المأذنة الملوية ولكنها مشتقة من طراز آخر مسقطه الافقي مربع ذو سلم او مطلع قليل انحدار يدور حول البناء في دورات كاملة حتى القمة .

ومن الغريب انه لم يبق من هذا الطراز الامثال واحد هو زيجورات خرساباد الذي استكشفه بليس Place منذ سبعين عاماً وهو مكون من ثلاث طباق سليمة وبقايا طابق رابع وقد انتقد بعضهم ملاحظات بليس فى هذا الصدد وعارضوا

في دقتها وصحتها ورفضها كولديوي Koldewey كلية ولكن من الصعب أن نعتقد أن هذه الملاحظات لم تكن في جوهرها صحيحة وهو يقول انه بدلاً من أن يجد البناء مستديراً كما كان ينتظر وجده مربعاً تام التربيع طول ضلعه ٤٣٫١٠ المتر وركنه الجنوبي مبدأ سلم قليل الانحدار سعة درجته متران وعرضها ٨٠ سنتمتراً وارتفاعها سنتمتران ويمتد هذا السلم على طول الضلع ويدور عند الاركان ثم يستمر صاعداً ماراً بجميع اركان البرج على التعاقب حتى وجد المستكشفون انفسهم ثانية عند نقطة لا يزيد ارتفاعها عن النقطة التي بدءوا منها سوى ٦٫١٠ من المتر .

* * *

كانت واجهات البرج محلاة بمجموعة من البدنات والدخلات وبالحافة الخارجية للسلم آثار دروه وجد بعض اجزائها في نقطتين في حالة سليمة تمكننا من معرفة شكل الشرفات التي كانت عليها . وكان السلم يدور حول البرج على طراز سلم سامراء اي عكس عقارب الساعة كما وجدت ثلاثة أدوار او طباق قائمة ارتفاع كل منها ٦٫١٠ المتر وبقايا طابق رابع وينقص طول ضلع كل طابق عن الذي في اسفل بمقدار اربعة امتار لارتداد كل طابق الى الداخل مترين بسبب السلم وقد وجد بليس أن الطابق الاسفل كان محلى بزخارف جصية بيض والثاني ملطخ بالسواد والثالث مائل الى الحمرة والرابع مائل الى الزرقة .

واستناداً الى الوصف الذي ذكره هيردوتس Herodotus عن الزيجورات التي بمعبد بعل ببابل اعتقد بليس ان هذا البرج كان مكوناً من سبع طبقات ارتفاع كل منها ٦٫١٠ المتر اي ان الارتفاع الكلي للبرج كان يبلغ ٤٢٫٦٠ المتر وهو يساوي بالضبط طول ضلع القاعدة .

ومع انه لم تستكشف أمثلة اخرى من طراز هـذه الزيجورات فليس من المعقول ان نعتقد كما فعل كولديوي Koldewey ان بليس Place قد انساق وراء خياله بعيداً ولا سيما انه لم يعثر من قبل على بناء مماثل مما يمكن أن يوحي اليه بهذا الرأي إذ أن بليس نفسه يقول بصريح العبارة انه انما كان ينتظر أن يجد بناء مستديراً لا مربعاً .

ومهما يكن من شيء فان الوصف الذي تركه هيرودوتس عن زيجورات معبد بعل ببابل يعتبر القول الفصل في موضوع وجود ابراج ذات سلم حلزوني وفيما يلي ترجمة ما رواه هيرودوتس Herodotus منقولا عن ترجمة رولنصن Rawlinson الانجليزية .

قال هيرودوتس : ... وفي وسط هـذه المنطقه برج من البناء المصمت طوله ١/٨ الميل (اي ١٧٦٠/٨ = ٣٣٠ ياردة) وعرضه كذلك يعلوه برج آخر . وفوق هذا ثالث ورابع وهكذا حتى يبلغ عدد الابراج ثمانية . ويرقى الى القمة من خارج البرج في ممشى يدور حول جميع الابراج وعندما يصل الصاعد الى منتصف المسافه يجد مجلساً ومقاعد يستريح عليها الصاعدون الى القمة وفي البرج العلوي معبد فسيح بداخله مقعد كبيرة الحجم محلى بكثير من الزخارف والى جانبه خران من الذهب .

ويلاحظ أن هيرودوتس يقول ان الطباق كانت ثمانية بينما بليس Place في اعادة انشائه لزيجورات خرساباد سبعة فقط .

ولحسن الحظ عثر ج . سميث G . Smith في رحلته الاخيرة على لوحة تعرف بلوحة ايزاجيلا Esagila وقد نقل نصها على عجل قبيل وفاته . وبهذه اللوحة كتابة

ترجع الى ٢٢٩ ق ٠ م ٠ وهي وصف حرم معبد وزيجورات بعل ببابل وابعاد طبقاته ، وقد عاد كولديوي Koldeway هنا وأبدى كثيراً من الشك قائلا انه ليس هناك اي دليل او اساس يمكن الاستناد اليه في اثبات وجود الابراج المدرجة ، وان هيرودوتس نفسه لم يقل ان كل طبقة كانت اقل حجماً من التي أسفلها (٠ ٠ ٠ يراجع ما رواه هيرودوتس ونقلناه فيما سبق وهو القول الفصل في هذه النقطة) وإن كان هذا هو المعقول بل المحتم الذي دعت اليه ضرورة مادة البناء نفسه وهي اللبن ، لأن استخدام هذه المادة اقتضى أن ترتد كل طبقة الى الداخل أكثر من التي اسفلها لمنع تداعي الطبقات السفلى وانبعاجها ولهذا السبب نفسه كان من المستحيل من الناحية العملية وجود سلم في جوف البناء ولذلك كان السلم حلزونياً خارجياً » ٠

ولم يكن احد قد اطلع على لوحة المستر سميث Smith او يعرف ابن هي حتى استكشف شايل Scheil مقرها عند احد الافراد ونشرها بنصها الكامل ٠ ومن هذا النص يتضح ان طبقات البناء كانت سبعاً تتناقص تدريجياً كلما زاد الارتفاع وبالاخير منها حرم او مزار الاله ٠

ومع أن هرتسفلد يسلم بأن المأذنة الملوية بسامراء مشتقة من الزيجورات فانه ينكر او كان ينكر اشتقاقها منها مباشرة معتقداً أنه لم تكن هناك زيجورات مطلقاً بالقرن التاسع معروفة معرفة تامة او قائمة في حالة جيدة من الحفظ بحيث يصح أن تتخذ نموذجاً تبنى على مثالة مأذنة سامراء ولذلك اعتقد أن هذه المأذنة مشتقة مباشرة من برج جور (فيروزاباد) الذي وصفه فلاندن Flandin وكوست Cost وديولافوي Dieulafoy . وهذا البرج عبارة عن كومة مستطيلة

الشكل مبنية بالحجارة غير المنحوتة ارتفاعها ٣٨ متراً بها آثار سلم يدور حول جوانبها الاربعة . وقد اخبرني هرتسفلد بعد زيارته لها سنة ١٩٣٤ بزمن وجيز انه مقتنع بأن سلم هذا البرج كان يغطيه قبو اسطواني صاعد لوجود آثار عقد هذا القبو ظاهرة في كثير من المواضع . وبناءاً على ذلك يكون سلم هذا البرج مغطى كنظائره في الابراج الاخرى . ولا يمكن مقابلته بالزيجورات . فاذا كانت ملاحظات ومشاهدات هرتسفلد صحيحة ـ وأنا اسلم بصحتها ـ فلا تكون هناك اية صلة قطعاً بين برج جور والمأذنة الملوية بسامراء .

على انه لا يمكن القول إنه لم يكن في العراق بالقرن التاسع الميلادي اي مثال ونموذج تبني على مثاله المئذنة الملوية لأن زيجورات بابل المذكورة آنفاً كانت ولا تزال قائمة في حالة جيدة فى سنة ٣٥٥ ق . م . وقد وصفها هاربوكراتيون Harpocration الاسكندري في كتابه Cyranides بل إنها كانت لا تزال قائمة في حالة جيدة ايضاً في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وقد رآها بنيامين التوديلي Benyaminof Tudela ووصف سلمها الذي كان يدور صاعداً حولها .

* * *

اذا ما تقرر ذلك كان من الواضح ان الابتكار الوحيد الذي استحدثه المعمار في مئذنة سامراء فى عهد الخليفة المتوكل هو انه نقل فكرة بناء الزيجورات وطبقها بنظام جديد فجعل المئذنة مستديرة بعد ان كانت الزيجورات مربعة .

على أنه ليس من المؤكد ايضاً ان هذا كان الابتكار لأنه من الممكن الاعتقاد الآن بأنه كانت هناك زيجورات مستديرة ايضاً . وقد تكون بقايا

احدها قائمة في البناء « اللبني » الـكبير المصمت الذي كشف في Al Hibba . والذي عارض هلبرشت Helprecht من اجـله نظرية Koldewey « الذي يميل الى اعتبار هذا البناء المرتفع أساساً لقبر هام . وهذا البناء عبارة عن برج مدرج ذي طابقين يرتكز على الارض مباشرة وهو بحالته المهدمة التي هـو عليها الآن لا يزال يبلغ ارتفاعـه ٣٤ قدماً ، وقطر الطابق الاسفل - الذي يرتفع ١٣ قدماً عن السهل - يبلغ ٤١٠ أقدام بينما قطر الطابق الثاني ٣١٥ قدماً فقط . والبناء مبني كله من اللبن . والطابق الثاني مكسو علاوة على ذلك بطبقة من الآجر والقار والسطح العلوي للطابقين مبلط بهـــذه المادة نفسها منعاً لتسرب ماء المطر الى البناء .

واذا ما استثنينا الشكل الدائري الذي لا يمكن مع ذلك أن يعـد اعتراضاً جدياً على نظرتي فان بناء Al Hibba به جميع خصائص الزيجورات المميزة لها . وهو في الحقيقة واحد منها » .

ومذ كتب هلبرشت ذلك كشفت بقايا مطلع طوله عشرة امتار في الجانب الجنوبي يرتفع بمقدار متر في كل ١٠٠ متر .

ويجب أن نذكر في هـذا الصدد ايضاً معبد Paneion بالاسكندرية الذي نبه تيرش Thiersch الى ماله من شأن وقد وصفه سترابون Strabon بقوله : « وهنا ايضاً معبد البانيون Paneion وهو أكمة صناعية على شكل كوز الشربين شبيهة بكومة من الصخر يصعد الى قمتها بمرقى حلزوني » .

ويظهر أن طراز المئذنة الملوية كان شائعاً في العصر العباسي الاول لأنه علاوة على وجود بقايا مئذنة مشابهة لمئذنة سامراء بجوار مسجد ابي دلف فاننا

نسمع عن برج مشابه له بناه الخليفة المكتفي ٣٨٩ _ ٣٩٥ هـ = ٩٠٣ _ ٩٠٨ م لأغراض دنيوية . وتقول الرواية إن هذا البرج كان يرقى اليه بسلم حلزوني قليل الانحدار حتى كان الخليفة يصعد الى قمة البرج راكباً حماره . وبذلك كان يستطيع دون اي عناء ان يشاهد الارباض والقرى المحيطة ببغداد . ويقال إن هذه القبة كانت عظيمة الارتفاع مستديرة الشكل وتعرف بقبة الحمار مما يدل على أنها كانت تعلوها في قمتها سقيفة مقببة .

ويظهر أن هذا الطراز انتشر حتى وصل الى الصين حيث كانت تعرف امثال هذه الابراج بالتاي Tu او الهو Hu وقد ذكر باليولوتسوي Paleolezue ان هذه الابراج كانت من خصائص ومميزات المساكن الملكية بالصين من القرن الحادي عشر الى الثالث عشر .

وفي باريس مجموعة من الصور الصينية ترجع احداها الى القرن الثامن عشر وبها صورة بناء شبيهة بهذه الابراج . على أننا نعتقد انها لا يمكن ان تمثل بناءاً كان موجوداً فعلا او أنها نقلت من نموذج حقيقي لأن دورات السلم في الجانب الايسر من البرج تقع نفس مستوى دورات الجانب الآخر من البرج بعد نصف دورة وفي ذلك مغالطة ظاهرة . وبناءاً على ذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الرسم لأنه كما قلنا لا يمكن أن يمثل اي بناء كان قائماً فعلا .

دار الخليفة او دار العامة

من أهم العمارات التي كانت على شارع السريجة والتي لا تزال ماثلة للعيان دار الخليفة او دار العامة التي كان يجلس الخليفة فيها أيام الاثنين والخميس .

وتقع هذه الدار شمال مدينة سامراء الحالية بقليل ، فتمتد في الاراضي المرتفعة على طول ضفة نهر دجلة اليسرى الى مسافه سبعمائة متر تقريباً . أما المسافة التي بين واجهة الدار ومنتهى بناياتها الخلفية في جهة الشرق فلا تقل عن ثمانمائة متر .

وأما الدار في جهة نهر دجلة سهل واسع يمتد غرباً مسافة حوالي ستمائة متر حتى يتصل بحافة النهر . والمعتقد أن السهل المذكور كان مقسماً الى بساتين وحدائق منسقة تمتد بين واجهة الدار ونهر دجلة .

وتقع بناية الدار على ارتفاع (١٧ متراً) تقريباً من مستوى السهل ويلاحظ المتفرج هناك معالم الدرج العريض الذي كان يصل أرضية الدار بالسهل المذكور .

وبناءاً على ما تقدم يمكن تقدير مساحة بنايات الدار ومشتملاتها بما لا يقل عن نصف مليون متر مربع (نحو مائتي مشارة) وذلك عدا مساحة الساحة الأمامية التي تمتد في السهل الى شاطيء دجلة وهو حوالي اربعمائة الف متر مربع (زهاء ١٦٠ مشارة) (١) .

وقد قدر هرتسفلد مجموع المساحة التي كان يشغلها القصر ، بما في ذلك

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٦ .

الممرات والقاعات والحمامات والثكنات الكائنة في الطرف الشمالي الغربي للقصر وكذا الخمائل التي تشرف على دجلة بـ ١٧٥ هكتاراً ، أي حوالي سبعمائة مشارة عراقية .

ويستفاد مما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد ان الدار المذكورة كانت أول بناية عامة أنشئت في العاصمة الجديدة وانها أقيمت في موضع الدير الذي ابتاعه المعتصم قبل شروعه في انشاء سامراء .

قال اليعقوبي : (قال أحمد بن يعقوب كانت سر من رأى في متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال) اهـ (١)

وقد لاحظ أطلال هذه الدار المهندس الفرنسي فيوليه (Viollet) سنة ١٩٠٧ م فرسم صورة خيالية للدار حسبما تصور حالتها الاصلية (٢) ثم اشتغل العالم الآثاري هرتسفلد الألماني الجنسية قبل الحرب العالمية الاولى في إظهار بقايا الدار فقام بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها معظم أقسامها واكتشف قاعة العرش وغرف التشريفات والحمام ودوائر الحرم . . . كما عثر على آثار كثيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة . وقد وضع هرتسفلد تخطيطاً للدار حسب ما تصوره على ضوء نتائج حفرياته .

وأهم ما تلفت النظر في بقايا هذه الدار الاواوين القائمة في المدخل المطل على السهل الغربي الذي يتصـــل بشاطىء دجلة . أما بقية الاقسام فقـــد

---

(١) راجع كتاب البلدان لليعقوبي .

(٢) توجد هذه الصورة في متحف سامراء .

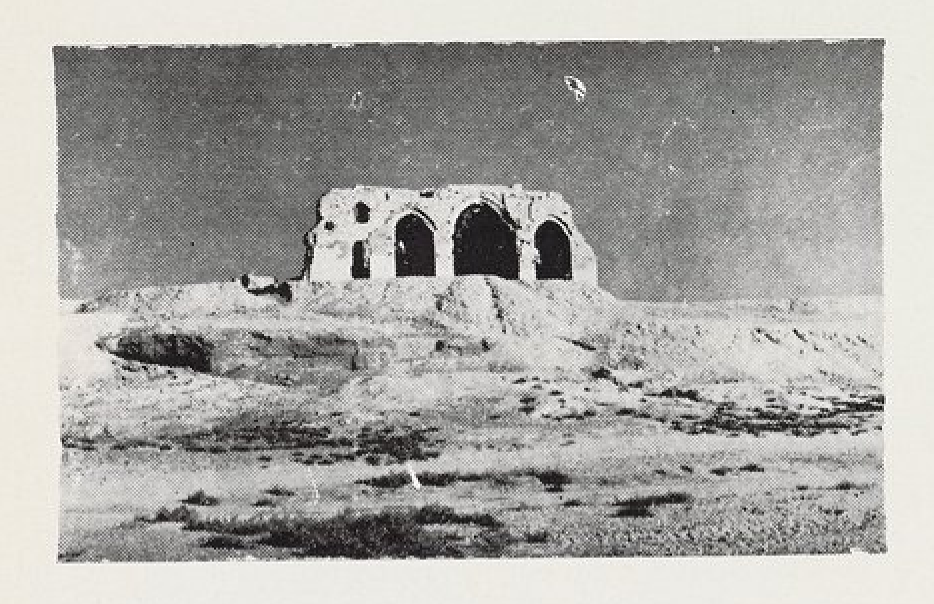
أصبحت آكاماً حيث أن ما اكتشفه هرتسفلد من مشتملات الدار اقتلع آجره من قبل الاهلين لاستعماله في عماراتهم المختلفة ولذلك لم يبق من الغرف والقاعات التي اكتشفها هرتسفلد غير الانقاض الكاسية . وكانت هـذه الاواوين بمثابة مدخل الدار فكانت تسمى (باب العامة) وتتألف باب العامة هـذه من ثلاثة أواوين رأسية العقد اكبرها الايوان الوسطي وهو مستطيل الشكل طوله ١٧٫٥ متر وعرضه ٨ أمتار ، جداراه الجانبيان يحملان عقادة رأسية ترفع قمتها عن الارض ١٢ متراً ، وواجهته الأمامية التي تطل على السهل مفتوحة بكاملها ، وأما ضلعه الخلفية فمسدود بجدار شاقولي فيه باب كبير يبلغ عرضه ٣٫٨ أمتار وارتفاعه سبعة أمتار . وقـد دلت التحريات على أن هـذا الباب كان يفضي فى الأصل الى سلسلة قاعات كبيرة توصل الى غرف الخليفة وقاعة العرش . على أن جدران هذه الغرف والقاعات قد اندرست تماماً . وأما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضاً وطولا من الايوان الوسطي ، فان عرض الواجهة فى كل منهما عبارة عن اربعة أمتار ونصف ، وأما الطول فلا يتجاوز أربعة امتار .

وفي الجدار الخلفي باب مرتفع تعلوه نافذة ويفضي هـــذا الباب الى قاعة خلفية كبيرة رأسية العقد مثل عقد الايوان الوسطي . وفي جانب الايوان الشمالي باب آخر يفضي الى غرفة مربعة متصلة بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عنـد رفع الانقاض سنة ١٩٣٧ م كما يوجد بجانب الايوان الجنوبي سلسلة غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض في السنة المذكورة .

وكانت الاواوين المذكورة مزدانة بزخارف جصية شاهـــد قسماً منها (فيوله) في محلها ، وعثر هرتسفلد على قسم منها بين الانقاض خلال تنقيباته



٨ ـ محراب جامع الملوية



٩ ـ دار العامة من جانب الشط



كما عثرت مديرية الآثار العامة على البعض منها عندما رفعت الأنقاض (١) .

وقد شهد باب العامة هذا أحداثاً تاريخية خطيرة خلال النصف قرن من حكم الخلفاء العباسيين في سامراء ، فكان مظهراً من مظاهر الحكم والسلطان .

فمن جملة الحوادث التي وقعت عنده صلب الافشين أمامه في سنة ٢٢٦ هـ حيث بقي معلقاً هناك ليراه الناس ثم طرح مع خشبته فأحرق (٢) كذلك نصب رأس أبي الحسين يحيي بن عمر أمامه بعد أن لقي حتفه في سنة ٢٥٠ هـ (٣) وأما الباب نفسه كان ضرب كاتب لنجور بالسيوط فمات (٤) .

ويوجد في الجهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور الايوان الكبير سرداب يسميه الناس (هاوية السباع) ، ويتألف هذا السرداب من حفرة مربعة منقورة في الصخر وتتوسط بركة كبيرة مستديرة وقد نقرت في كل ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة . ومن المرجح ان سبب تسمية هذه البركة بـ (هاوية السباع) هو أنه كان عدد من السباع بالقرب من الهاوية فسميت (هاوية السباع) هذا اذا صح اعتبار كون هذه التسمية ترجع الى العهد الذي انشئت فيه الهاوية . ومما يدل على انه كان بعض السباع في دار العامة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ هـ من أن المهتدي أمر بقتل السباع التي كان في دار السلطان : فكتب في هذا الصدد

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٥٠ و ٥٥ .

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٧)

(٣) الطبري (٣ : ١٥٢٢)

(٤) الطبري (٣ : ١١٧٤)

قائلا ما نصه (وفي سنة ٢٥٥ هـ أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء ونفيهم الى بغداد . . . وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وأبطال الملاهي الخ . .) .

ويشاهد فى القسم الشمالي من القصر فى الجهة الشمالية الغربية للسرداب والجهة الشمالية الشرقية للاواوين حفرة اكبر واعمق عن الحفرة الاولى محاطة ببناية مربعة الشكل كثيرة التقسيمات ، لا يقل طول ضلعها عن ١٨٠ متراً ، وفي وسط هذه الحفرة بركة يبلغ قطرها نحو ٨٠ متراً . وعلى الارجح أن الحفرة الاولى كانت مسقفة والثانية مكشوفة ، وذلك لتستغل الاولى فى النهار والثانية في الليل . وهناك ما يدل على أن هاتين البركتين أنشئتا على عهد المتوكل نظراً لما لدينا من دلائل على أن القناة التي تمون البركتين المذكورتين بالماء ، وهي القناة التي كانت تبدأ من نهر دجلة من فوق الدور وتنتهي في سامراء أنشئت فى عهد المتوكل . (١)

ويستدل من المدونات التاريخية على أن الخزائن الخاصة والعامة كانت في دار العامة فذكر اليعقوبي أن الخزائن المذكورة كانت فى شارع السريجة مما يلي دار العامة شمالا . وقد أيد الطبري وجود الخزائن في دار العامة وقد سماها (بيت المال) فيما ذكره عن سطو اللصوص عليها فقال في حوادث سنة ٢٣١ هـ ما نصه (وفي هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين واربعين ألفاً من الدراهم وشيئاً من الدنانير

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٠ و ٧١ .

يسير فأخذوا بعد وتتبع أخذهم يزيد الحلواني صاحب الشرطة خليفة ايتاخ (١) وقد عين هرتسفلد مكان الخزانة العامة في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة الكبيرة حيث تقع هناك آثار بناية كثيرة التقسيمات .

ويقول كرزول في وصف دار العامة بقوله (يكاد يكون باب العامة افضل الاجزاء الباقية القائمة من هذا البناء الهائل الذي عدت عليه الايام وهو يتكون من واجهة ذات ثلاث عقود ارتفاعها ٢١ متراً وتشرف على نهر دجلة ويقع خلفها ثلاث حجرات ذات سقوف نصف اسطوانية معقودة والحجرة الوسطى هي الايوان الكبير وعرضها ٧٫٨٦ متر وطولها ١٧٫٥٠ متر ارتفاعها ١١٫١٠ متر وهي مفتوحة بكامل عرضها ومطلة على نهر دجلة يحف بها كتفان من البناء عرض كل منهما ١٫٥٨ متر يحملان قنطرة الواجهة ذات العقد المدبب او هي شبيهة في بنائها بقناطر مسجد ابي دلف وباب بغداد من ابواب مدينة الرقة .

وخلف هذا الايوان الكبير باب سعته ٤ أمتار وارتفاعه ٧٫١٠ متر تعلوه قنطرة مدببة شبيهة بقنطرة الواجهة الكبرى تعلوها نافذة ذات قنطرة مدببة ايضاً .

والايوانان الجانبيان طولهما ٤٫١١ متر والجزء الواقع خلف قنطرة الواجهة مغطى بسقف على شكل نصف قبة مرتكزة على اربعة صفف او محاريب ، وبين كل صفتين شباك مستطيل . وهذان الايوانان الجانبيان هما في الحقيقة بمنزلة مدخلين عظيمين لحجرتين خلفيتين سقفاها معقودان نصف اسطوانيين وسعة كل منهما اربعة امتار وبكل منهما باب سعته ١٫٧٥ متر وارتفاعه ٥٫٥٥ متر .

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ١٣٥٠).

ومع أن ارتفاع هذين الايوانين يقـل بمقدار متر ونصف عن الايوان الاوسط إلا أن الغرفتين الخلفيتين لا تتصـلان بالايوان الـكبير ولا بأي جزء من اجزاء القصر مدخلها من الواجهة فقط ، ولذلك يرى هرتسفلد انهما كانتـا مخصصتين للحرس والاتباع ايام الحفلات والاستقبالات العامة والاجتماعات التي تعقد فى الايوان الكبير وتبلغ ثخانة الجدران التي تحمل العقادة الوسطى حوالي ١ر٧٥ متر ، أما الجدران الخارجية للايوانين الجانبيين والجدار الخلفي فثخانتها ١ر٣٠ متر فقط . والى يســار الايوان الغربي حائط بها نافذتان احداهما طويلة ضيقة . وتعلوها اخرى أكثر منها عرضاً وكلاهما مستطيلة الشكل . وتدل ثقوب الحائط من الخلف على أنه كان هناك طابقان ببعضهما سقف من الخشب .

وقد تهدمت الحافة الشرقية للواجهة ولم يبق منها إلا جزء صغير يكسو بعضه الجص وهذا الجز المـكسو لا يصل الى الارض مما يدل على انه كانت هنـا نافذة اخرى مستطيلة ولكنها أقل طولا من النافذة الكائنة بالطرف الآخر المقابل .

ولا بد انه كان هناك طابق آخر ويستدل على ذلك من وجـود جزء من حائط ارتفاعه خمسة امتار يرتفع عمودياً على الجانب الشمالي من الايوان الشمالي .

(الزخارف)

تقتصر زخارف الواجهة على صفتين غير عميقتين مدببتي العقد كانتا تحفان بالمدخل الرئيسي . أما في الداخل فكان محلى بزخارف جصية شاهد بعضها العالم فيوليه في موضعها كما عثر هرتسفلد فيما بعد على البعض الآخر في الردم .

وكان بطن عقـد الايوان الـكبير بالواجهة محلى بزخارف جصية مقسمة الى ثلاثة اقسام احدها اكثر عرضاً في الوسط تحصره حافتان اقل منـه عرضاً سعـة

كل منهما ٣٢٫٥ سم وبهما زخارف من ازواج من اغصان الكرم الصاعدة التي تكون صفاً مزدوجاً من الدوائر الصغيرة بكل منها ورقه من اوراق الكرم ، تفصل كل ثنية من ثنياتها ثقوب تشبه العيون تحيط بهـــا حزوز دائرية محفورة متحدة المركز يتميز بها الطراز المعروف بطراز سامرا الثالث والجزء الاوسط سعته ٦٥ سم وكان محلى بزخارف مكونة من وردات ذات ثمانية جوانب بين كل منها والتي تليها عقدة وفى كل ثنية من ثنياتها ورقة كرم طويلة اللسان . ولا يمكننا مع الاسف أن نعرف الآن كيف كانت مراكز هذه الوردات والسطوح التي تفصلها بعضها عن بعض محلاة لأن الاجزاء التي عثر عليها ليست كافية لايضاح ذلك .

أما داخل الايوان الكبير فتجد في قمة الحائط مما يلي عقد القبو مباشرة عصابة من الزخارف البارزة الجميلة مكونة من حليتين متعاقبتين احداهما صغيرة والاخرى كبيرة تشبة احدهما زهرة اللوتس ذات الثلاثة الاوراق . والورقتان الخارجيتان تكونان حلزونين . أما الورقة الوسطي فرفيعة وتصل حافتها العليا الى الطرف العلوي للعصابة وهي تشبه فى مجموعها زهرة الزنبق . أما الثانية فتشبه الاولى ولكنها أقل منهـا حجماً وليس بها الزخارف الحلزونية التي بالأولى . ويرى هرتسفلد أن هـذه العصابة تشبه تمام الشبه عصابة اخرى من الزخارف الجصية بكنيسة (بازيليكا) القديس سرجيوس بالرصافة .

ويقول هرتسفلد : والجزء الاوسط من الباب الكبير هـو المدخل الرئيسي للقصر وتقع خلفه ست قاعات يرجح أنها كانت قاعات انتظار وكان كبار الضيوف والزوار ذوو المكانة يدخلون من الرواق الشمالي (اي الفتحة الشمالية) للباب الكبير ثم يمرون في ممشى طويل الى هذه القاعات أما الجزء الخاص بالحريم

بالقصر فيدخل اليه من الفتحة الجنوبية للباب الكبير التي تصل به رواقان طويلان .

وتكون هـذه المماشي والقاعات والاروقة ما يسمى بالمدخل او باب القصر يتلوه ذلك مربعة بها نافورة يحيط بها من كل جانب ثلاث حجرات يجلس فيها الزوار وفقاً لمقاماتهم ودرجاتهم والى الشمال نجد حجرات الخليفة وهي تقع حول ثلاث رحبات ويقع الحريم في الجنوب وقد اضيف اليه بناء آخر كثير الحجرات . ويطل الحمام الكبير على الرحبة مباشرة واذا سار الانسان قدماً فانه يمر فى قاعة امامية الى رحبة مضلعة جدرانها الشمالية والجنوبية خالية من الزخرفة . أما في الشرق فترى واجهة قاعـة العرش بأبوابها الثلاثة وتوصل الدهاليز والممرات السفلية – ويوجد منها كثير بالقصر – بين حجرات الخليفة وقسم الحريم .

(قاعه العرش) وتتكون قاعة العرش من قاعة وسطى يحيط بهـا اربعة قاعات على شكل T وقد وجد بهذه القاعة طرازان من الزخارف الرخامية شبيهان بالطراز السابق الاشارة اليه ويرجح انها كانت مغطاة بقبة . وقد كانت امثال هذه القاعات على شكل حرف T من الخصائص المميزة لقاعات الاستقبال في جميع المنازل الخاصة ولـكنها تختلف عن جميع الامثلة المعروفة في أن الاجزاء التي تكون الصليب قد بنيت على مثال البازيليكا ذات الثلاثة ولكنها هنا مكررة اربع مرات في الحجرات الاربع المـكونة لاضلاع الصليب . والسبب في ذلك هو الحاجه الى ضوء كاف لاضاءة القاعات جميعها والقاعه الوسطى ايضاً .

وقد وجد هرتسفلد قطعاً من الزخارف الجصية في هـذه الحجرات وحاول ان يجمعها وأن يكون منها اشكالا او موضوعات زخرفية تامة باعادتها الى حالتها الاول من التركيب والتكوين ، وقد عثر بقاعة العرش هـذه على عتب خشبي

لأحد الابواب يشبه شبهاً تاماً بعض الاعتاب الخشبية بأبواب مسجد ابن طولون بالقاهرة . وتوجد بين اذرع الصليب قاعات صغرى محلاة بوزرات من ألواح ومربعات الرخام . وكذلك مسجد صغير لصلاة الخليفة ذو محراب جميل .

(الحريم)

وإذا رسمنا محوراً من الشمال الى الجنوب ماراً بمركز القاعة الوسطى وقاطعاً القاعتين الشمالية والجنوبية اللتين على شكل T فانه يقسم هـذه الكتلة من البناء الى قسمين متماثلين تقريباً . وقـد كشف منه القسم الجنوبي فقط وهـو يشمل الحريم .

وتقع أمام القاعة الجنوبية ذات الشكل حرف T قاعة كبيرة العرض تمتـد على طول رحبة الحريم . وفي الجانبين الغربي والشرقي لرحبة الحريم تقع حجرات كثيرة أعيد بناؤها عدة مرات معدة للحياة المنزلية داخل القصر ومجهزة بالمياه الجارية التي يأتي اليها في مواسير كبيرة من الرصاص او من الخزف المطلي بمادة زجاجية او من الفخار العادي . كان بهـا حجرات للاستحمام والغسيل والمراحيض . وتقع في مواجهة قاعـة العرش في الجانب الجنوبي للرحبة حجرة مربعة تمتد على طول الرحبة ، وهناك رواق مربع طول ضلعه ٢١ متراً يطيف بحجرة مربعة ذات اربعة ابواب واسعة وبهـا حوض تحف بـه اعمدة الرخام فى اركانه الاربعة .

وقد كانت هـذه الحجرة محلات برسوم وصور أمية ، واذا رسمنـا محوراً يقطعها من الشرق الى الغرب فاننا نجد الى غربيها قاعة على شكل البازيليكا ذات ثلاثة اروقة في كل رواق منها اربعة اعمدة من الرخام وتقع أمام القاعة الشرقية

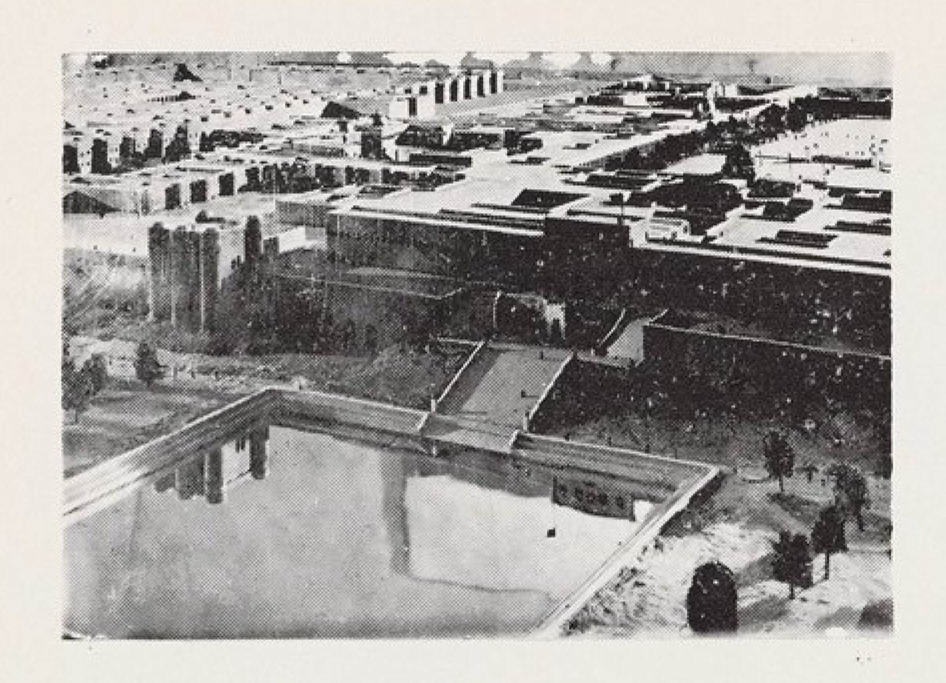
ذات الشكل T من المجموعة المسماة بقاعة العرش قاعة كبيرة اخرى عرضها ٣٨ متراً وطولها ٤٠ر١٠ أمتار بها خمسة ابواب تطل على رحبة كبيرة مكشوفة طولها ٣٥٠ متراً وعرضها ١٨٠ متراً تقسمها قناة الى قسمين احدها الغربي وهو مرصوف ومحلى بنافورتين والشرقي وهو غير مرصوف وبه بعض قنوات ومجاري مياه صغيرة .

(السرداب الصغير) (١) : واذا سار الانسان من هذه الرحبة الكبيرة الى الشرق فانه يصل الى سرداب صغير يقع على المحور الرئيسي للقصر . ومدخله عبارة عن حجرة مربعة قد نقش على جدرانها طراز من الزخارف الجصية الملونة قوامها قافلة من الجمال ذات السنامين ، ويقع مدخل السرداب فى الجانب الغربي من البناء العلوي والسرداب نفسه عبارة عن فجوة منقورة في الصخر كل ضلع من اضلاعها ٢١ متراً وعمقها ٨ أمتار ، وفى كل جدار من جدورها ثلاث مغارات تصلها ببعض مماش او أورقة وكانت في ارضيتها فسقية او حوض للماء . وكان يحيط بالسرداب صفوف متوازية من الغرف يظن أنها كانت اسطبلات .

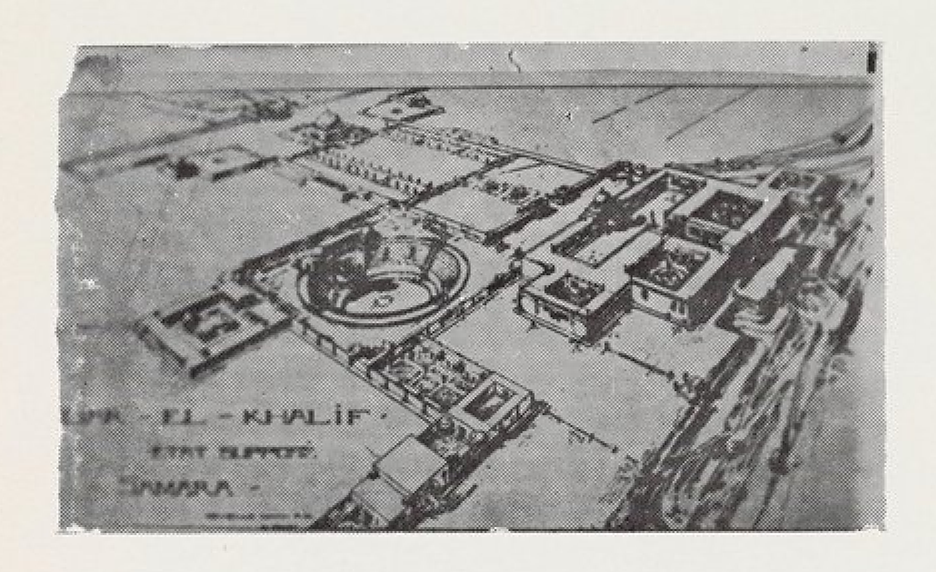
(ملعب الصوالجة)

وفي وسط الرحبة الشرقية بناء يشرف على ملعب كبير بسور طوله ٥٣٠ متراً وعرضه ٦٥ متراً وهو لا يقع على استقامة محور القصر بل يتحرف عنه فيميل بانحناء بسيط . ويرجح أن هذا كان ملعب الصوالجة وكانت الاسطبلات

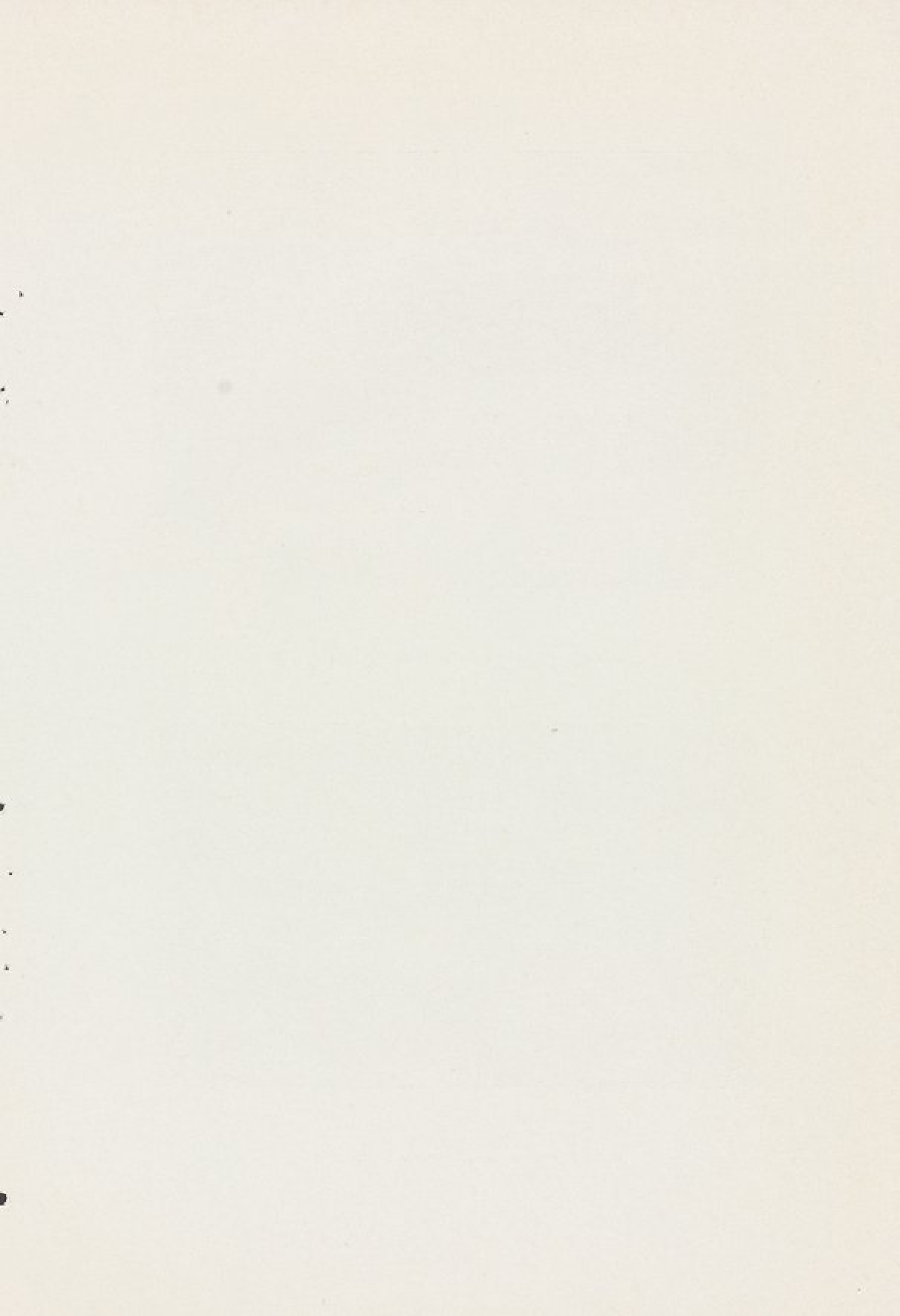
(١) هاوية السباع .



١٠ ـ دار العامة حسب رأى هرتسفلد



١١ ـ دار العامة حسب تخطيط فيوليه



معدة لخيل اللعب .

وكان النظارة يشرفون على اللعب من هذا البناء . والى هنـــا نصل الى الطرف الشرقي للقصر ويتلوه سور حديقة الحيوان او الحير . وتقـع في مواجهة البناء الذي يشرف منه النظارة على اللعب على امتداد المحور الرأيسي للقصر سقيفة عظيمة مرتفعة تشرف على ملعب الصوالجة وحلبة السباق في حديقـة الحيوان او الحير التي تمتد الى اكثر من خمسة كيلومترات .

ويبلغ طول محور القصر الممتد من نهر دجـلة مخترقاً السلم الكبير وباب العامة وقاعة العرش والرحبة الكبرى والسرداب الصغير الى حديقة الحير وشقيقتها رحبة السباق ١٤٠٠ متر .

« السرداب الكبـير » ويقـع في الركـن الشمالي الشرقي للقصر بناء مربع طول ضلعه ١٨٠ متراً يرتكز جانبه على الجدار الشمالي للرحبة الكبرى وبـه كهف عميق مربع طول ضلعه ٨٠ متراً منقور في الصخر تمتد على محاوره أذرع على شكل صليب يبلغ طولها ١١٥ متراً وفى أرض هذا الكهف فجوة ثانية مستديرة قطرها ٧٠ متراً . ومن المرجح ان هذه الفجوة كانت فسيحة او حوضاً اذ انها تتصل بقناة سفلية وفي الجزء العلوي توجد حجرات كثيرة صغيرة على غير نظام حول الجانب الداخلي للجدران وبعضها مسقف بأقبية متقاطعة وقـد كشف بهذه الحجرات بعض المخازن وعثر بها على بعض قطع من الخزف الصيني وألواح ومربعات القيشاني المموهة بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي . ونجد الى الشرق مجموعات متنوعة من المباني على امتداد الحائط الشمالي والوسطى منها أكثر ارتفاعاً من بقيتها .

(الزخارف)

وقد كانت عظمة زخارف هذا القصر مما يلتئم ويتناسب مع أبهته وفخامته مما لم يعثر على مثيله للآن . فقد كانت وزرات الجدران محلات بزخارف جصية بعضها من عصر المعتصم نفسه مؤسس سامراء وباني القصر . وبعضها جدد بعد المتوكل مباشرة وبعضها من الايام الاخيرة لسامراء وقد أمكن ان نلم بكثير من المعلومات التي كانت تنقصنا في دراسة زخارف المنازل الخاصة التي كشفت في سامراء بالاستعانة بهذه الزخارف : حتى اصبح في استطاعتنا الان ان نلحظ بوضوح التقدم المطرد في تطور طراز سامراء مدى خمسين عاماً وان نميز الفروق بين كل من الطرز الثلاثة التي تبين أنها تختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسياً مما لم يفطن اليه كثيراً عقب الكشف الاولي ففي حجرات العرش استبدلت الوزرات الجصية بوزرات متشابهة من الرخام المنقوش وفي الحجرات الواقعة بين أذرع الصليب نجد الوزرات مغطاة بكسوة من الواح ومربعات الرخام كما ان الاجزاء العلوية من جدران قسم الحريم كانت محلاة بزخارف آدمية ملونة كشف الكثير من بقاياها كما كشف في بعض الحجرات عن زخارف من الزجاج واللؤلؤ لا نظير لها في أي مكان آخر . وجميع القطع الخشبية وكتل وسقوف مصنوعة من خشب الساج المنقوش الملون او المذهب وقد زادته مسامير البرنز المذهبة رونقاً وبهاءاً .

وقد عثر على قليل من القطع الاثرية في كتلة البناء المكونة للمدخل بقاعاته وممراته وكذلك بقاعة العرش . وذلك امر طبيعي وكان أكثر ما عثر عليه بقسم الحريم وحجرات الحياة المنزلية الداخلية والى جانب القطع الكثيرة المعارية

والفخارية والرخامية فقـــد عثر على الكثير من الاواني الفخارية المقفلة الطويلة الاسطوانية الشكل . وقد كسيت بطبقة من الجص ونقش على احد جانبيها صور لرجال أو سيدات في ملابس مختلفة وكل صورة منها داخل اطار خاص ويرجـح انها كانت صور لرجال او نساء حقيقيين لا خياليين أضف الى ذلك رسوم وصور آدمية أو زخرفية على قطع من الفخار او القاشاني او الرخام ورؤس حيوانية من الرخام وألواح من الزجاج الكثير الالوان وقطع من الاثاث المنزلي وغير ذلك من القطع المطعمة بالابنوس والعاج . . الخ

كما عثر على بعض الكتابات التاريخية على كتل خشبيـــة وعلى كثير من توقيعات الصناع من الروم والسريان والعرب بخطوطهم ولغاتهم المختلفة على الرخام والخشب والصور والفخـــار وعلى قطعة من القماش بها طراز الخليفه المعتمد وأجزاء من خطـــابات مسطورة على ورق وبعض أوراق البردي الرسميـــة وغير ذلك .

﴿ الخزانة او بيت المال ﴾

يقع الى شمال السرداب الكبير مساحة كبيرة مستطيلة يطيف بها صفوف كثيرة من الجدران القوية التي جلبت مادة بنائها في عصور موغلة فى القدم . ويستنتج من مجرى الحوادث التي حدثت بالقصر أن بيت المال كان موضعه فى هذا المكان من القصر .

والركن الشمالي الشرقي ليس واضح المعالم وقد كانت تمتد منه الى عدة كيلومترات مجموعات من المنشئات المتعلقة بحديقة الحيوان والمتصلة بالقصر . ويمتد

الجزء الجنوبي على غير نظـــام اذ تخترقه ثلاث اودية عميقة وهناك صنف من

الرحاب والحجر الصغيرة على الجانبين يظن انها كانت بمثابة مخازن . ويستنتج من وصف الثورات التي حدثت بالقصر ان دار الصناعة كان بهذا الجزأ ايضاً وقد امكن معرفة مقر صاحب دار الصناعة .

والى الشرق نجد رحاب مفردة وأبنية لا يعلم الغرض منها وبينها بناء قائم على اعلى نقطة منها يرجح انه كان مسجداً .

﴿ الثكنات ﴾

وفي الركن الشمالي الغربي من المساحة التي وصفناها تقع الثكنات ويرجح أنها كانت ثكنات الخيالة . اما ثكنات المشاة فتفصلها عنها قطعة من الارض خالية من البناء وكان بهذه الثكنات ٦٠٠ غرفة ينزل بها ٣٠٠٠ من الجنود . وكان بالرحبة الكبرى مساجد لم تكن محاريبها على سمت القبلة تماماً : وتشرف هـــذه الثكنات على الحديقة وشاطيء دجلة لبنائها على مرتفع من الارض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوب المدينة بشمالها .

﴿ الاصول المعمارية ﴾ الواجهة ذات الثلاث قناطر

كانت القصور الشرقية القديمة خرساباد (القرن السابع قبل الميلاد) تحتوي على قاعات طويلة مسقوفة بعقود نصف اسطوانية وبها ابوب جانبية .

اما القصور التي بنيت في عهود تالية كقصور الساسانيين مثلا (٢٢٨ ـ ٦٢٨ م) كقصر طيشفون وفيروز اباد وسروستان وقصر شيرين فكانت بعض قاعاتها تغطيها قباب أيضاً .

وقد كانت الاقبية النصف الاسطوانية كثيرة الشيوع اذ ان القبو الاوسط الكبير منها كان يمكن ان ترتكز عليه أقبية أخرى اقل منه ارتفاعاً واتساعاً من الجانبين وهذه الاقبية اما ان تكون متصلة به على زاوية قائمة او موازية له . قصر طيشفون وفيروزاباد من الطراز الاول والقاعات الجانبية ابوابها معقودة وفتحات ابوابها ليست بالواجهة بل في جوانب الايوان الكبير .

ويرى هرتسفلد ان الواجهة ذات الثلاث القناطر مستمدة على الارجح من اقوس النصر الرومانية ومن البوابات ذات القناطر الثلاث للشوارع ذات الاعمدة التي كانت قد انتشرت في جميع الشرق الادنى في ذلك الوقت وكانت ملائمة غاية الملاءمة لتخطيط القصر الفارسي والعراقي لانها كانت منافذ عظيمة معقودة تصل الواجهة بالحجرتين الصغيرتين الجانبيتين وكان ذلك تجديداً في هندسة القصور المذكورة ولذلك كان القبوان الجانبيان موازيين دائماً لقبو الايوان الاوسط . ويشاهد ذلك في قصر الحضر (القرن ١ - ٢ق . م) حيث تظهر هذه الظاهرة لاول مرة . ولكننا نجدها ثانية بعد ثلاثة قرون في قصر سروستان وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي في قصر الاخيضر . وهي الظاهرة السائدة في قصر الخليفة بسامرا .

ويقول اليعقوبي :

(وولي الخلافة هارون الواثق بن المعتصم فبنى الواثق المعروف بالهاروني على دجلة وجعل فيه مجالس في دجلة وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة . وانتقل اليه وزارت الاقطاعات وقرب قوماً على الخط الاعلى الابعاد فأقطع وصيفاً دار افشين التي بالمطيرة وانتقل وصيف عن داره القديمة الى دار الافشين ولم يزل

يسكنها وكان اصحابه ورجاله حوله وزاد في الاسواق وعظم الغرض التي تردها السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل. وجدد الناس البناء وأحكموه وأتقنوه لما علموا أنها قد صارت مدينة عامرة وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر ثم توفي الواثق في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م) وولى جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم. وأنزل ابنه محمداً المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وانزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة وأنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له بلكوار. (فامد) البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ وزاد في شوارع الحير الشارع الجديد وبنى المسجد الجامع في اول الحير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شيء من القطائع والاسواق. وأتقنه ووسعه وأحكم بناءه وجعل فيه فوارة ما لا ينقطع ماؤها وجعل الطرق اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات والصناعات والبياعات عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله. ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب. وسلك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدور اتسع اهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق في صفوف المسجد الجامع. وأقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد وأقطع أحمد بن اسرائيل الكاتب ايضاً بالقرب من ذلك واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم.

وعزم المتوكل ان يبني مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين ان يختاروا موضعاً فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل ان المعتصم قد كان على ان يبني هاهنا مدينة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس واربعين ومائتين (٢٤٥ هـ) ووجه في حفر النهر ليكون في وسط المدينة فقدر النفقة على النهر الف الف وخمسمائة الف دينار فطاب نفساً بذلك ورضي به وابتدأ الحفر وأنفقت الاموال الجليلة على ذلك النهر واختط موضع قصوره ومنازله وأقطع ولاة عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ومد الشارع الاعظم من دار اشناس التي بالكرخ وهي التي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره وجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وقدر ان يحفر في جنبي الشارع نهر ان يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره وبنيت القصور وشيدت الدور وارتفع البناء وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد في البناء اجازه وأعطاه فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى مارا الى الموضع الذي كان ينزله ابنه ابو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء لا موضع ولا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ . وارتفع البنيان في مقدار سنة وجعلت الاسواق في موضع معتزل وجعل في كل مربعة وناحية سوقاً

وبني المسجد الجامع وانتقل المتوكل الى قصوره هذه المدينة أول يوم من

محرم سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧ ﻫ) فلما أجاز بالجوائز السنية ووصلهم وأعطي جميع القواد والكتاب ومن تولى عملا من الاعمال وتكامل له السرور وقال الآن علمت (أني ملك ذا بنيت لنفسي مدينة سكنتها) .

ونقلت الدواوين : ديوان الخراج ، وديوان الضياع وديوان الزمام وديوان الجند والشاكرية وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع الدواوين الا ان النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه الا جري ضعيف لم يكن اتصال ولا استقامة على انه قد أنفق عليه شبيهاً بألف الف دينار ولكن كان حفره صعباً جداً انما كانوا يحفرون (حصا) وانهاراً لا تعمل فيها المعاول . وأقام المتوكل نازلا فى قصوره بالجعفرية تسعة اشهر وثلاثة أيام وقيل لثلاث خلون من شوال سنه سبع وأربعين ومائتين في قصره الجعفري أعظم القصور وولى محمد المنتصر ابن المتوكل فانتقل الى سر من رأى وامر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل ويحملوا النقض الى سر من رأى فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل الى سر من رأى وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في اسرع مدة وصار الموضع موحشاً لا أنيس به ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأن لم تعمر ولم تسكن ومات المنتصر بسر من رأى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين (٢٤٨) ﻫ وولى المستعين احمد بن محمد بن المعتصم فاقام بسر من رأى سنتين وثمانية اشهر حتى اضطربت اموره فانحدر الى بغداد فى المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين (٢٥١ ﻫ) فاقام بها يحارب اصحاب المعتز سنة كاملة والمعتز بسر من رأى معه الاتراك وسائر الموالي ثم خلع المستعين وولي المعتز فاقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة اشهر بعد خلع المستعين وبويع محمد المهتدي بن الواثق فى رجب سنة خمس

وخمسين ومائتين (٢٥٥ هـ) فأقام حولا كاملا ينزل الجوسق حتى قتل رحمه الله
وولى احمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى فى الجوسق وقصور الخلافة ثم
انتقل الى الجانب بسر من رأى فبنى موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام
به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن) ويقول اليعقوبي ايضاً
(ولسر من رأى منذ بنيت وسكنت الى الوقت الذى كتبنا فيه كتابنا هـذا
(كتاب البلدان) خمس وخمسون سنة ملك بها ثمانية خلفاء مات فيها خمسة المعتصم
والواثق والمنتصر والمعتز والمهتدي وقتل في حريمها وفيما هو متصل بها وقريب
منها اثنان المتوكل والمستعين واسمها في الكتب المتقدمة زوراء بني العباس ويصدق
ذلك ان قبل مساجدها كلها مزورية فيها زوراء ليس فيها قبلة مستوية . الا
انها لم تخرب وتذهب اسمها وقد ذكرنا بغداد وسر من رأى وبدأنا بهما لانهما مدينتا
الملك والخلافة) أ . هـ



القصور العباسية في سامراء

لما تعاقب على كرسي الخلافة والحكم خلفاء بني العباس أشادوا القصور الضخمة العظيمة في شوارع مدينة سر من رأى ، ولما كان لهذه القصور شأن كبير يذكر في التاريخ لحدوث بعض الاحداث فيها او بالقرب منها وهي عديدة نذكر بعضاً من هذه القصور وهي :

قصر الاحمر

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) (١) هذا القصر فقال (والظاهر انه كان بالقرب من الجوسق قصر يسمى « القصر الاحمر » اذ ورد ذكره في تاريخ الطبري عند وصف حوادث سنة ٢٥٦ ﻫ قال : دخل موسى بن بغا سامراء (أخذ في الحير وعبأ اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا في السلاح حتى صار الى باب الحير مما يلي الجوسق والقصر الاحمر) ثم جاء ذكره في حوادث السنة نفسها بمناسبة اخرى ، وهي انه ادخل على المهتدي كتاب ذكر ان سيما الشرابي زعم عن امرأة جاءت به مما يلي القصر الاحمر ودفعته الى كافور الخادم الموصل بالحرم وقالت له ان فيه نصيحة . . الخ)

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٧

قصر الاحمدي

قال ياقوت الحموي في معجمه ، الاحمدي قصر كان بسامراء وخرب عمره ابو العباس احمد بن المعتمد على الله بن المتوكل فسمي به ، وقال بعض اهل الادب اجتزت بسامراء فرأيت على جدار من جدران القصر المعروف بالاحمدي مكتوب عليه هذه الابيات :

في الاحمدي لمن يأتيه معتبر ... لم يبق من حسنه عين ولا أثر

غارت كواكبه وانهد جانبه ... ومات صاحبه واستقطع الخبر

وقال في المراصد والمنجم ان الاحمدي بياء النسبة اسم لقصر كان بسامراء عمره أبو العباس احمد المعتمد على الله بن المتوكل .

قصر اشناس

من الآثار التي لاتزال تحتفظ باسمها القديم هذا القصر ويمكن مشاهدته والآثار القريبة منه وهو يقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال مدينة سامراء الحالية حيث لايزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة أمتار ويعرف بـ (سور أشناس) قائماً فى ذاك وهو يضم آكاماً يستدل من تناسق مظهرها انها بقايا كان قد انشيء ضمن السور . وقد ذكر ياقوت فى معجمه ان الموضع (كان يقال له كرخ فيروز منسوب الى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك وهو اقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الآن باق عامر وخربت سامراء وكان الاتراك الشبلية ينزلونه في أيام المعتصم وبه (قصر اشناس) التركي مولي المعتصم وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الارض ، وزعم بعضهم انه كرخ باجدا

ومنه الشيخ معروف بن الفيرزان الكرخي الزاهد (١)) .

وقال اليعقوبي في ذكر اشناس (كان مملوكاً لنعيم بن حازم ابي هارون بن نعيم ، فعلا قدره وعظم شأنه حتى صار من امراء عسكر المعتصم وكان شجاعاً باسلا وكان في مقدمة الجيش الذي وجهه المعتصم لاخذ بابك الخرمي .

قصر الافشين

سمي هذا القصر بهذا الاسم نسبة للقائد التركي (أفشين) وقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل) (٢) قال (ان الافشين انزل بابك عنده في قصره بالمطيرة وقد أمر المعتصم ان يشهر بابك فيركب على الفيل وقد اصطف الناس من باب العامة (دار الخليفة) الى المطيرة . وقد جاء بكتاب الاخبار الطوال ص ٣٤١) هذه الابيات قالها الشاعر (اسحق بن خلف) في مدح المعتصم :

ما غبت عن حرب تحرق نارها ... بالبذ كنت هنا وانت هناكا

عزت باشفين حسامك أمة ... والدين ممتسك به استمساكا

لما أتاك ببابك توجته ... وأحق من أضحى له تاجاكا

قصر البديع

قال الحموري في معجمه ، بديع بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وعين مهملة اسم بناء عظيم للمتوكل بسر من رأى ، وجاء فى القاموس ما نصه (وكان قصر البديع من الابنية الجليلة فى سامراء) وقد اشار الدكتور احمد سوسة في

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٥

(٢) الكامل ج ٦ ص ١٩٣ و ١٩٥

كتابه (ري سامراء) الى موقع هذا القصر فقال (وتوجد آثار قصر آخر في داخل الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) في حدها الشمالي ، وهذه تقع فى جنوب شرقي تل العليق بالقرب من الركن الجنوبي الغربي لسور قصر الدكة . وفى هـذا القصر ساحة واسعة مسورة بسور مستطيل قائم الزوايا أيضاً . ويقع القصر في داخل السور في منتصف احدى ضلعي السور اللتين تمتدان في العرض . ويبلغ طول الضلع الطولية زهاء أربعمائة متر وطول الضلع العرضية حوالى ٢٦٥ متراً ، وبذلك تكون مساحة الساحة حوالي دونماً عراقياً (مشارة) . ووقوع هذا القصر وسوره داخل حلبة بيت الخليفة يدلنا على أنه من جملة القصور التي أنشأت بعد اهمال حلبة بيت الخليفة .

ويحتمل أن تكون هذه الاطلال من بقايا قصر البديع الذي كان قـد أنشيء على عهد المتوكل بدليـل ان البحتري لما وصف هذا القصر اقترح على المعتز ان يمـد فرع قناة سامراء الذي أنشأه لتموين قصر الدكة (قصر الساج) بالمـاء فيوصله الى قصر البديع ومنه ينهيه فى دجلة قرب الجوسق . وهذا يدل على ان قصر الجوسق كان يقع بالقرب من دجلة غربي قصر البديع ، ويكون ذلك جنوبي دار الخليفة ، وهذا ما أنشده البحتري بصدد النهر المذكور وهو يخاطب المعتز :

ألحقه يا خير الورى بمسيرة	واحدد فضول عبابه المتدفق
فاذا بلغت به البديـع فانمـا	انزلت دجلة في فناء الجوسق

وقد أشار الطبري الى ان المتوكل لما أنشأ قصر الجعفري بالمتوكلية ، أمر بنقض قصر البديع وحمل ساجه اليه .

قصر البرج

ذكره ياقوت الحموي في معجمه بقوله (ولم يبن احد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل وعدد كثيراً من القصور وقال عن قصر البرج (والبرج عشرة آلاف الف درهم) اي أنفق عليه ذلك .

قصر بستان الايتاخية

ذكر ياقوت الحموي في معجمه قصر بستان الايتاخية وذكر ان المتوكل أنفق عليه عشرة آلاف الف درهم قال (وقصر بستان الايتاخية عشرة آلاف الف درهم) اي انفق عليه ذلك .

وقد أشار الدكتور احمد سوسه في كتابه (ري سامراء الى هذا القصر فقال ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطيعة ايتاخ المذكورة ويحتمل ان يكون قصر بستان الايتاخية الذي ذكره ياقوت الحموي .

قصر بلكوارا

اختلف المؤرخون في تسمية هـذا القصر فسماه ياقوت والطبري باسم (بزكوار) والشابشتي وابن سرابيون باسم (بركوار) (١) واليعقوبي باسم (بلكوارا) ويقال لهذا الموضع اليوم (المنقور) وهو يبعد ستة عشر كيلومترات الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة .

---

(١) اختلفت المراجع القديمة في كتابة اسم هذا القصر فقيل بركوارا او بركوار وبلكوار وبزكوار وبركوانا وبركوان وبيركوان واللفظة دخيلة رأينا الاستاذ عبدالحميد الدجيلي قد فسرها بقوله (ان الكلمة فارسية وضبطها بزكوارا أي القصر العظيم الكبير جداً (راجع مجلة عالم الغد) العدد الصادر في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٨ ص ٢٤ .

ويعد العلامة كرزول قصر بلكوارا (من أعظم المنشئات المعارية لكبر مساحته وحجمه ولكثرة الظواهر الفنية المعارية فيه (١) .

وقد اكتشف هرتسفلد هذه المنطقة سنة ١٩١١ فاستمرت حفرياته فيها من ١٢ تموز الى ٩ تشرين الاول ، والقصر الذي اكتشفه هنـاك تزيد مساحته على ثلاثة اضعاف مساحة مدينة سامراء الحاليه ، ويحيط بهـذا القصر سور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٢٥٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على شاطيء دجلة الصخري الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة وعشرين متراً ، وقد اكتشف هرتسفلد فى هذا القصر ايضاً بعض الزخارف الجصية التى كانت تكسو جدران القصر من الداخل . وكان البناء ثلاثة ابواب تقع في منتصف الجدران الثلاثة غير المطلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية ويخترق البناء شارعان رئيسيان متقاطعان . وكان البناء يشتمل على مجموعة من المنـازل وثكنات للمشاة والحرس ، وكان من ضمن القصر حديقة يحيط بها سور ذو دعامات أو فصوص وينتهي عند الشاطيء نفسه بسقيفات غنيـــة بالزخارف والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفى وسطها حوض للماء .

وقـــد تطرق الشابشتي فى كتابه الديارات الى وصف القصر فقال (وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف ببركوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز ، وجعل اعذاره فيه وكان من أحسن أبنية المتوكل وأجلها ، وبلغت النفقة عليه عشرين الف الف درهم) وقد أيد ياقوت ذكر هذا المبلغ الذي صرف في بناء القصر والذي اشار اليه الشابشتي .

---

(١) ري سامراء جـ ١ ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

واطلق ياقوت الحموي اسم (بزكوار) على هذا القصر (وذكره في مكان آخر باسم بركوان) فقال عنه انه (اسم بيت بناه المتوكل في قصر له بسر من رأى فقال بعضهم يذكره بعد خرابه وكتب على حائطه :

هذي ديار ملوك دبروا زمناً	أمر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته	فانظر الى فعله بالجوسق الخرب
وبزكوار وبالمختار قد خليا	من ذلك العز والسلطان والرتب

وجاء ذكر القصر في تاريخ الطبري باسم (بزكوار) ايضاً في استعراض حوادث سنة ٢٥٨ هـ فذكر ان المعتمد لما عقد لأخيه أبي احمد على ديار مضر وقنسرين والعواصم شيعه الى (بزكوار) وانصرف .

اما موضع قصر (بلكوارا) وتاريخ انشائه فقد ذكر اليعقوبي ان المتوكل (انزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له (بلكوارا) فاتصل البناء من بلكوارا الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ) وقال في موضع آخر (ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ابنه عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ) وقد استنتج هرتسفلد من قول اليعقوبي وهي الاربعة والسبعة فراسخ توافق موقعه موافقة تامة وهي تكون الطرف الجنوبي لمنطقة الاطلال ، ولذلك لابد ان يكون بلكوارا قد بني في عهد الخليفة المتوكل على الله . وقد عثر هرتسفلد على كتابة اثرية بالخط الكوفي البسيط على كتلة من الخشب في احدى القاعات نصها « الامير المعتز بالله بن أمير المؤمنين » وهو لقب ابي عبد

الله طلحة بن الخليفة المتوكل . ولما كان لقبه المعتز بالله قد طبع على النقود المسكوكة منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل على انه لم يلقب بذلك الا منذ سنة ٢٤٠ هـ ولما كان المتوكل منذ سنة ٢٤٥ معنياً بانشاء مدينته الجديدة (الجعفريـــة) لذلك حصر هرتسفلد التاريخ الذي بني بـــه قصر بلكوارا بين سنتي ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ (٨٥٤ و ٨٥٩ م) .

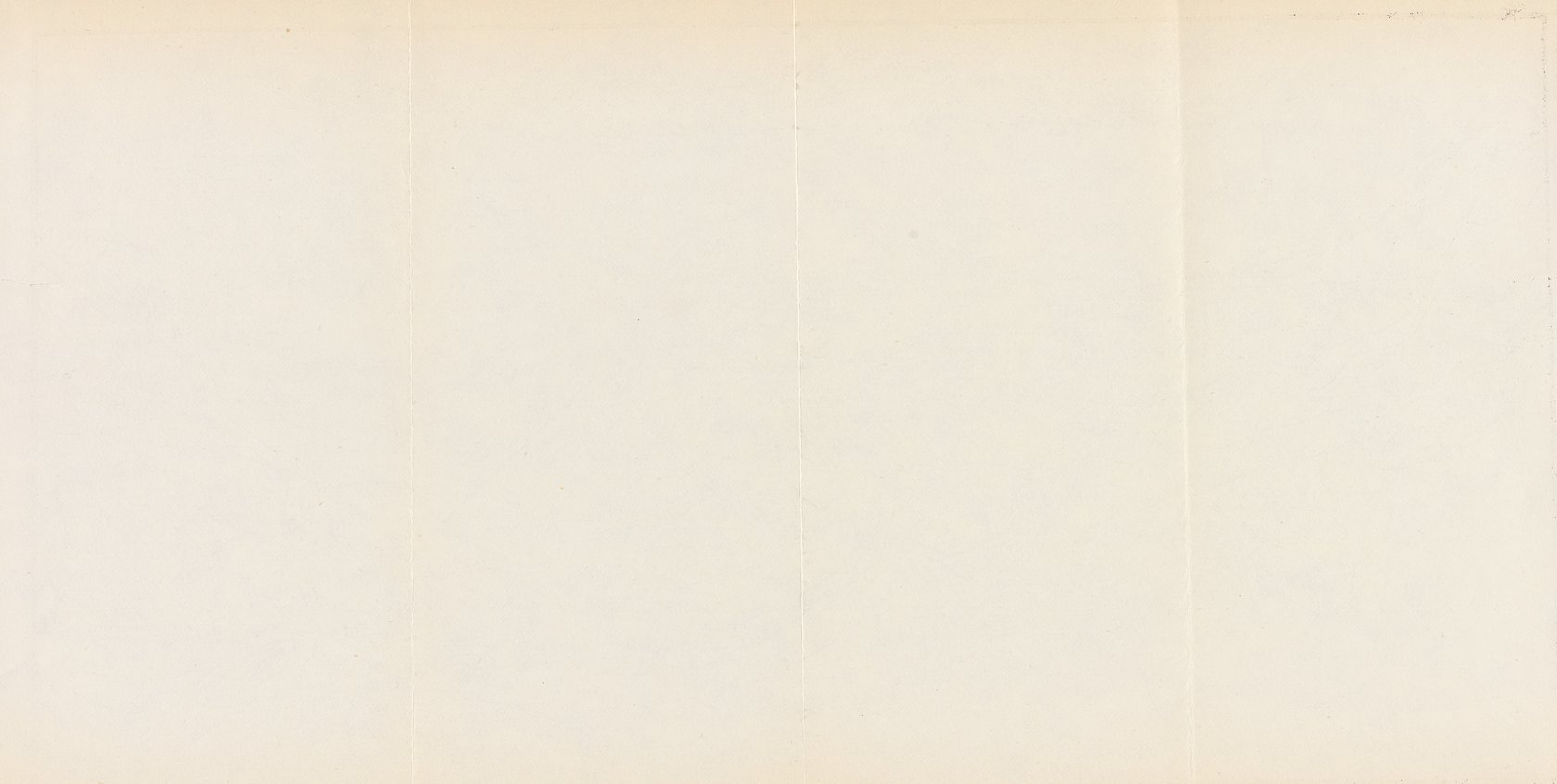
ويقول كرزول في وصف قصر (بلكوار) يعرف هذا الموضع اليوم باسم المنقور ويبعد ستة كيلومترات الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة وقد وجد هرتسفلد في هذا المكان عقداً قائماً من البناء فى وسط مساحة كبيرة من الاطلال واضحة المعالم منتظمة التخطيط مما حدا به الى كشف هذه المنطقة من ١٣ يوليه الى ١٩ اكتوبر سنة ١٩١١ وسرعان ماوجد امامه قصراً هائلا عظيم المساحة يطيف به سور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٣٥٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على شاطيء دجلة الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة عشر متراً .

وفيما يلي ترجمة ما كتبه هرتسفلد عن نتيجة اعماله واستكشافاته فى هـــذا القصـر وهو على ما نعلم التقـرير الوحيد الذي نشر عن ذلك الى الآن :ـ

« ليس لهذا المربـع سوى ثلاثة أبواب تقع في منتصف الحوائط الثلاثة غير المطلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية (الحائط الجنوبي مطل على النهر) ويخترقه شارعان رئيسيان متقاطعان على طريقة المعسكرات والثكنات الرماونيــة والمساحات التي بين الشارعين في النصف الشمالي مزدحمة بالبناء .



خارطة تبين المواقع الاثرية لمدينة سامراء العباسية
منقولة عن كتاب ري سامراء للدكتور احمد سوسة مع بعض التغييرات
نهر دجلة
سامراء
حير المتوكل الوحوش
ساحة الحير
سور الحير
حائر الحير
قناة المتوكل
الشارع الأعظم
الدور
قصر العاشق
نهر الاسحاقي
محطة سامراء
اصطبلات
محطة اصطبلات
تل أسود
بيت الخليفة
حلبة السباق
بلد



وقد لوحظ في تخطيط الابنية وقوعها داخل المربع مع مراعاة مجرى الماء القديم .

والقسم الجنوبي الغربي من الشارع الاعظم الى جانب النهر يشغله مستطيل ثاني مساحته ٤٦٠ ٥٧٥ متراً به حصن يطيف به سور ذو ابراج وهو يمتد من شاطيء النهر الى نقطة تقاطع الشارعين .

اما القصر فله مدخل واحد في وسط جانبه الشمالي الشرقي وهو يقع في منتصف المساحة بالضبط عند تقاطع الشارعين . وينقسم القصر ثلاثة اقسام متوازية كما في قصر العاشق بسامراء ايضاً .

وبالقسم الاوسط منه نجد على الترتيب : ـ المدخل ورحبة الشرف وقاعات العرش . والرحبات في بلكوار ثلاث . اما القاعات وعددها تسع فهي مرتبة على شكل صليب وقد روعي التناسق والتشابه التام على جانبي محور القصر . وغرف العرش مفتوحة على الرحبة الثالثة كقاعات كبيرة كما انها مفتوحة ايضاً على النهر .

وهناك حديقة خارج خط حائط الحصن يحيط بها سور ذو دعامات او فصوص وينتهي عند الشاطيء نفسه بسقيفات غنية بالزخارف . والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفي وسطها حوض الماء .

* * *

والواجهات المطلة على الرحبة والحديقة ذات ثلاثة عقود كما في بيت الخليفة وقصر المشتي وقد اشتقت هذه الواجهات ذات الثلاثة العقود والتي عقدها الاوسط يزيد في اتساعه عن العقدين الجانبين من ابواب الشوارع الهلينية

(الاغريقية) القديمة واقواس النصر الرومانية . ويظهر ان القاعات ذات المدخل والواجهات المماثلة كانت معدة للاستقبالات العامة كما يتضح ذلك من دراسة نظائرها من القصور الشرقية القديمة والحديثة ومن أمثلة ذلك قاعة قصر او إيوان (كسرى) بمدينة طيشفون .

وقد كانت هذه القاعات معدة لهذا الغرض في قصور الامراء ايضاً ودليل ذلك ما ورد بكتاب الاغاني الذي هو من ذخائر الادب ومن أغنى المراجع في تاريخ الثقافة العربية على لسان اعرابي يصف احد امراء سامراء وهو يقول ان هذا الامير اذن له بدخول غرفته فوجدها شبيهة بقاعة كسرى .

والقاعتان الخارجيتان الواقعتان على المحور الرئيسي للقصر على شكل حرف "T" الذي اعتدنا رؤيته في سامراء . اما القاعات الخمس المرتبة على شكل صليب فان الوسطى منها مربعة وكانت لاجتماعات الخليفة الخاصة وهناك اربع مجموعات متشابهة من الغرف بين أذرع الصليب تتكون كل منها من ثمانية غرف تدور حول رحبة صغيرة مربعة وبينما نجد القاعات الكبرى مسقوفة بالخشب على شكل قبو على الارجح نجد الغرف الصغرى مسقوفة بقبوات معقودة من اللبن ذات حشوات غاطسة قريبة الشبه بالسقوف الهلاينية (الاغريقية القديمة) ذات الحشوات الغاطسة وامام القاعات ذات الشكل حرف "T" الواقعة على المحور الرئيسي رحبات وغرف كثيرة اخرى لضرورات المعيشة المنزلية بينها حمام فاخر كان مكسواً بالرخام .

أما الزخارف فهي على نسق واحد متكرر ويظهر جمالها في اتساقها وتكررها

وكبر المساحة التي تغطيها لا في دقــــة صناعتها . بينما نجد في البيوت الخاصة التي استكشفت بسامراء على كل حائط منهــا زخارف كثيرة متنوعة دقيقة وغنيــة . والطراز السائد هنا هوطراز سامراء الاول ويعلو وزرات القاعات الرئيسية صفف حائطية منتظمة في ثلاثة صفوف : اسفلها مربع وتعلوه صفة مدببة العقدفوقها دائرة . اما الغرف الصغرى . فنجد بها الصفف المربعة في الاسفل تعلوها اخرى بيضوية او اهليلجية مدببة او ذات اربع حنايا . على ان الصفوف الثلاثة لا توجد كاملة في اية حجرة من الحجرات .

وعلاوة على زخارف الجص نجد في بعض الحجرات زخارف مصورة منقوشة ومذهبة كما يشاهد ذلك في السقيفات المطلة على النهر . اما الواجهة ذات الثلاثة العقود فكانت محلاة بالفسيفساء الزجاجية على ارضية مذهبـــة في اشكال زخرفية تغلب فيها الفروع النباتية . اما الالوان فتنحصر في اللون الاخضر الذي يتدرج من الاخضر الذهبي الى الاخضر الغامق وبراعم الازهار والفاكـــهة من اللؤلؤ والارضية من الذهب . وكانت هذه الالوان موزعة جميعاً بنسب متساويـة تقريباً . وكانت ابواب الغرف مصنوعة من الاخشاب الفاخرة وكانت غنية بالزخارف المنقوشة والمذهبة ومحلاة بمسامير النحاس المذهبة ايضاً . وكانت النوافذ تملأ بقطع زجاجية مختلفة الالوان منها الازرق اللاجوردي والاصفر الباهت والبني والاخضر الغامق والاحمر البنفسجي على ان هذه البقايا جميعها لا تكفي لتكوين فكرة واضحة تماماً عن زخرفة الحجرات .

ويتكون القسمان الاخران من المستطيل العظيم من مجموعة من المنازل المفردة ونظراً الى كبر مساحة القصر كانت المسافة الواقعة بين حائط النهر وخط الجانب

الداخلي من رحبة الشرف الثالثة كافية لتشييد المنازل بها اما الفضاء المجاور للرحبتين الاولين فبقي خالياً من البناء تقريباً . وبهذه الطريقة نجد المحور يقسم القصر الى قسمين كما في قصر العاشق .

وهذه المنازل المفردة تعد نماذج وأمثلة حقيقية لطراز المنازل الخاصة بسامراء فهي تتكون من ست عشرة غرفة مجتمعة حول رحبه . وهذه الرحبات مستطيلة الشكل نسبة اضلاعها ٢ ٣ وفي احد اطرافها قاعة على شكل حرف " وكان يقطن هذه المنازل خدم وحشم الامير او زوجاته وحريمه .

اما في القسم الشمالي فيختلف التخطيط قليلا اذ نجد شارع السوق ورحبات كبرى يظن انها كانت ثكنات للمشاة والحرس . وقد لخصنا من قبل في تأسيس سامراء ان المعتصم خط القطائع للقواد وللكتاب وللناس . وانه أفرد قطائع الاتراك والعجم وغيرهم من قطائع الناس جميعاً وجعلهم معتزلين عنهم . ومنعهم من الاختلاط بهم ليس معهم فى قطائعهم ودروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره ولا يطلق لغريب مجاورتهم . ولا يطلق معاشرة المولدين . . الخ .

وانه أمر قواده واصحابه ورؤساء جنده ان يبنوا لهم فى خلال قطائعهم المساجد والاسواق والحمامات . ولا شك ان هذا كان الحال ايضاً في بلكوار .

وقد روي المقريزي في وصف قطائع ابن طولون انه كان له القصر والميدان للعب الصوالجة ولابد ان قصر بلكوار كان فيه كل ذلك ايضاً .

ولاحظنا فى دراستنا لقصر المشتى اوالاخيضر ان المسجد كان يقع الى اليمين فى القسم الاول من رحبة الشرف . ولذلك كنا نعتقد ان هذا هو الحال في بلكوارا فمسجد قصر المشتى يقع الى يمين المدخل الكائن با لحائط الجنوبي وهذا

الحائط في سمت القبلة . وفي وسطه (اي المسجد) المحراب الذي يدل دلالة واضحة على انه مسجد القصر .

اما في قصر الاخيضر فان مدخله من الشمال . ومسجده في مثل هذا الموضع ايضاً الى يمين الداخل وهو ذو بوائك واروقة منتظمة وله محراب في روافة الجنوبي .

فالقصران الاولان في سمت القبلة . اما باكوار فمنحرف عنها بمقدار ٤٥ درجة .

ولذلك فاذا انشيء به مسجد فلا يحتاج الى كبير عناء لمعرفة موقعه لان حائط القبلة به لابد ان يكون منحرفاً عن بقية الجدران بمقدار ٤٥° درجة .

* * *

وقد ساعدنا هذا الاستنتاج على العثور على موضع المسجد في الرحبة الثانية حيث وجدنا في حائط هذه الرحبه بابا ذا ثلاث فتحات والى يمينه مسجد مساحته ١٥ × ٣٥ متراً به صفات من الاعمدة في كل منها ثمانية عمد . وقد كانت هذه الاعمدة من خشب الساج او الرخام ولم يبق الا آثار مواضعها واسسها وقواعدها التي كانت تبلغ ٥٠ سنتمتراً (او ذراعاً واحداً) .

ولم يبق شيء كذلك من اسوار هذا المسجد او اسسها لانها كانت من الآجر وقد اخذت جميعها وحملت لبناتها الى أماكن اخرى ولذلك لم يمكن معرفة موضع المحراب بهذا المسجد . الا انني وجدت بالقسم الجنوبي المقابل مسجداً صغيراً آخر تبلغ ابعاد قاعدته ٧٫٧٦ × ١٠٫٣٥ المتر (أي (١٥ × ٣٠ ذراعاً) وهو مبني باللبن ولذلك لم تمتد اليه يد بالعبث او الهدم ولهذا المسجد ثلاثة ابواب في جداره

الشمالي ويتكون محرابه من صفة عميقة مستديرة يحف بهـا انصاف أعمدة (أعمدة حائطية) يحيط بها رفرف بارز ذو تقوير محدب مكوناً اطاراً مستطيلا ولذلك يمكن اعادة انشاء المسجد الكبير على هذه الصفة أيضاً .

ويعد قصر بلكوار من أعظم المنشآت المعماريـــة لكبر مساحته وحجمه ووفرة الظواهر الفنيـة المعمارية فيه ومما يزيد في روعته رحبـاته الواسعة بنسبها وتخطيطها وعظمتها . وابوابه بتنوع أطرزتها واشكالها . وواجهاته بعقودها ورفوفها وفسيفسائها وهي جميعاً أدله ناطقه على منزلة هذا البناء في تاريخ العمارة الاسلامية . كما ان المادة المبني منها افضل بكثير من المواد المستعملة في بناء الابنية الاخرى فان الاسوار المحيطة بالحصن مبنية من الطين ذي اللون الاسود والرحبه الاولى والاقسام الجانبية مبنية من اللبن بينما الرحبه الثالثة مبنية من الآجر وكذلك قاعات العرش هذا الى حسن اختيـــار موقعه ودقة تخطيطه فان الواقف في الحجرة الوسطى (المركزية) مثلا يرى الى الشمال الغربي صفاً هائلا من القاعات ورحبات الشرف الثلاث بأبوابها العظيمة وشوارع المربع الخارجي والى الجنوب الغربي القـاعات والحديقة والنهر وسهل الجزيرة الذي لا يصل الى مداه الطرف .

وفي المحـور الرئيسي يرى الانسان في الشمال الغربي القاعات والمنـازل والاقسام الجانبية ووادي النهر يشرف عليهـا جميعـاً على بعد فرسخين ونصف الفرسخ قصر العاشق وقبة الصليبية والى الجنوب الشرقي رأس قناة القاطول وقبة القائم . ولا شك ان تخطيط القصر على هذه الطريقـــة مع ما فيه من التناسق وحسن التقسيم على النظام المحوري قد اكسبه كثيراً من العظمة والجلال والروعة والبهاء .

كما ان المعمار قد استفاد كثيراً من طبيعة الارض واحسن استغلالها من حيث ارتفاعها وانخفاضها . فالقسم الاوسط مثلا اكثر ارتفاعاً من القسمين الجانبيين كما ان الرحبات تختلف من حيث ارتفاع ارضها وانخفاضها . وترتفع قاعات العرش التي يجلس فيها الخليفة عن جميع اجزاء القصر الاخرى وتكاد تكون ارضها فى مستوى السطوح المنبسطة بالاقسام الجانبية .

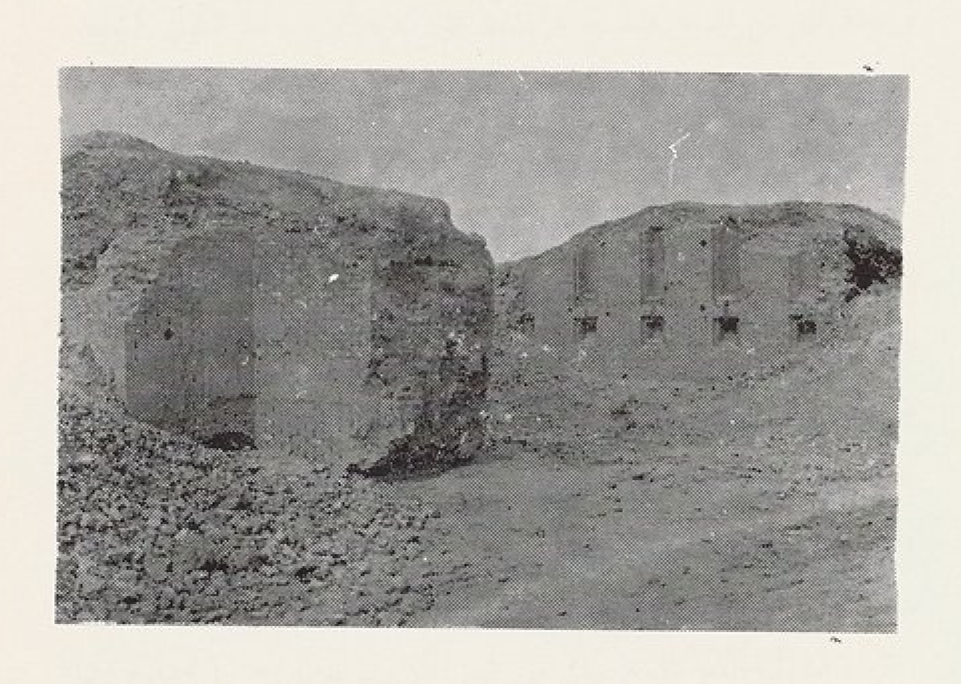
* * *

تحقيق موقع القصر وتاريخه

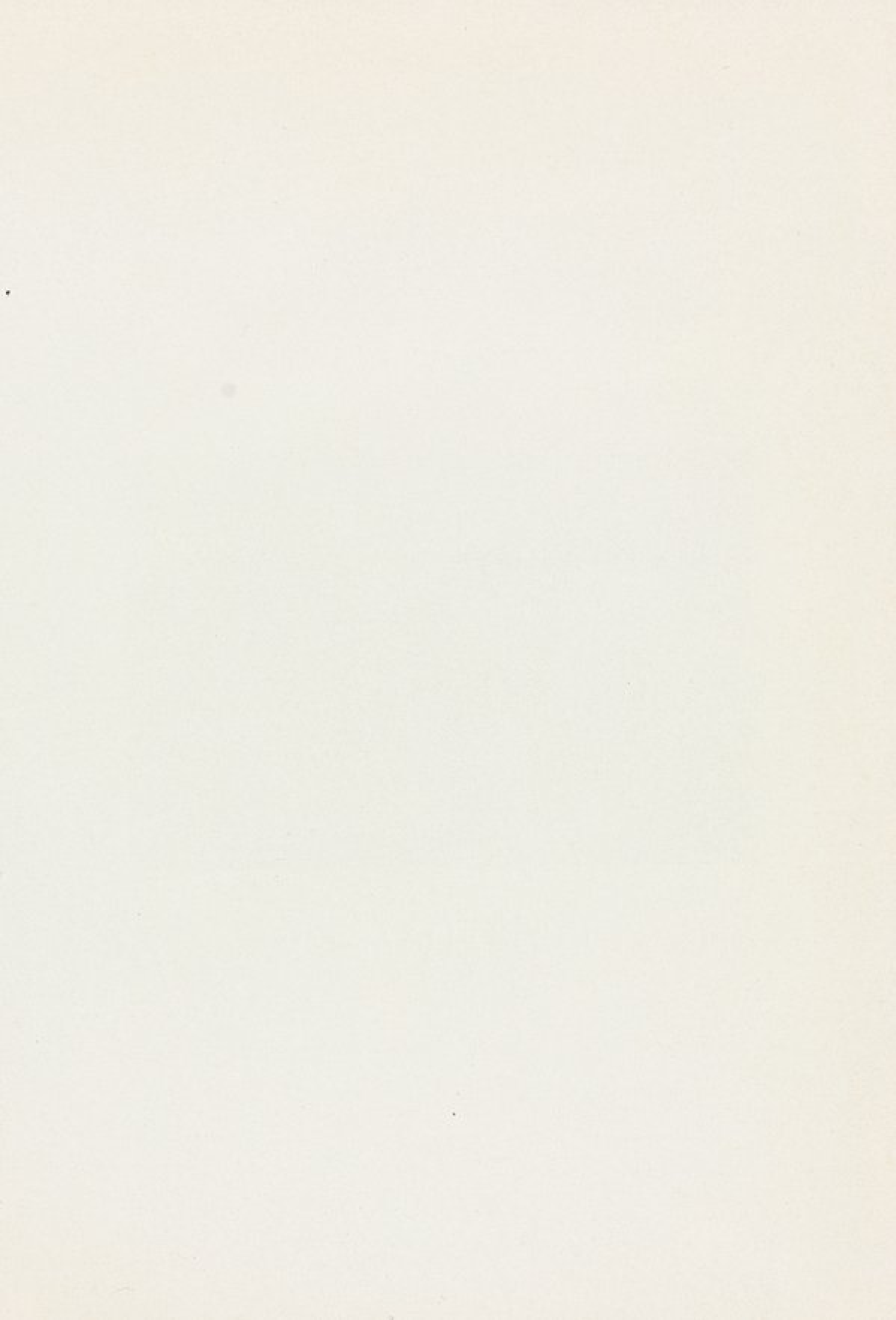
يقول اليعقوبي : « توفي الواثق فى ٢٣٢ ه (٨٤٧ م) وولي جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني و ثره على جميع قصور المعتصم . وانزل ابنه محمداً المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وأنزل ابنه إبراهيم المؤيد بالمطيرة وأنزل إبنه المعتز مشرقاً بموضع يقال له بلكوار (فاتصل) البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربع فراسخ » .

ويقول فى موضع آخر : « ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ينزله ابنه أبو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء . . . ولا موضع لاعماره فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ » .

وقد أستنتج هرتسفلد من هاتين العبارتين ان هذه الاطلال التى وصفنا تخطيطها وبناءها هي أطلال بلكوار لان هذه المسافات التي ذكرها اليعقوبي وهي الاربعة والسبعة الفراسخ توافق موقعه موافقة تامة وهي تكون الطرف الجنوبي



١٢ ـ قصر بلـكوارا او قصر المنقور



لمنطقة الاطلال العظيمة الا بعض الحارات الطويلة والمنازل الممتدة على شاطيء دجلة مسافة خمس دقائق مشياً على الأقدام ويكون سورها الجنوبي الشرقي والشمالي الشرقي حدود ضواحي سامراء .

ولذاك فلا بد ان يكون بلكوار قد بني في عهد الخليفة المتوكل على الله بين سني ٢٣٢ و ٢٤٧ هـ (٨٤٧ - ٨٦١ م) . على اننا يمكننا ان نحصر التاريخ في في عدد اقل من السنين فقد عثر هرتسفلد على كتابة أثرية بالخط الكوفي البسيط على كتلة من الخشب في احدى القاعات نصها « الامير المعتز بالله بن امير المؤمنين » وهذا هو لقب ابي عبد الله طلحة ابن الخليفة المتوكل .

وقد روى ابن خلدون وابن الاثير ان الخليفة المتوكل اعلن ولاية العهد لابنائه الثلاثة من بعده هم : محمد المنتصر وابراهيم المؤيد وابي عبد الله طلحه وذلك في سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) وان الاخير منهم لقب بالمعتز بالله واعطى ولايات خراسان وطبرستان والري وارمينية وفارس وآذربيجان وفي رواية هذين المؤرخين خطأ لاحظه هرتسفلد فيما يتعلق بلقب المعتز بالله لان المعتز كان يتولى الاشراف على دار سك النقود وللامبراطورية الاسلامية كلها وظهر اسمه على النقود المسكوكة في سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) ابو عبد الله .

اما لقبه المعتز بالله فلم يظهر على النقود الا منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل انه لم يلقب بذلك الا منذ ٢٤٠ هـ وعلى ذلك لا يمكن ان تكون الكتابة التاريخية الكوفية على كتلة الخشب التي اشرنا اليها آنفاً وفيها اسم المعتز بالله اقدم من سنة ٢٤٠ هـ وبعبارة اخرى ان قصر بلكوار لا يمكن ان يكون أنشيء قبل هذا التاريخ كما انه لم ينشيء بعد ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) لان المتوكل كان معنياً في ذلك

الوقت بانشاء مدينته الجديدة (الجعفرية) التي كان قد عزم على ان يبنيها و ينتقل اليها و تنسب اليه و يكون بها الذكر وقد ابتدأ النظر فى ذلك فى سنة خمس و أربعين ومائتين وانتقـل المتوكل الى قصور هذه المدينـة اول يوم من محرم سنة سبع و أربعين ومائتين .

* * *

قصر البهو

ذكر المسعودي قصر البهو و أوضح ان المتوكل أنفق عليه خمسة وعشرين الف الف درهم وقال ياقوت الحموي في العجم في أن تكاليف أ شاء قصر البهـو بلغت خمسة وعشرين الف الف درهم ، وفي هـــذا اتفق المسعودي والحموي في الكلفة ولم يعينا موقع القصر الا أن الدلائل تشير الى أن موقعه شمال مدينة سامراء .

قصر التل

ذكر المسعودي فى (مروج الذهب) هذا القصر وبين ان المتوكل أنفق عليه خمسة آلاف الف درهم علوه وسفله ، كما ذكر الحموى نفس هذا المبلغ .

وقد أشار الدكتور احمد سوسه في كتابه (ري سامراء) الى هذا القصر فقال و لقد درس هرتسفلد هذا التل (١) خلال تنقيباته فى سامراء قبـل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احداهن في الوسط كانت فوق قمته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم (قصر التل)

(١) أي تل العليق

الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل .

قصر الجص

يقع هذا القصر على الجانب الايسر من نهر الاسحاقي على بعد تسعة عشر كيلو متراً عن مدينة سامراء ، وقد ذكر ابن سرابيون في كتابه (عجائب الاقاليم السبعة) ان المعتصم بناه على نهر الاسحاق وسماه باسم « قصر الجص » بدليل ان القصر بني بالجص الممزوجة بالحصى بشكل يشبه الخرسانة ، ومما قاله الحموي في المعجم ان قصر الجص عظيم قرب سامراء فوق الهاروني بناه المعتصم للنزهة وعنده قتل (بختيار بن معز الدولة بن بويه قتله عضد الدولة ابن عمه) (وبختيار هو خامس ملوك بويه كنيته ابو منصور ولقبه عز الدولة) .

وجاء ذكر (قصر الجص) في رسائل الصابي (الجزء الاول طبعة لبنان لسنة ١٨٩٨) ص ٦٧ ، فوصف فيها بكونه بالجانب الغربي محاذياً لسر من رأى .

ويقول الدكتور احمد سوسه (١) تقع خرائب الحويصلات في السهل الذي على الجانب الايسر من نهر الاسحاقي على بعد سبعة عشر كيلومترا شمال محطة سكة حديد سامراء ويرجح انها بقايا قصر من قصور الخلفاء في سامراء على الجانب الغربي من دجلة وتبلغ مساحة بناية هذا القصر حوالي تسعة عشر الف متر مربع واما مساحة القصر مع حديقته وسوره فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع ويغلب على الظن ان خرائب الحويصلات هذ بقايا القصر الذي ذكره ابن سرابيون باسم قصر (الجص) .

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٨٧

قصر الجعفري

ذكر الدكتور احمد سوسه في كتاب (ري سامراء (١) هذا القصر فقال ﴿ وكان المتوكل قد بنى في موضع الماحوزة بالمتوكلية قصراً فخماً سماه (القصر الجعفري) وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هذا القصر وبركته الواسعة تشاهد على ضفة نهر دجلة في شمال سور دار الخلافة في الزاوية التي يكونها نهر دجلة من جهة ونهر القاطول الكسروي من الجهة الثانية .

وقد جاء وصف هذا القصر فى اكثر كتب المؤرخين من العرب فقال ابو الفداء فى تاريخ المختصر : ﴿ وفى سنة ست وأربعين تحول كل المتو الى الجعفري وكان قد ابتدأ في عمارته سنة ٢٤٥ وانفق عليه اموالا تجل عن الحصر ويقال لمكانه الماحوزة ﴾ .

وقال ياقوت فى مادة الجعفري (وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفري وانفق عليه الفي الف دينار وكان المتولي لذلك دليل ابن يعقوب النصرانى كاتب بغا الشرابي) واضاف ياقوت الى ذلك قوله بان (الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهما بدينار فيكون عن الفي دينار خمسون الف الف درهم) وقد أيد ياقوت ذلك في مادة (سامراء) فذكر ان كلفة (القصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة ، خمسين الف الف درهم) وأشار أيضاً فى المادة نفسها الى أن هناك قصراً آخر كان يسمى (الجعفري المحدث) بلغت كلفة انشائه عشرة آلاف الف درهم .

ويلاحظ ان الطبري قد عتبر مبلغ الالفي الف دينار ، الذي ذكره ياقوت

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

بانه كان كلفة بناء قصر الجعفرية ، شاملا كلفة بناء المتوكلية نفسها ، وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال (وفي سنة ٢٤٥ ﻫ أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفري وأقطع القواد واصحابه فيها وجد في بنائها وتحول الى المحمدية ليتم أمر الماحوزة وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجهما الى الجعفري وانفق عليها فيما قيل اكثر من الفي الف دينار جمع فيها القراء فقرؤا وحضر أصحاب الملاهي فوهب لهم الفي الف درهم وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكلية ﴾ .

وقد اشتهر القصر الجعفري بحسنه وفخامة بنائه فكان مصدر وحي الشعراء والكتاب وذكر ابن خلكان ان أبا العيناء محمد بن القاسم بن الخلاء الاهوازي البصري ﴿ دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ ﻫ فقال له ما تقول في دارنا هذه فقال ان الناس بنو الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن المتوكل كلامه .

كما ان للشعراء في ذكر هذا القصر أشعاراً كثيرة ، ولعل أحسن ما قيل فيه وصف البحتري له في أبياته التالية :

قد تم حسن الجعفري ولم يكن	ليتـــم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خـير الدار أنشئت	في خـير مبدى للانام ومحضر
فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ	وترابها مسك يشاب بعنـبر
مخضرة والغيث ليس بساكب	ومضيئة والليل ليس بمقمر
فرفعت بنياناً كأن منارة	أعلام رضوى أو شواهن صبير
أزرى على همم الملوك وغض من	بنيان كسرى في الزمان وقيصر
عال على لحظ العيون كأنما	ينظرن منه الى بياض المشترى

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسير دجلة تحته ففناؤه من لجة غمر وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنثني أعطافه في سائح متفجر
أعطيته محض الهوى وخصصته بصفاء ود منك غير مكدر
واسم شققت له من اسمك فاكتسى
شرف العلو به وفضل المفخر

وقال البحتري أيضاً وهو يرثي المتوكل بعد مقتله :

تغير حسن الجعفري وأنسه وقوض بادي الجعفري وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجأة فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه أجدلنا الاسى وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

قصر الجوسق

وكان القصر المعروف بـ (الجوسق) يعد من أهم القصور التي انشئت على عهد المعتصم حيث أعد لسكنى الخليفة نفسه . أما موقعه فيستدل من وصف المؤرخين انه كان يقع على ضفة نهر دجلة الشرقية جنوبي (دار العامة) مطلا على الحير (١) مما يدل على ان ارض القصر ومشتملاته كانت تشغل كل المساحة التي بين شاطيء دجلة والحير .

---

(١) ذكر العلامة العميد الركن المرحوم طه الهاشمي في كتابه (مفصل جغرافية العراق) ص ٥٢٢ و ٥٢٣ ان الجوسق يقع في ضفة نهر دجلة الغربية) ــ وهو غير صحيح

وفيما يلي وصف اليعقوبي للجوسق قال مانصه : (فوقف المعتصم فى الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الارض واختطفيه وصار الى موضع القصر المعروف بـ (الجوسق على شط دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتاب وسماها باسمائهم (١) وتؤيد الروايات التاريخية بان المعتصم سكن فى هذا القصر طيلة مدة حكمه ولما توفي دفن فيه ، كما تؤيد لنا بان اخلافه من الخلفاء الذين حكموا فى سامراء سكنوا فيه أيضاً باستثناء الواثق والمتوكل أما الواثق فقد سكنه في ابان حكمه ثم انتقل الى القصر الهاروني بعد اتمام بنائه ، في حين ان المتوكل آثر السكنى في الهاروني بعد توليه عرش الخلافة ومن ثم انتقل الى القصر الجعفري بالمتوكلية قبل مقتله .

ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل انزل ابنه محمداً المنتصر فى الجوسق(٢) وقد أورد المؤرخون ذكر (الجوسق) في مناسبات عدة عند سردهم الحوداث فى عهد خلفاء سامراء ، منها حادثة مقتل أتامش و كاتبه في عهد المستعين (٣) وحوادث مقتل موسى بن بغا ومصرع بابكباك ونهب الجوسق في زمن المهتدي (٤) والحوادث الاخرى التي وقعت في عهد المعتمد (٥)

ويستفاد من روايات المؤرخين انه كان في قصر الجوسق سجن ملكي كان يسجن فيه السياسيون والقواد والامراء ، ويظهر ان هذا السجن انشيء في الاصل

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ١٩٧ .

(٢) كتاب البلدان لليعقوبي

(٣) الطبري (٣ : ١٥٣٨) .

(٤) الطبري (٣ : ١٨١٠ ، ١٨١٥ ، ١٨٣١)

(٥) الطبري (٣ : ١٩٢٧ ، ٢٠٤٠)

في عهد المعتصم لحبس الافشين فيه وقد سمي باسم (لؤلؤة) ثم سجن فيه المعتز والمؤيد في عهد المستعين كما سجن فيه احمد بن المتوكل الذي كان يعرف بـ (ابن فتيان) في عهد المهتدي وذكر الطبري في جملة حوادث سنة ٢٢٥ هـ (ان المعتصم دعا الافشين فجاء وهو في سواد (فامر بأخذ سواده وحبسه فحبس في الجوسق ثم بنى له حبساً مرتفعاً وسماه لؤلؤة داخل الجوسق وهو يعرف بالافشين (١)

وجاء ذكر البناية أيضاً فيما قيل عن ارسال المعتصم بعض الفواكه الى الافشين وهو في سجنه فهذا نص الرواية وقد نقلها الطبري ايضاً قال : (في سنة ٢٢٦ هـ ذكر عن حمدون بن اسماعيل انه قال لما جاءت الفاكهة الحديثة جمع المعتصم من الفواكه الحديثة في طبق وقال لابنه هارون الواثق اذهب بهذه الفاكهة بنفسك الى الافشين فادخلها اليه فحملت مع هارون الواثق حتى صعد بها اليه في البناء الذي بني له محبس فيه الذى يسمى لؤلؤة (٢) ويظهر المعتقل المذكور صار يعرف باسم (لؤلؤة الجوسق) فقد ذكر المسعودي ان المستعين لما كان في سامراء قبل ان ينحدر الى بغداد اعتقل المعتز والمؤيد في هذا السجن وأبقاهما فيه فاطلق الموالي سراحهما وبايعوا المعتز . ويقول المسعودى في هذا الصدد مانصه (وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه . . فأجمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافتــه ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيـه مع أخيه المؤيد فبايعوه (٣) .

(١) الطبري (٣ : ١٣٠٧)
(٢) الطبري (٣ : ١٣١٥) .
(٣) الطبري (٣ : ١٥٠٧ ، ١٦٦٨)

وذكر الطبرى سجن الجوسق عند وصفه لحوادث سنة ٢٥٦ هـ - وهي الحوادث المثيرة التي اكتنفت عهد المهتدى القصير والتي كانت تدور حول عصيان الجيش وتمرده على الخليفة فقال ان المهتدي لما استنجد بالعامة ولم ينصره أحد (صار الى باب السجن فاطلق من فيه وهو يظن انهم يعينونه فلم يكن منهم إلا الهرب) فاتجه بعد ذلك الى دار أبي صالح عبد الله وأخرج منها وسيق الى الجوسق فحبس فيه عند احمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فأبي واستسلم للقتل (١)

ويستفاد من أوصاف الطبري لحوادث عصيان الجيش في عهد الخلفاء العباسيين في في سامراء أن الجوسق كان في ذلك العهد المحور الذي كان تدور حوله المؤامرات والتجمعات وحوادث القتل والسجن والاغتيال وكانت الالوف من الجنود تتقاتل فيما بينها في ساحاته وداخل أبنيته الواسعة ، وقد أطلق عليه الطبري باسم (الدار) دون ذكر اسم الجوسق كلما أشار اليه مما يدل على انه كان من الاماكن الرئيسية المشهورة في العاصمة العباسية في ذلك الوقت .

ومما يدل ايضاً على ان الجوسق كان يعد من الأبنية الرئيسية في سامراء العباسية ومركزاً مهماً فيها ان المكتفي لما اتجهت نيته الى الانتقال الى سامراء واعادة البناء فيها ضربت له المضارب بالجوسق وكان يريد البناء فيه غير انه عدل عن ذلك ورجع الى بغداد .

وقد اختار ابن المعتز قصري الجوسق والتل من دون قصور سامراء فذكرها في ديوان شعره وهو يرثي الخلافة العباسية بعد أن أصابها الوهن

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ . الدكتور احمد سوسة .

والشلل قال :

فتلك أطلال لهم قفارا ترى الشياطين بها نهارا

بالتل والجوسق والقطائع كم ثم من دار لهم بلاقع

وقال ياقوت الحموي فى المعجم عند ذكره (بزكوار) أبياتاً منها :

عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الخرب

ويظهر ان الجوسق كان يعرف باسم (الجوسق الخاقاني) وقد سماه المعتصم بهذا الاسم نسبة الى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان الذي اقطعه واصحابه القطائع ممايلي الجوسق .

وجاء فى (مروج الذهب للمسعودي ما يؤيد ذلك قال (وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول)

ويلاحظ ان ياقوت ذكر بان الجوسق من القصور التى بناها المتوكل في سر من رأى فى ميدان الصخر وانفق عليه خمسمائة الف درهم ويظهر من ذلك ان الجوسق اثنان أحدهما من ابنيه المعتصم وهو الجوسق الرئيسي والآخر من أبنية المتوكل أنشيء بالقرب من الجوسق الكبير فى احدى ساحاته .

ولا شك في ان اطلال قصر الجوسق كانت من أبرز وأوسع المواقع الأثرية فى سامراء إلا أن قربها من مدينة سامراء الحالية كانت السبب المباشر فى محو معالمها حيث استخرج كل ما فيها من آجر ونقل الى المدينة الجديدة التي أسست فوق اطلال سر من رأى العباسية لاستعماله فى بنائها وفى انشاء السور الضخم حواليها . ويحتمل ان يكون جزء من مدينة سامراء الحالية قد بني على طرف أرض

الجوسق نفسه مما أدى الى محو معالم القصر محواً تاماً .

ويذكر كرزول قصر الجوسق فيقول :

قام بكشف أطلال هذا القصر العالم الاثري فيولية Viollet سنة ١٩٠٧ غير ان اعماله لم تكن سوى تمهد للاستكشافات العظمية التي قامت بها البعثة الاثرية الالمانية فيما بعد باشراف العالمين الكبيرين زره وهرتسفلد .

يقول هرتسفلد في احد تقاريره (استمرت اعمال الكشف بهـذا القصر سبعة أشهر كان يشغل فى أثنائها عدد يتفاوت بين ٢٥٠ و ٣٠٠ عامـل يوميـاً واستخدمت سكة حديدية محلية خاصة لنقل الأتربـة وتزيد مساحة القصر التي يطيف بها السور عن (١٧٥) هكتار تشغل منها التي تشرف على نهر دجلة بمخائلها وممراتها وقاعاتها وحماماتها ٧١ هكتاراً .

وبناء على ذلك فلو اريد استكشاف القصر جميعه وملحقاته لاستغرق ذلك عشرين عاماً ومهما يكن من شيء فان كشف هذه الامكنة لم يكن امراً شاقاً كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة . لانه كان من الممكن تتبع التخطيط العام للقصر وترتيب قاعاته وحجراته المختلفة حتى بدون القيام باعمال الحفر . ولذلك فقد روئي حصر هذه الاعمـال فى الاجـزاء الرئيسية أى الواقعـة على المحور الرئيسي للقصر .

وقد كشف حوالي ١٤ الف متر مربع من الارض وأزيل ٣٢ الف متر مكعب من الردم منها ١١ الف متر مربع و ٢٨ الف متر مكعب من الردم من الحفائر التي اجريت في وسط القصر .

وقـد بدأت اعمال الحفر والتنقيب بعدة اختبارات وابحاث تمهيدية في

المحور الرئيسي والمحور العرضي للرحبة الكبرى لتأخر وصول السكة الحديديـة التي طلبت لاستخدامها في نقل الردم وبعد وصولها امتدت اعمال الحفر الى البناء الرئيسي نفسه .

وكانت تفاصيل تخطيط هذا البناء تتضح لنا رويداً رويداً الا أنها لم تعرف تماماً إلا حينما ظهر اثناء الحفر وكشف تخطيط القصر ورفـع الأتربة ان هذه المجموعة الهائلة من المباني لم يكن لهـا سوى مدخـل واحد في وسط جانبها الغربي ما تزال بقاياه موجودة الى اليوم تعرف بباب العامة .

وكان نهر دجلة يجري بجوار الجانبين الغربي والجنوبي الغربي للحديقة السفلي وكان الشارع الاعظم يمتد من الجنوب حتى ينتهي الى جدران القصر وهناك يتصل بشاطيء دجلة من جهة الجنوب مكوناً معه زاوية حادة حيث يقع باب النزالة وهناك طريق طوله ستمائة متر يخترق الحديقه حتى (الحوض الأعظم) وسعته ١٢٧ متراً مربعاً حيث يبدأ سلم عرضه ٦٠ متراً وطوله مثل ذلك يرقى منه الى شرفة ارتفاعها ١٧ متراً أمام باب العامة .

قصر حبشي

أورد ياقوت الحموى ذكر قصر على الضفة اليمنى لنهر دجلة قرب الاسحاقي سماه (قصر حبش) فقال عنه أنه موضع قرب تكريت فيه مزارع شربهـا من الاسحاقي ولعل موقع هذا القصر فى التل المعروف بـ (تل مهيجبر) وهو تـل مسطح علوه خمسة أمتار وطوله عشرون متراً يقع في حافة دجلة الغربية الحاليـة مقابل القصر الجعفرى الذى في الضفة اليسرى (١)

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٩٠ للدكتور احمد سوسة

قصر الحير

قال الحموي في المعجم الحير بالفتح كأنه منقوص من الحير اسم قصر كان بسامراء انفق المتوكل على عمارته اربعة آلاف درهم ثم وهب المستعين انقاضه لوزيره احمد بن الخصيب فيما وهبه له . وقال المسعودي في (مروج الذهب) عند ذكره سيرة المتوكل (وأحدث في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني قصراً احدث بنياناً في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عمم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثه على الرواق ، فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين ، اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية) .

قصر حمرانه

يقع هذا القصر في الجانب الغربي من نهر دجلة ، وقد ذكره صاحب كتاب المراصد وقال انه قصر يقع في قرية قرب المعشوق في الجانب الغربي مقابل سامراء .

قصر الدكة

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء (١) هذا القصر فقال وكان في الحدود الشمالية الغربية لساحة الحير قصر يسمى بالدكة ، وكان القصر يقع على ضفة نهر القاطول الكسروي اليمني في شرقي تل العليق ، وكان امامه بركة مدورة تستمد مياهها من فرع خاص يتشعب من قناة سامراء ، وهي القناة التي حفرها المتوكل لايصال مياه دجلة الى مدينة سامراء ، كما كانت أمامه ساحة واسعة تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠٠ دونم (مشارة) وكانت الساحة مسورة بجدار على شكل مستطيل قائم الزوايا ، تمتد الضلع الشمالية مسافة حوالي كيلومترين ونصف بين ضفة القاطول الكسروى وتل العليق ، ومن قرب تل العليق تنحرف الضلع الثانية فتسير الى الجنوب الشرقي بموازاة القاطول الكسروى حوالي كيلو متر ونصف كيلو متر ، وتخترق الضلع الثانية هذه الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) مما يدل على أن القصر والسور أنشئا بعد الحلبة وحلت محلها (حلبة تل العليق) وتوجد آثار بناء في منتصف كل من الضلعين الطويلتين كما انه توجد آثار بناء في منتصف الضلع التي تخترق الحلبة مقابل بناية القصر الواقعة على ضفة القاطول الكسروى تماماً .

ويستدل من مواقع هذه الآثار انها كانت أبواباً رئيسية في منتصف هذه الاضلاع الثلاثة ويتضح من ذلك ان السور يقع في ثلاث اضلاع فاما الضلع الرابعة فهي ضفة القاطول الكسروى المرتفعة وهي الضفة التي يقع عليها القصر .

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٣

وقد ذكر الطبري موقع الدكة فيما رواه عن حادثة مقتل صالح بن وصيف سنة ٢٥٦ هـ قال وتحلب الناس وتهايجوا من دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح وأخذوا في الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد (جامع الملوية) وهذه ساحة الحير التي تقدم وصفها والتي تقع بين القاطول الكسروى الذي عليه الدكة وبين جامع الملوية وجاء ذكر موقع الدكة أيضاً بمناسبة اخرى في نفس المصدر .

ويرجح ان يكون قصر الدكة المذكور القصر الذى كان يعرف باسم (قصر الساج) بدليل ان البحترى لما وصف هذا القصر أشار الى نهر كان يبدأ من قرب قصر الجعفرى وينتهي عنده فيوصل بينه وبين قصر الجعفرى ، ولاشك ان النهر المذكور هو النهر الذى كان يتفرع من قناة سامراء . وقد ذكر البحترى ايضاً ان هذا القصر يقع خارج سامرا فى ساحة خضراء مليئة بالاشجار المورقة والمزهرة والمثمرة ولكنه غير بعيد عنها . ويقول الدكتور احمد سوسة واني لم (١) أجد أثراً آخر انطبق على اطلال الدكة السالفة الذكر . وفيما يلي نص الأبيات التي أنشدها البحترى في وصف القصر والنهر كما وردت في قصيدة قافية يمدح بها المعتز قال :

شجر على خضر ترف غصونه	من مزهر أو مثمر أو مورق
وكأن قصر الساج خلة عاشق	برزت لوامقها بوجه مونق
قصر تكامل حسنه في قاعة	بيضاء واسطة لبحر محدق
داني المحل فلا المزار بشاسع	عمن يزور ولا الفناء بضيق
قدرته تقدير غير مفرط	وبنيته بنيان غير مشفق

---

(١) ري سامراء جـ ١ ص ١٢٤

ووصلت بين الجعفرى وبينه	بالنهر يحمل من جنوب الخندق
نهر كأن الماء في حجراته	إفرند متن الصارم المتألق
فاذا الرياح لعبن فيه بسطن من	موج عليه مدرج مترقرق
ألحقه يا خير الورى بمسيرة	وامدد فضول عبابه المتدفق

يستدل مما تقدم ان المعتز (٢٥١ – ٢٥٥ هـ) هو الذى أنشأ هذا القصر ويقول الدكتور احمد سوسه يجوز لنا القول بان النهر الذى فتح من قناة سامراء ليفضي الى القصر كان من عمل المعتز ايضاً .

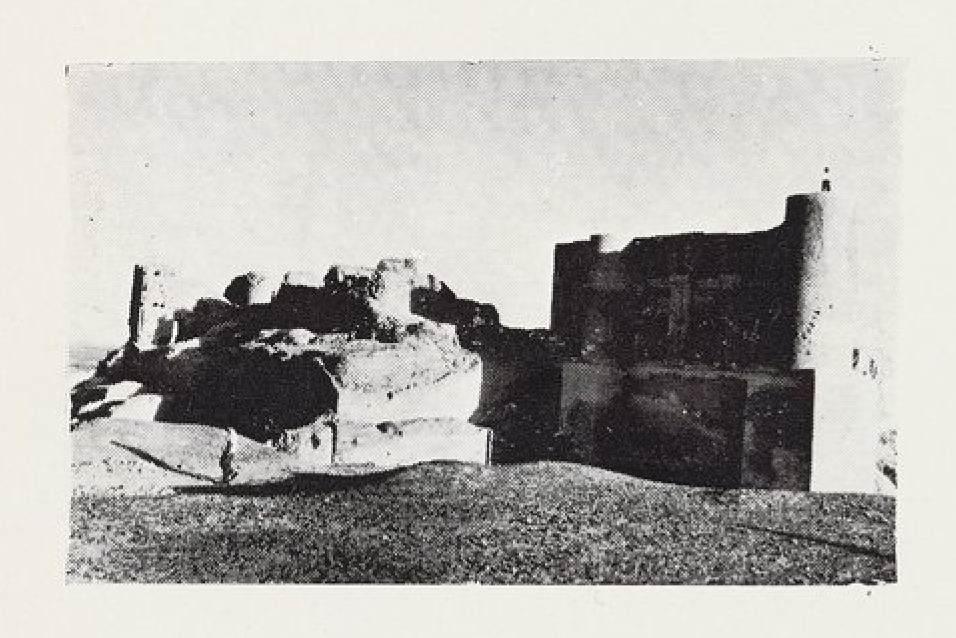
قصر الشاه

ذكر اليعقوبي في تاريخه هذا القصر فقال ﴿ وبنى المتوكل قصوراً أنفق عليها أموالا عظاماً منها الشاه والعروس والشبداز والبديع والغريب والبرج وأنفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار .

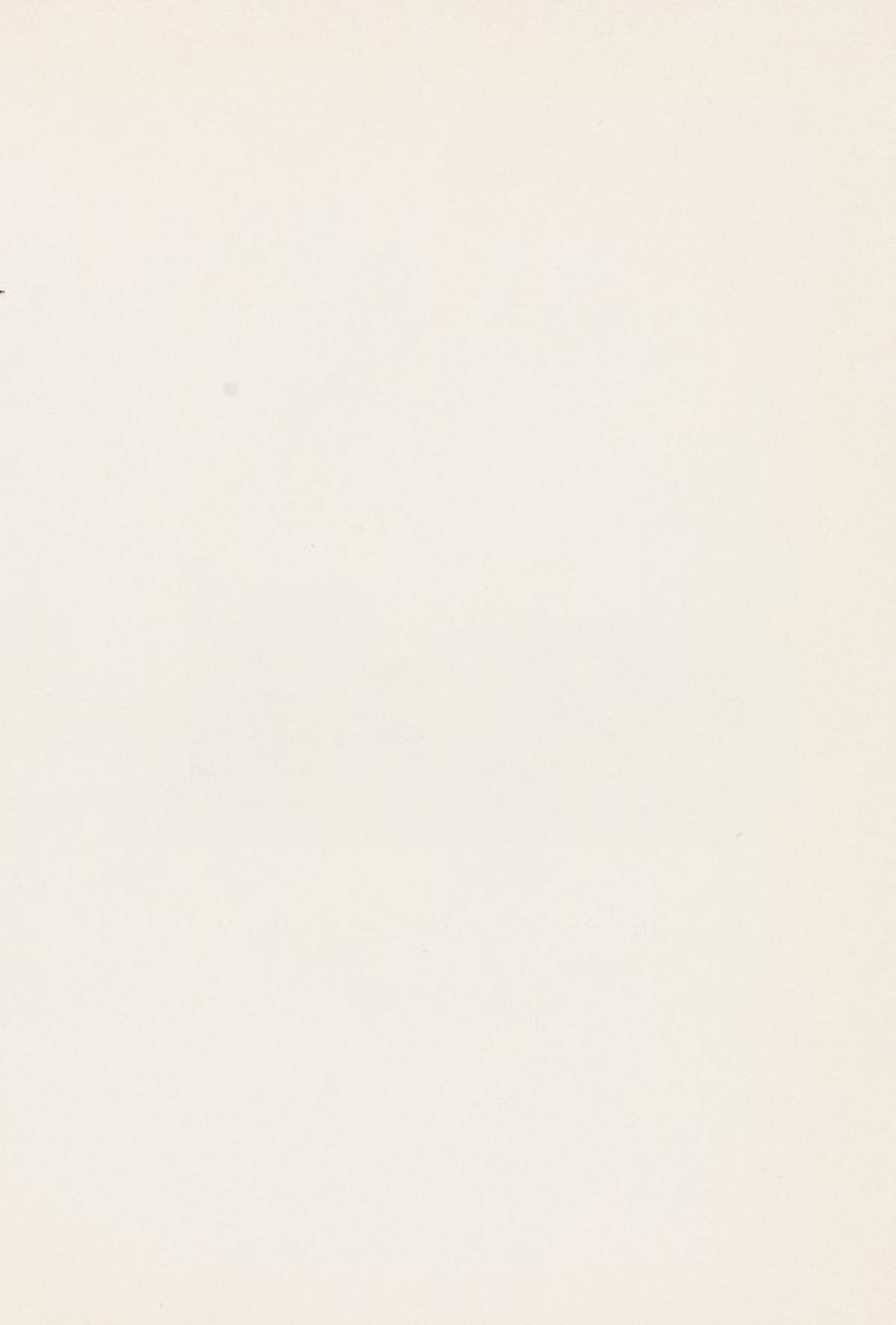
قصر شبداز

قال الحموى في معجمه . شبداز بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة مفتوحة وآخره زاء معجمه ، ويقال شبديز بالياء المثناة من تحت ، موضعان احدهما قصر عظيم من ابنيـة المتوكل بسر من رأى . وقد ذكر البحترى في أحد قصائده هذا القصر حيث قال :

ان خير القصور أصبح مزهوراً	بكره العدى لخير الأنام
حاور الجعفرى وانحاز شبداز	اليه كالراغب المعتام



١٣ ـ جانب من قصر العاشق في سامراء بعد الصيانة



حلل من منازل الملك كالانجم	يلمعن في سواد الظلام
غرف من بناء دين ودنيا	يوجب الله فيه أجر الامام
شوقتنا الى الجنان فزدنا	في اجتناب الذنوب والآثام
وبها تشرب الأوائل ملكا	وتباهى مكاثري الاسلام

قصر الشبدان

ذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا القصر وبين أن تكاليف بنائه بلغت عشرة آلاف الف درهم حيث قال (ولم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل فمن ذلك القصر) وعدد عدة قصور وتكاليف بنائها ومنها قوله (والشيدان عشرة آلاف الف درهم) وورد اسم هذا القصر باسم الشبدان اي بشين مثلثة بعدها باء موحدة تحتية او السيدان بسين مهملة يليها ياء مثناة تحتية يليها دال مهملة بعدها الف ونون (١)

قصر الصبيح والمليح

ذكر الحموي فى المعجم هذا القصر وأوضح ان تكاليف بنائه بلغت خمسة آلاف الف درهم . وقال المسعودي في تاريخه (مروج الذهب) قصر الصبيح أنفق علية المتوكل خمسة آلاف الف درهم .

أما موقع هذا القصر فتشير الدلائل على انه كان بالقرب من حير المتوكل اوفيه لأن البحتري لما وصف قصرى الصبيح والمليح فى اشعاره اعتبر موقعها في نفس الموضع الذى تقع فيه البركة الجعفرية وجدولها، كما انه ذكر ان قصر الصبيح تم انشاؤه في

---

(١) مجلة لغة العرب مجلد ١ ص ٣٤١ عدد ٨ شباط ١٩١٢ مط الشابندر - بغداد

وقت متأخر حتى صارت هناك دار للسكنى فضلاعن دار اللهو والانس التى كانت موجودة قبل ذلك ممـــا يدل على ان المليح كان يقتصر على بناء معد للانس واللهو فقط وقد كان موجوداً قبل الصبيح ، واليك ماأنشده البحتري في قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف بها الصبيح والمليح حيث قال :

واستتم الصبيح في خير وقت	فهو مغنى انس ودار مقام
ناظر وجه المليح فلو يستطيع	حيــاه معلنــاً بالسلام
البسا بهجة وقابل ذا ذاك	فمن ضاحك ومن بسام
كالمحبين لو أطاقا التقاء	أفرطا فى العناق والالتزام
مستمد بجدول من عباب الماء	كالابيض الصقيل الحسام
واذا ما توسط البركة الحسناء	ألقت عليه صبغ الرخام
فتراه كأنه ماء بحر	يخدع العين وهو ماء غمام

قصر الصوامع

ذكر الطبرى في تاريخه هذا القصر حيث قال لما مات المعتز سنة ٢٥٥ ﻫ (اشهد على موته بنوهاشم والقواد فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع) ويعتقد البعض ان هذا القصر هو الصليبية .

قصر العاشق

اطلال قصر العاشق تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً في شمال مدينة سامراء بالجانب الغربي منها كما يقع على بعد حوالي تسعة كيلو مترات من جنوبي الحويصلات وهو بقايا قصر ضخم على الضفة اليمنى من نهر الاسحاقي القديم كان

قد سماه المؤرخون باسم المعشوق الا ان اسمه هذا تحول بين الناس الى العاشق .
وقد بني هذا القصر في أواخر أيام حكم المعتمد في سامراء قبل ان يتركها نهائياً
ويعيد مقر الخلافه الى بغداد . ويتكون القصر من طابقين الطابق الاول قد تحول الآن
الى سراديب اما شكل القصر فهو مستطيل يبلغ طوله ١٣١ متراً وعرضه ٩٦ متراً وقد
حوط بساحة مسورة ، ويشاهد في هذه الساحة بين القصر وبين السور الخارجي عدة مبان
فرعية . ويدور حول القصر خندق واسع كان يستمد مياهه من قناة جوفيـــة
(كهريز) كانت تنحدر من العيون التي في أراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفضي
الى خندق القصر الذي كان مرتفعاً بالنسبة الى منسوب مياه نهر الاسحاق وقد
اشار اليعقوبي في وصفه لمدينة سر من رأى الى هذا القصر فقال ان المعتمـد لما
ارتقى عرش الخلافة (أقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقـل
الى الجانب الشرقي (يقصد الغربي) بسر من رأى فبنى قصراً موصوفاً بالحسن
سماه المعشوق فنزله فاقام به حتى اضطربت الامور فانتقـــل الى بغـــداد ثم الى
المدائن) (١) وقال الحموي في المعجم في حرف الميم المعشوق المفعـول من العشق
وهو اسم لقصر عظيم بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء في وسط البرية باق
الى الان ليس حوله شيء من العمران يسكنه قوم من الفلاحين الا انه عظيـــم
مكين محكم لم يبن في تلك البقاع على كثرة ما كان من القصور غيره وبينـه وبين
تكريت مرحلة ، عمره المعتمد على الله أحمد بن المتوكل وعمر قصراً آخر يقال له
الاحمدي وقد خرب . قال عبد الله بن المعتز :

بدر تنقل في منازله   سعد يصبحه ويطرقه

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٦٥٠ .

فرحت به دار الملوك فقد كادت الى لقياه تسبقه

والاحمدي اليه منتسب من قبل والمعشوق يعشقه

وقد أشاد البحتري بقصر العاشق هذا فأنشد في قصيدة يمدح بها المعتمد على الله قائلا :

لا زال معشوقك يسقى الحيا من كل داني المزن واهي الخروق

لم أر كالمعشوق قصراً بدا لاعين الرائين غير المشوق

هذاك قد برز في حسنه سبقا وهذا مسرع فى اللحوق

وذكر ابن جبير المعشوق في رحلته كما ذكره ابن بطوطه ايضاً فى وصف رحلته بين بغداد والموصل وسمى كلاهما القصر باسم (المعشوق) ويلاحظ أنهما اعتبرا البناية حصناً لوجود ابراج ضخمة في جدار القصر اما ابن بطوطة فقد وصف البناء بقوله انه يقع على نهر دجلة وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال « فنزلنا موضعاً على شط دجلة بالقرب من قصر يسمى المعشوق وهو مبني على الدجلة » كل ذلك يدل على ان نهر الاسحاقي الذي يقع قصر المعشوق على ضفته كان مندرساً في ذاك الوقت و نظراً لقرب البناء من ضفة نهر دجلة اعتبره مبنياً على ضفة نهر دجلة .

وذكر الدكتور مصطفى جواد في احد تحقيقاته عن قصر العاشق فقال : « ومما أعلمه من أخباره ان أبا الحسن علي بن يحيي المنجم المتوفى سنة ٢٧٥ بنى للمعتمد على الله اكثر هذا القصر لان الخليفة كان قد قلده بناءه (١) وان معز الدولة نقض اكثر هذا القصر فى سنة (٣٥٠) وحمل آجره الى بغداد ليبني به داره

(١) معجم الادباء ج ٥ ص ٤٧٦

ومرافقهـــا بالشماسية (١) وان الامير عماد الدولة أبا العلاء رافـــع بن يمين الدولة مقبل بن بدران العقيلي أمير العرب عبر على هذا القصر فكتب عليه من نظمه :

مررت على المعشوق والدمع سائح — على صحن خدي ما أطيق له ردا

فقلت له أين الذين عهدتهـم — يقضون عيشاً في زمانهم رغدا ؟

فقال مضوا واستخلفوني كما ترى — وبادوا فما يخشون حراً ولاعبدا (٢)

وعند هذا القصر كانت الواقعة بين عسكر المسترشد بالله العباسي وعماد الدين زنكي جد ملوك الاتابكية في سنة ٥٢٦ (٣) وكان مأوى لامراء عبادة في القرن السادس والسابع (٤) وفى سنة ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة بترميم وصيانة هذا القصر الذي لا تزال آثاره ماثلة للعيان ولا زالت الصيانـة مستمرة حتى سنة ١٩٦٨ .

قصر العمري

ذكر الطبري فى تاريخ هذا القصر في حوادث سنة ٢٢٤ هـ فقال « العمري قصر للمعتصم في سامراء وفي السنة المذكورة تزوج الحسن بن افشين اترنجة بنت اشناس ودخل بهـا فى العمري قصر المعتصم في جمادي الآخرة واحضر عرسها عامة أهل سامراء فحدث أنهم كانوا يغلفون العامـة فيها بالغالية في

(١) المنتظم جـ ٧ ص ٢

(٢) اصول التاريخ والادب جـ ٧ ص ١٠١

(٣ الكامل جـ ١ ص ٢٤١

(٤) الجامع المختصر ص ١٧٦ والكامل جـ ١٢ ص ٩٤

تغار من فضة وان المعتصم كان يباشر بنفسه وتفقد من حضرها (ووجه التسمية ان عمر بن فرج بناه بامر المعتصم وكان والياً من قبل في المدينة وكذا في أيام المتوكل .

قصر العروس

قال المسعودي في (مروج الذهب) قصر العروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم ، وذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا القصر كما ذكر الحركة العمرانية في عهد المتوكل قال « ولم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم . كما أشار اليه النويري(١) وقال أبو فرج الاصفهاني ، ان المتوكل لما عقد لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا اليه (٢)

قصر الغريب

قال الحموى في المعجم في حرف السين عند ذكره سامراء (الغريب قصر المتوكل في سامراء انفق عليه عشرة آلاف درهم وقال المسعودي قصر الغريب انفق عليه المتوكل عشرة آلاف الف درهم ، وكان من طريف ابنيته وغرابة مقصوراته يسمونه غريباً .

---

(١) نهاية الارب (١ : ٣٩١)

(٢) الاغاني (٩ ـ ٣٠ ـ ٣١)

قصر الفرد

قال صاحب مراصد الاطلاع قصر الفردقيل بسكون الراء بناء للمتوكل في سامراء قال وكانـه الفرد، والفرد بفتح أوله وكسر ثانيه وهو كل ذي صوت طيب واسم جبل وقال المسعودي قصر الفرد انفق عليـه المتوكل الف الف درهم وهو كان على دجلة .

قصر القلائد

ذكر ياقوت الحموي فى معجمه هذا القصر وبين ان تكاليف بنائـه بلغت خمسين الف دينار حيث قال ﴿ والقلائد خمسين الف دينار وجعل فيها أبنية بمائة الف دينار .

قصر اللؤلؤة

قال ابن الأثير في الكامل عن هذا القصر (وبنى المتوكل في المتوكلية قصراً سماه لؤلؤة ولم ير مثله في علوه) . وقال الحموي في المعجم عند ذكره سامراء قوله اللؤلؤة اسم قصر للمتوكل في سامراء انفق له خمسة آلاف الف درهم .

قصر المختار

قال الحموي في حرف الميم المختار قصر كان بسامراء من ابنية المتوكل ذكر ابو الحسن علي بن يحيي المنجم عن أبيه قال اخذ الواثق بيدي يوماً وجعل يطوف الابنية بسامراء ليختار بها بيتاً يشرب فيه فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه وجعل يتأمله وقال لي هل رأيت أحسن من هذا البنـاء فقلت يمتع الله

أمير المؤمنين وتكلمت بما حضرني ، وكانت فيها صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان واحسنها صورة شهار البيعة فامر بفرش الموضع واصلاح المجلس وحضر الندماء والمغنون واخذنا في الشراب فلما انتشى في الشرب اخذ سكيناً لطيفاً وكتب على حائط البيت هذه الابيات :

ما رأينا كبهجة المختار لا ولا مثل صورة الشهار
مجلس حف بالسرور وبالنر جس والأنس والغناو المزمار
ليس فيه عيب سوى ان ما فيه سيفنى بنازل الاقدار

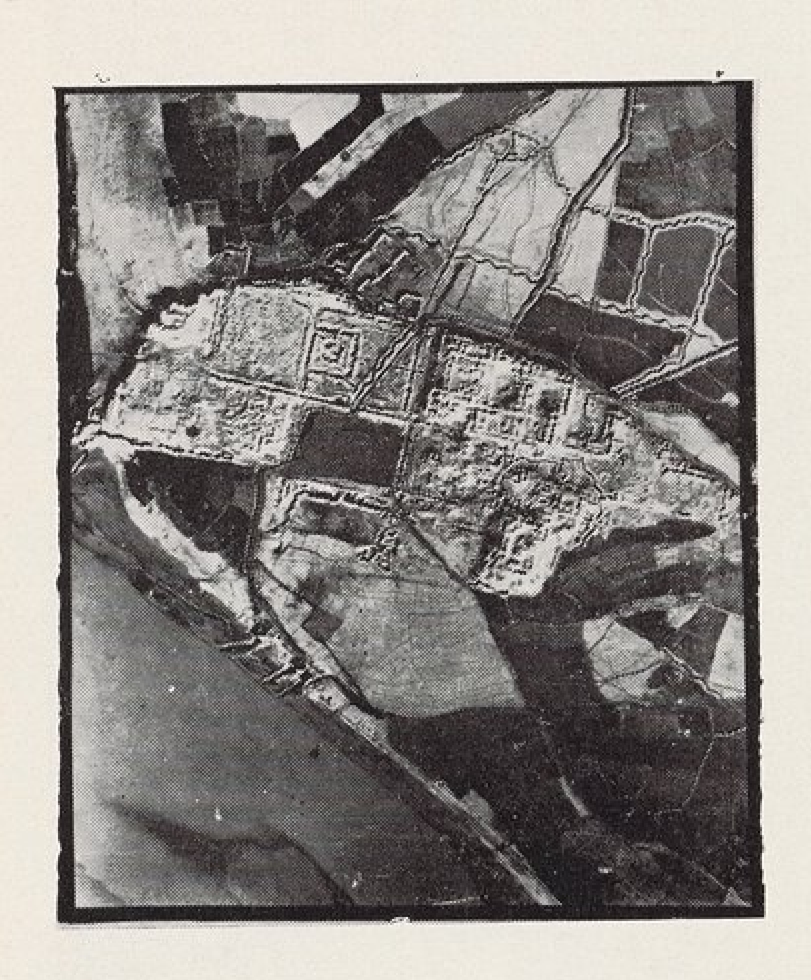
فقلت يعيذ الله أمير المؤمنين ودولته من هذا ووجمنا فقال شأنكم ومافاتكم من وقتكم ومايقدم قولي شراً ولا يؤخر خيراً (قال) أبو علي فاجتزت بعد سنيات بسر من رأى فرأيت بقايا هذا البيت وعلى حائط من حيطانه مكتوب هذه الابيات :

هذي ديار ملوك دبروا زمنا امر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الخرب

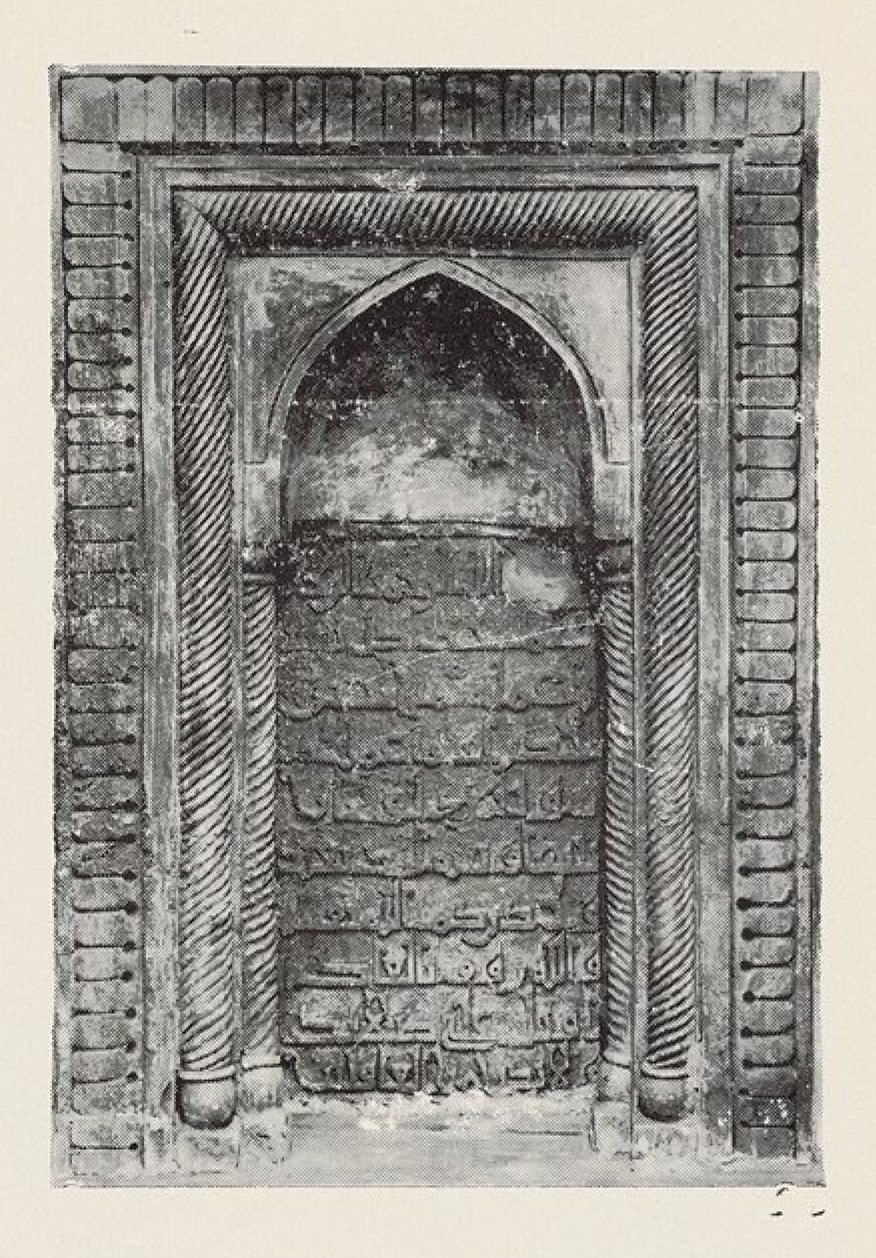
قال المسعودي والمختار قصر كان بسامراء من أبنية المتوكل انفق عليه خمسة الآف الف درهم وذكره في مراصد الاطلاع ايضاً وقال (المختار قصر كان بسامراء من ابنية المتوكل انفق عليه خمسة الآف الف) ولم يذكر درهم او دينار .

قصر المحمدية

هذا القصر من أبنية المتوكل قال الطبري بناه المتوكل في سامراء وكأنه سماه باسم ولده محمد المنتصر .



١٤ ـ منظر جوي لقصر الكوير



١٥ ـ محراب من سامراء

قصر المتوكل

ذكر الشاعر جحظة البرمكي في احد قصائده القاطول والقادسية وقصر المتوكل فقال في احد أبياته :

الى شاطيء القاطول بالجانب الذى
به القصر بين القادسية والنخل

فبين في هذا البيت ان هذا القصر يقع بين القادسية والنخل وهو الذى كان فيه قصر الرشيد ثم صار فيه قصر المتوكل .

قصر المحدث

ذكر هذا القصر الطبري عندما ذكر سيرة المنتصر فقال ان محمد المنتصر توفي في قصر المحدث بسامراء مما يدل على ان القصر المذكور يقع في سامراء وانه غير القصر الجعفرى الذى بالمتوكلية .

قصر الهاروني

ويقع غربي دار الخليفة الى الجنوب قليلا آثار قصر ضخم آخر على شاطيء دجلة في الموقع (١) المعروف بالكوير يظن انها أطلال القصر الذي كان يعرف بـ (الهاروني) وهو القصر الذي (٢) قيل ان هارون الواثق بن المعتصم بناه في

(١) سامراء مديرية الاثار العامة سنة ١٩٤٠ ص ٦٩ ـ ٧٠

(٢) الرأى للدكتور سوسة

زمن خلافته « فجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية » وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هاتين الدكتين الضخمتين ظاهرة يمكن مشاهدتها على شاطيء دجلة الشرقي الحالي في مكان الكوير المذكور ، وقد اشتهر آجر هذا القصر في الكبر والضخامة حتى صار يضرب به المثل في سامراء فيقال آجر الكوير (١)

وقد أشار ياقوت الى قصر الهاروني هذا في معجمه قال : « ان قصر الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وبازائه بالجانب الغربي المعشوق » وقريب من هذا ما ذكره ابن عبد الحق في المراصد قال (الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله على شاطيء دجلة في شرقيها وبازائه فى الجانب الغربي المعشوق .

وبمناسبة ذكر حوادث سنة ٢٢٩ هـ كتب الطبري في صفة الهاروني ما نصه (ذكر عن ابن عبد العزيز الانصاري انه قال كنا ليلة في هذه السنة عند الواثق فقال لست اشتهي الليلة النبيذ ولكن هلموا نتحدث الليلة فجلس فى رواقه الاوسط فى الهاروني في البناء الاول الذي كان ابراهيم بن رياح بناه وقد كان في أحدشقي ذاك الرواق قبة مرتفعة فى السماء بيضاء كأنها بيضة الا قدر ذراع فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشى بالازورد والذهب وكانت تسمى قبة المنطقة وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة) وأضاف الطبري قوله بان الواثق لما توفي سنة ٢٣٢ هـ دفن في قصر الهاروني هذا .

وقد ذكر اليعقوبي ان هارون الواثق بنى هذا القصر على شط دجلة فسماه باسمه اي الهاروني ، وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية وانتقل

(١) ري سامراء جـ ١ ص ٧١

اليـه ، ثم لما ارتقى المتوكل عرش الخلافـة نزله وآثره على جميـع قصور المعتصم) ا . هـ

قصر الوحيد

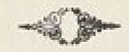
قال المسعودي في مروج الذهب (قصر الوحيد اسم قصر بسامراء بناه المتوكل وانفق عليه الفي الف درهم . وقال ياقوت والوحيد الفي الف درهم . وذكر انه من بناء المتوكل على الله .

قصر الوزيري

هذا القصر واقع على الشارع الاعظم وقد ذكـر اليعقوبي في تاريخه بان المعتصم اجاز الى ابي الوزير بناءه كان يقع فى قطيعة ابي الوزير .

ذكرنا عدة قصور عباسية فى سامراء مما وصلت اليه يد التتبع وظفرنا بها وحسب ما ذكرها المؤرخون فى كتبهم وهناك قصور أخرى منها قصر وصيف ، وقصر سيما الدمشقي وقصر الفضل بن مروان ، وقصر محمد بن عبـد الملك الزيات المعروف ، وقصر ابن أبي دؤاد القاضي وقصـر ابن ابى الوزير احمد بن خالد ، وقصر الحسن بن سهل ، وقصر اسحق بن ابراهيم ، وقصر اسحق بن يحيي بن معاذ ، وقصر ابى احمد بن رشيد ، وقصر هاشم بن بانيجور ، وقصر عجيف بن عنبسة ، وقصر الحسن بن علي المأموني ، وقصر هارون بن نعيم ، وقصر حزام بن غالب ويعقوب أخيه ، وقصر دليل بن يعقوب النصراني ، وقصر جعفر الخيـاط

وقصر العباس بن علي المهدي ، وقصر عبد الوهاب بن علي المهدي ، وقصر المبارك المغربى وقصر يحيي بن أكثم القاضي وقصر بختيشوع النصرانى ، وقصر ابراهيم بن رباح وقصر موسى بغا الكبير وقصر مسرور الخادم ، وقصر موسى بغا الصغير وقصر قرقاس الخادم ، وقصر ثابت الخادم وقصر سمانة الخادم وقصر برمش الخادم ، وقصر احمد بن الخصيب ، وقصر الفتح بن خاقان الوزير وقصر محمد بن موسى المنجم وغير ذلك من قصور القواد والكتاب والخزرية والهاشمية الزيدية والأتراك واخلاط الناس كل هذه كانت من الابنية الجليلة في سر من رأى .



الديارات في سامراء

أورد المؤرخون كثيراً من الديارات في كتبهم وخاصة ما كان عامراً منها في مدينة سامراء قبل الاسلام وبعده في العصر العباسي . وقبل البدء في سرد هذه الديارات وبيان اسمائها ومواقعها وما قاله الشعراء فيها . نود أولا تعريف معنى كلمة (دير) قاله الحموي في معجمه « الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انما يكون في الصحارى ورؤس الجبال فان كان في المصر كان كنيسة أو بيعة » .

وقال الزبيدي في كتابة التاج في تعريف الاديار فقال « والأديار اكثر ما كانت تكون في ضواحي المدن بين الرياض والحدائق وفي قمم الجبال والروابي المطلة على الاودية والسهول الفسيحة وفي الموضع المنقطعة عن الناس »

١ ــ دير باشهرا

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان هذا الدير فقال « دير باشهرا كان على شاطيء دجلة بين سامراء وبغداد . وهو دير حسن ، عامر ، نزه كثير البساتين والكروم وهو أحد المواضع المقصودة والديارات المشهورة والمنحدرون من سر من رأى والمصعدون اليها ينزلونه ، فمن جعله طريقاً ، بات فيه وأقام به ان طاب له ومن قصده أقام الأيام في ألذ عيش وأطيبه ، وأحسن مكان وأنزهه (١) ولابي

(١) الديارات للشابشتي الطبعة الثانية ١٩٦٦ ص ٧٩ تحقيق كوركيس عواد

العيناه (١) فيه (٢) وكان نزله وأقام به أياماً واستطابه وقال فيه

نزلنا دير باشهرا	على قسيسه ظهرا
على دين أيسوع (٣)	فما أفتى وما أسرا
فأولى من جميل الفع	ل ما يستبعد الحرا
وسقانا وروانا	من الصافية العذرا
وطاب الوقت في الدير	فرابطنا به عشرا
وسقينا به الشمس (٤)	وأخدمنا به البدرا
وأحييت لذة الكأس	ولكن قتلت سكرا
ونلنا كل ما نهوا	ه من لذاتنا ، جهرا
تصابينا وغنينا	وأرغمنا به الدهرا
فنكنا وتهتكنا	ومثلي هتك السترا
وقد ساعدنا ربّن (٥)	طوعاً منه لا جبرا
جزاه الله عن خير	به قابلنا خيرا
فقد أوسعته شكرا	كما أوسعنا برا

---

(١) هو محمد بن أبي القاسم البهامي اشتهر بكنيته مات سنة (٢٨٢ هـ - ٨٩٥م)

(٢) قال ياقوت بصدد هذا الشعر (معجم البلدان ٢ : ٦٤٥)

(٣) لا يستقم الشطر الا بقوله (أيا سوع) او (يسوعى) كاظم الدجيلي . وفي معجم البلدان (يشوعى) كوركيس عواد

(٤) الشمس يقصد بها هنا الخمرة : كوركيس عواد . ويقول الدكتور مصطفى جواد كناية عن جمال الخادم

(٥) ربن : وتكتب ربان لفظة سريانية معناها الراهب (كوركيس عواد)

٢ ـ دير السوسي

ذكر ابو الحسن علي بن محمد الشهير بـ (الشابشتي) في كتابه الديارات هذا الدير فقال « انه لطيف على شاطيء دجلة بقادسية سر من رأى . وبين القادسية وسر من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة بينهما وهذه النواحي كلها متنزهات و كروم و بساتين والناس يقصدون هذا الدير و يشربون في بساتينه وهو من مواطن السرور ومواضع القصف واللعب »

ولقد ذكر ابن المعتز في بعض اشعاره هذا الدير فقال :

ياليالي بالمطيرة والكرخ	ودير السوسي بالله عودي
كنت عندي انموذجات من	الجنة ولكنها بغير خلود

وذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) موقع هذا الدير فقال (اما موضع هذا الدير فاننا نميل الى الاعتقاد بأنه يقع في التل المعروف باسم (تل الصوان) وهو التل الواقع على شاطيء دجلة جنوبي (قصر بركوارا) بينه وبين (منارة القائم) الا أن التنقيب الاخير كشف عن امور بعيدة كل البعد عن رأى الدكتور سوسة حول هذا الدير)

٣ ـ دير الطواويس

ذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا الدير فقال (دير الطواويس بسامراء متصل بكرخ جدان يشرف عند حدود آخر الكرخ على بطن يعرف بالبني فيه مزدرع يتصل بالدور وبنيانها وهي الدور المعروفة بدور عربايا وهو قديم كان منظره لذي القرنين ويقال لبعض الاكاسرة فاتخذه النصارى ديراً في أيام الفرس) .

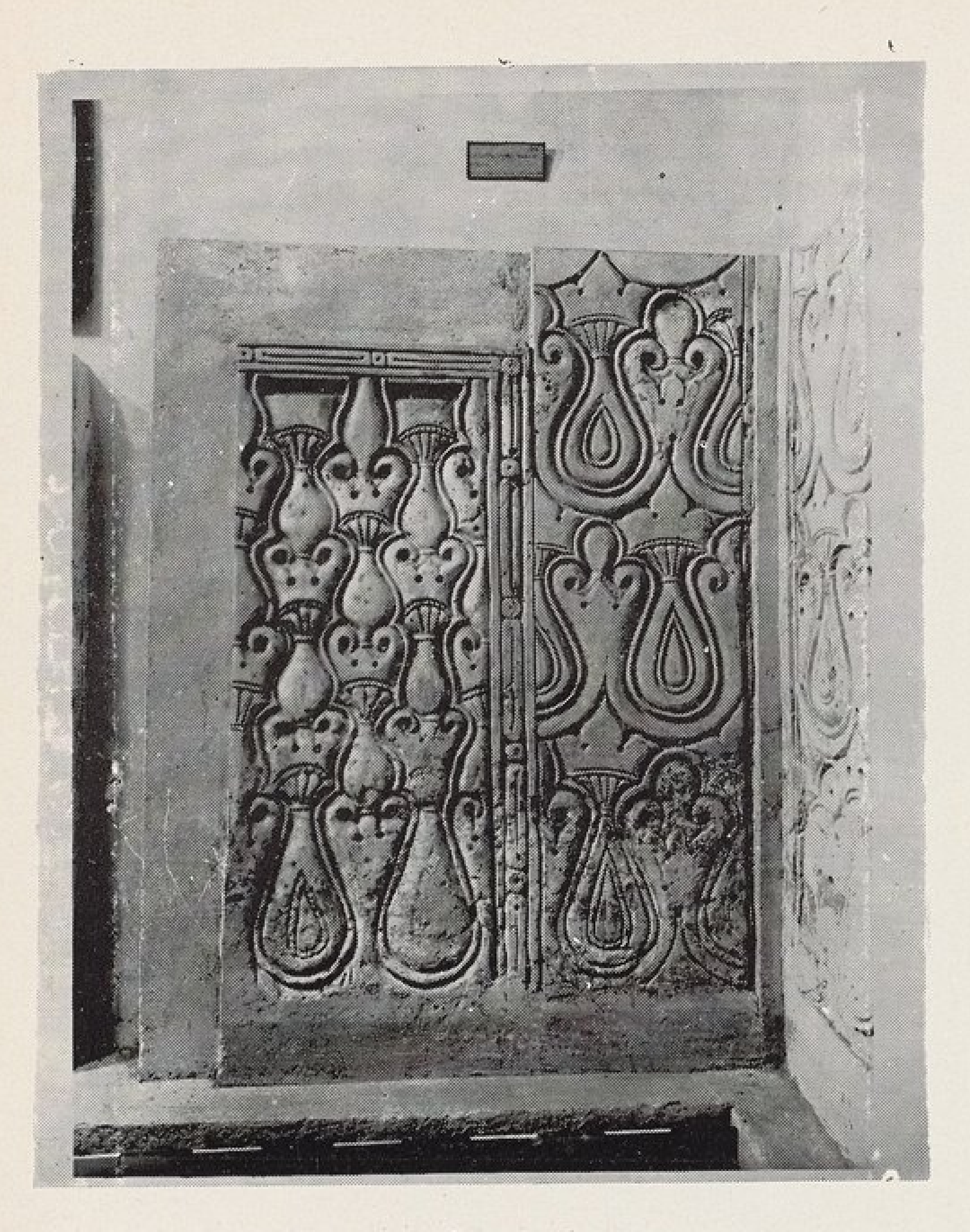
٤ - دير عبدون

ذكر الحموي في المعجم هذا الدير وبين أنه يقع جنوب المطيرة فقال (بسر من رأى الى جنب المطيرة وسمي بدير عبدون لأن عبدون أخا صاعد بن مخلد كان كثير الالمام به والمقام فيه فتنسب اليه وكان عبدون نصرانياً وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق واستوزره وفي هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر :

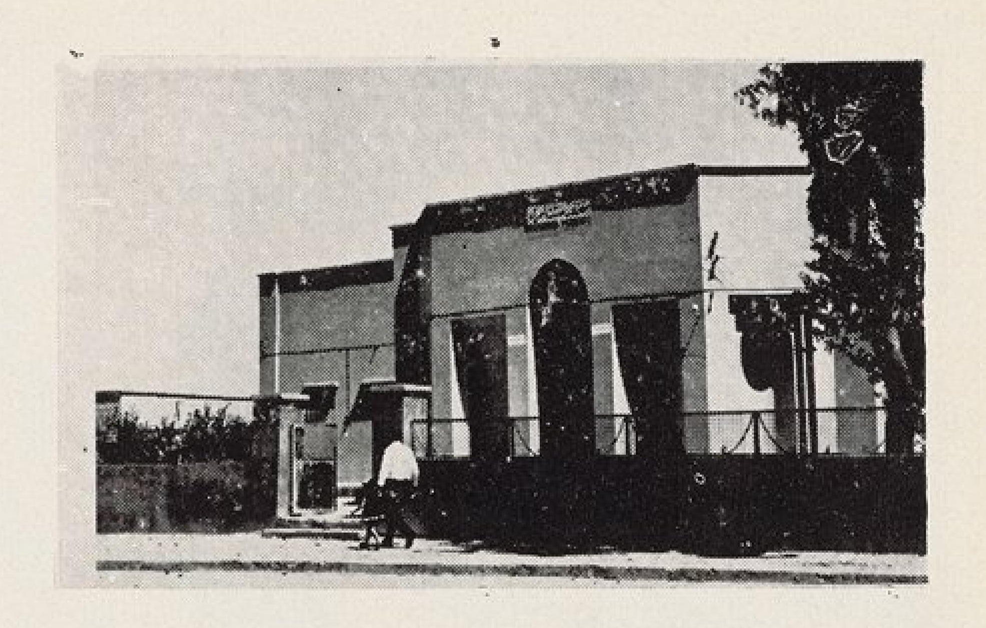
سقى المطيرة ذات الظل والشجر	ودير عبدون هطال من المطر
ياطالما نبهتني للصبوح بـــه	في ظلمة الليل والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم	سود المدارع نعارين في السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا	على الرؤس اكليلا من الشعر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل	بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استقاد له	طوعاً واسلفني الميعـــاد بالنظر
وجاءني في ظلام الليل مستتراً	يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خدي بالتراب له	ذلا واسحب اذيالي على الاثر
فكان ما كان مما لست اذكره	فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

٥ - دير العذارى

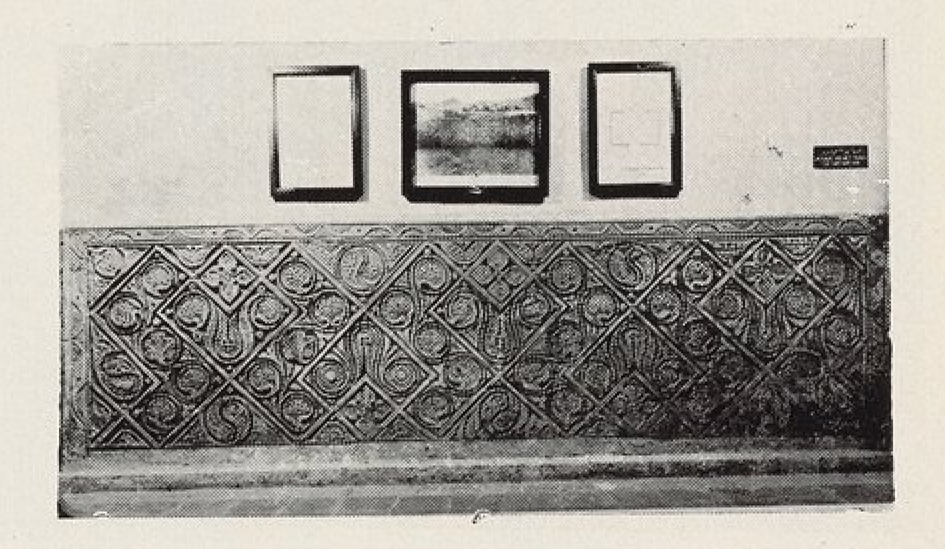
ذكر الحموي في المعجم نقلا من أبي الفرج الاصفهاني هذا الدير فقال :
(دير العذارى هو دير عظيم قديم وبه نساء عذارى قد ترهبن واقمن به للعبادة فسمي بذلك وكان قد بلغ بعض الملوك انه فيه نساء ذات جمال فامر بحملهن اليه ليختار منهن على عينه من يريد وبلغن ذلك فقمن ليلتهن يصلين ويستكفين شره



١٦ ـ زخارف جصية من سامراء



١٧ ـ متحف سامراء



١٨ ـ من الزخارف فى متحف سامراء

فطرق ذلك الملك طارق فاتلفه من ليلته فاصبحن صياماً فلذلك يصوم النصارى الصوم المعروف بصوم العذارى الى الان قال هكذا ذكره ، وقال الشابشتي (دير العذارى بين سر من رأى والحظيرة) وجاء في (مسالك الابصار للعمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ان دير العذارى (بين سر من رأى وبغداد بجانب العلث على دجلة في موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومتنزهات لايعدم من دخله أن يرى من رواهبه جواري حسان الوجوه والقدود والالحاظ والالفاظ .

قال الخالدي (١) ولقد اجتزت به فرأيته حسناً ورأيت فى الحانات التي حوله خلقاً يشربون على الملاهي . وكان ذاك اليوم عيداً له . ورأيت في جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفر ، ولا يماثل حمرة خدودهن . ثم ان دجلة أهلكته بمدودها حتى لم يبق منه أثر .

وللجحظة فيه أخبار وأشعار لأنه كان معاده ومأواه واليه ينجذب به هواه ومن شعره قوله :

الاهل الى دير العذارى ونظرة	الى الخير من قبل المماة سبيل
وهل لي بسوق القادسية سكرة	تعلل نفسي والنسيم عليـــل
وهل لي بحانات المطيرة وقفـة	اريي خروج الزق وهو جميل
الى فتية ما شتت العزل شملهم	شعارهم عند الصباح شمول
وقد نطق الناقوس بعد سكونه	وشمعل قسيس ولاح فتيـــل

---

(١) هو أحد الخالديين الشاعرين المشهورين (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ينتسبان الى الخالدية قرية قرب الموصل : كانا خازنين لكتب سيف الدولة

يريد انتصاباً لمقام بزعمه ... ويرعشه الادمان فهو يميل

يغني واسباب الصواب تمده ... وليس له فيما يقول عديل

الأهل الى شم الخزامى ونظرة ... الى قرقري قبل الماة سبيل

سيعرض من ذكري وتنسي مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

سقى الله عيشاً لم يكن فيه علقة ... لهم ولم ينكر عليه عزول

لعمرك ما استعملت صبراً لفقده ... وكل اصطبار عن سواه جميل

وفيه يقول ابن المعتز:

أيا جيرة الوادي على المشرع العذب

سقاك حياً حي الثرى ميت الجدب

وحسبك يا دير العذارى قليل ما

يحن بما تحويه طيبة قلبي

وكذبت الهوى ان لم أقف أشتكي الهوى

اليك وان طال الوقوف على صحي (١)

وعجب به والصبح ينتهب الدجى

بأضوائه والنجم يركض في الغرب

أصانع أطراف الدموع بمقلة

موفرة بالدمع غرباً على غرب

وهل لي الا حاجة قضيت لنا

ولوم تحملناه في طاعة الحب ؟

---

(١) راجع كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) لابن فضل الله العمري ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٦١ . طبع دار الكتب المصرية .

وقال الصنوبري فيه (١)

أقول لمشبه العـذراء حسناً ... علام رعيت في دير العذارى ؟
وما وحدى أغار عليه ، لكن ... جميع العالمـين معي غيـارى

ولابن فيروز البصير فيه (٢)

وروضة لهو قد جنيت ثمارها ... بدير العذارى بين روض وأنهار
تخال به وجه المدير وكأسه ... هلالا وشمساً بين أنجم نـــوار
يطوف بابريق مفدى كرامـة ... علينـا باشماع كرام وابصـار
كـأنها له زغب الفراخ يقوتها ... بمثل مذاب التبر من شطر منقار

دير العلث

ذكر الحموي في معجمه العلث قرية على شاطيء دجلة من الجانب الغربي قرب الحظيرة دون سامراء وهذا الدير راكب على دجلة وهو من أحسن الديارات وأحسنها ، وكان لا يخلو من الصقف ، وهذا الدير هو الذي امتدحه الشابشتي في كتابه (الديارات) فقال « وهذا الدير راكب على دجلة وهو من أحسن الديارات موقعاً وأنزهها موضعاً يقصد من كل بلد ، ويطوفه كل أحد ولا يكاد يخلو من منحدر ومتعمد ومن دخله لم يتجاوزه الى غيره لطيبه ونزهته ووجود جميع ما يحتاج اليـه بالعلث وبه » وفيه يقول جحظة :

يا طول شوقي الى دير ومشتاح ... والسكر ما بين خمار وملاح

---

(١) مسالك الابصار

(٢) نفس المصدر

والريح طيبة الانفاس ناعمة | مخلوطة بنسيم الورد والراح
سقياً ورعياً لدير العلث من وطن | لادير حنة من ذات الاكيراح

دير عمر نصر

جاء في معجم البلدان ذكر هذا الدير وقال كان في سامراء وفيه يقول الحسين بن الضحاك الخليع :

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة | هاجت بلابل صب بعد اقصار
لله هاتفة هبت مرجعة | زبور داود طوراً بعد أطوار
يخشها دالق بالقدس محتنك | من الاساقف مزمور بمزمار

دير فثيون

دير فثيون أوله فاء ثم ثاء مثلثة وياء مثناة من تحت وآخره نون ، وهو دير بسر من رأى حسن نزه مقصور لطيبه وحسن موقعه يقول فيه الكتاب :

يارب دير عمرته زمناً | ثالث قسيسه وشماسه
لاأعدم الكأس من يدي رشأ | يزري على المسك طيب انفاسه
كانه البدر لاح فى ظلم الليل | اذا حل بين جلاسه
كأن طيب الحياة واللهو و | اللذات طراً جمعن في كأسه
في دير فثيون فى ليلة الفسح | والليل مدلهم ناه بحراسه

دير القادسية

ذكر ابو الحسن الشابشتي في كتاب الديارات (ان دير القادسية على شاطيء دجلة بينه وبين سر من رأى أربعة فراسخ والمطيرة بينهما) .

دير ماسرج بيس

قال ياقوت الحموي ماسرج بيس بفتح الميم وكسر السين وسكون المعجمة وكسر الياء قال أبو الفرج والخالدي هو بالمطيرة قرب سامراء وفيه يقول عبدالله بن العباس بن الفضل :

رب صهباء من شراب المجوسي قهوة بابلية خندريس
وغزال مكحل ذي دلال ساحر الطرف بابلي عروس
قد خلونا بظبية تجلية يوم سبت الى صباح الخميس
بين آس وبين ورد جني وسط دير القس ماسرجبيس
يتثنى بحسن جيد غزال ذي دلال مفوض آب نوس
كما لثمت الصليب في الجيد منه كهلال مكلل ـ بشموس

دير ماجرجيس

قال الحموي فى معجمه ، دير بنواحي المطيرة قرب سامراء قال فيه أبوالطيب محمد بن القاسم النميري (١)

نزلت بماجرجيس خير منزل ذكرت به أيام لهو مضين لي

---

(١) النميري من شعراء المائة الثالثة للهجرة وأخباره في الاغاني (٩ : ١٣٧)

تكنفنا فيه السرور وحفنا فمن اسفل يأتي السرور ومن عل

وسالمت الايام وفيه ساعفت وصارت صروف الحادثات بمعزل

يدير علينا الكأس فيه مقرطق (١)

يحث بـــه كاساتهـــا لبس يأتلي

فيا عيش ما أصفى ويا لهودم لنا

ويا وافـــد اللذات حيث فانزل

وفيه يقول ابو جفنة القرشي :

ترنم الطير بعد عجمتـه وانحسر البرد في أزمتـه

وأقبل الورد والبهار الى زمان قصف يمشي برمتـه

ماالطيب الوصل ان نجوت ولم يلسعني هجرته بحمته

ومثل لون النجم صافية تذهب بالمرء فوق همته

نازعته من سداه لي ابداً فى العشق والعشق مثل لحمته

في دير ماجرجس وقد نفح الـ فجر علينا أرواح زهرتـه

وفيّ بميعـاده وزورته وكـنت أوفى له بذمتـه

دير مرمارى

قال الحموى في المعجم عند ذكر هذا الدير بأنه فى نواحي سامراء عنـد قنطرة وصيف وهو موضع في سامراء كان الناس يستقبلون عنده من يقدم من طرف الحجاز ، وكان الدير عامراً كثيراً الرهبان ولاهل اللهو به المام وفيه يقول

(١) مقرطق : لابس القرطق والقرطق قباء له طاق واحد .

الفضل بن العباس بن المأمون :

أنضيت في سر من رى خيل لذاتي

ونلت منا هوى نفسي وحاجاتي

عمرت فيها بقاع اللهو منغمساً

في القصف ما بين أنهار وجنات

بدير مرمار اذ نحيي الصبوح به

ونعمل الكأس فيه بالعشيات

بين النواقيس والتقديس آونة

وتارة بين عيدان ونايات

وكم به من غزال أغيد غزل

يصيدنا باللحاظ البابليات (١)

(١) معجم البلدان (: ٧٠٠) والمسالك (ص ٢٨٣) مطبعة السعادة ١٩٠٦

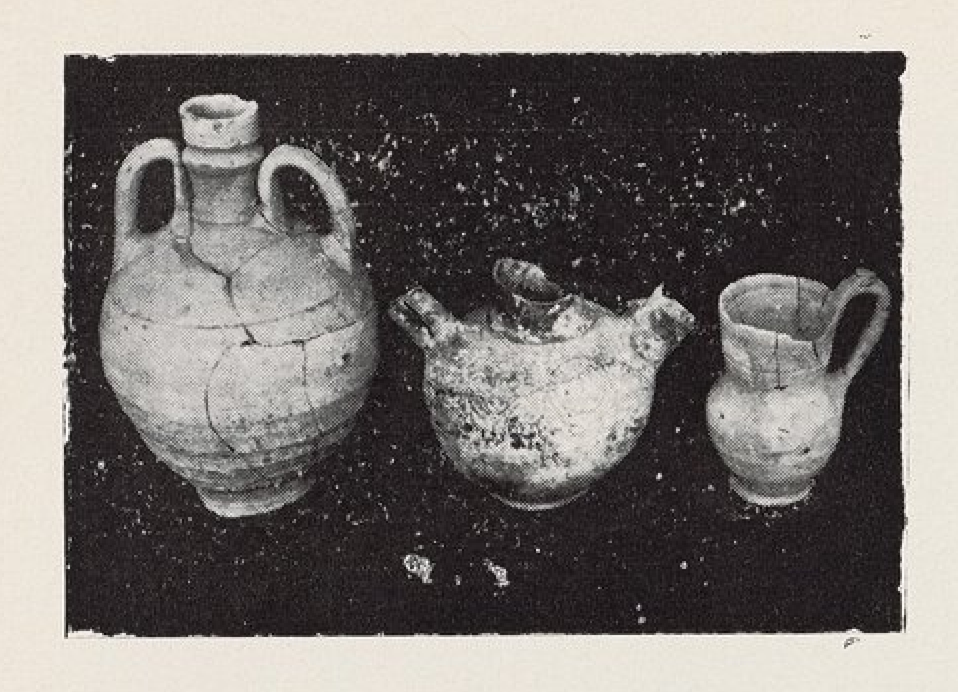
تل العليق

تل العليق تل اصطناعي يقع في شمال مدينة سامراء . ويرتفع هذا التل بحيث يشرف على جميع منطقة سامراء ، والتل المذكور مخروطي الشكل ويسمى ايضاً (تل العليج) وكان فوق قمته بناء يحتمل انه (قصر التل) الذي ورد ذكره في معجم ياقوت الحموي والمصادر العربية الاخرى . (١)

ويعد تل العليق من أهم المواقع الأثرية في سامراء التي تسترعي التفات الزائر فاننا اذا ألقينا نظرة على تصويره المأخوذ من الجو نجد انه محاط بخندق واسع كما شاهد حوله معالم سور مستدير والى شماله طريقاً منحدراً من قمته يعبر الخندق ، وربما كانت عليه قنطرة ، ثم يستمر في اتجاهه ما بين الخندق والسور ومنه الى مسافة نصف كيلو متر تقريباً ، ويبلغ عمق الخندق نحو ثلاثة امتار وقطر التل مائتي متر ، واما قطر السور المحيط به وبالخندق فنحو اربعمائه وخمسين متراً .

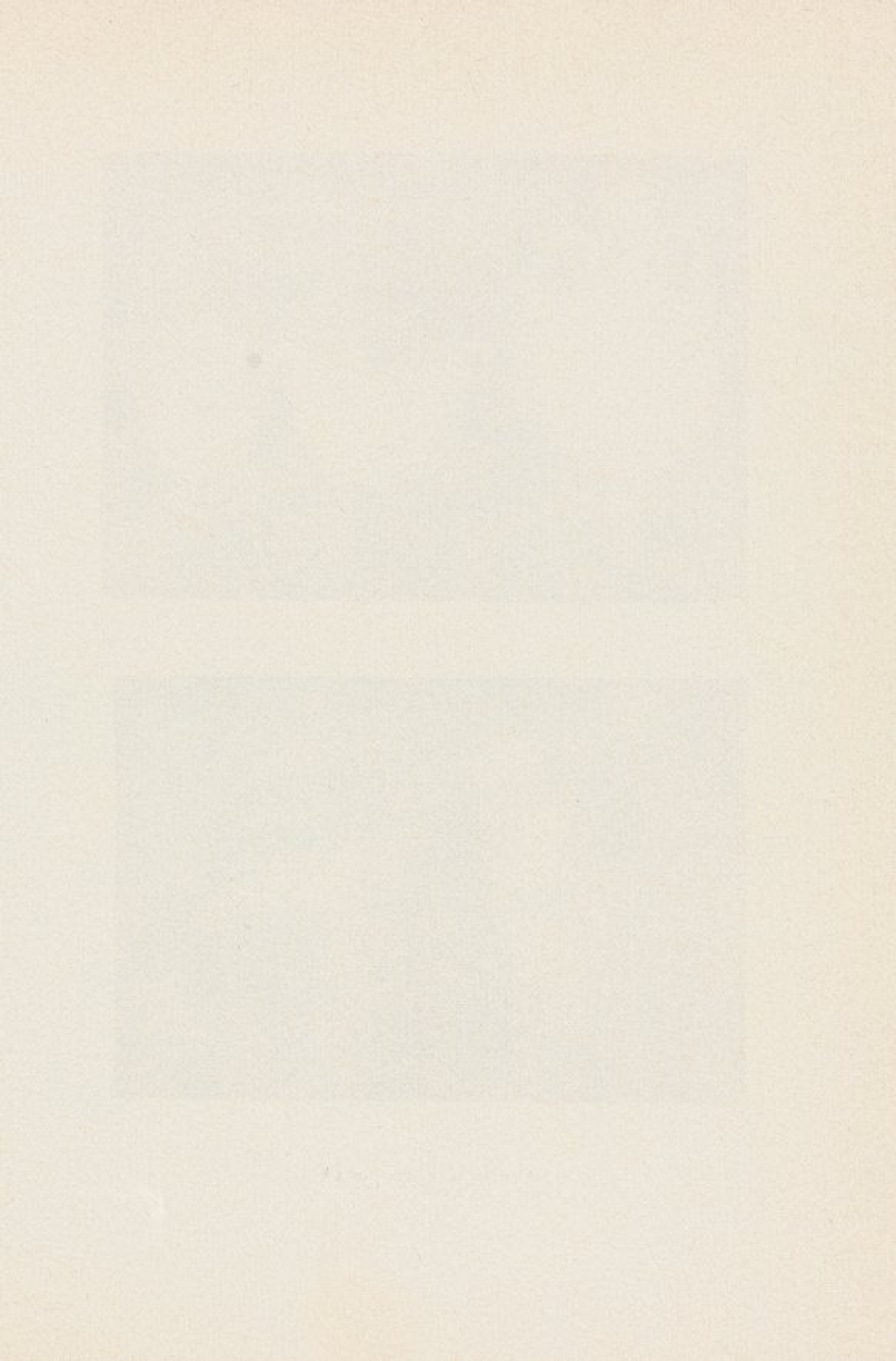
وتوجد في شمال التل مباشرة اطلال تسمى « تلول المدرسة » ومن المرجح ان تكون هذه الاطلال من بقايا مقصورة كانت معدة لراحة الخليفة وحاشيته ولتناول الطعام فيها أثناء حفلات السباق ودليلنا على ان لهذه الاطلال صله مباشرة بالتل وجود آثار سور يمتد بين التل نفسه والاطلال وكانت المياه تصل الى الخندق الذي يحيط بتل العليق من القناة التي حفرها المتوكل لايصال

(١) ري سامراء ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١





١٩ من حفريات سامراء



المياه الى سامراء ، وهي القناة التي تبدأ من حافة دجلة الشرقية في نقطة تقع شمالي ناحية الدور الحالية بقليل ، فتسير بموزاة دجلة تاركة تل العليق الى يسارها حتى تنتهي الى سامراء .

وكان هناك فرع خاص يتشعب من القناة من أمام التل فيفضي الى الخندق الذي يحيط بالتل ، كما كان كهريز خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فيتجه نحو القناة بعد امتلاء الخندق . وبذلك كانت المياه دائمة الجري فتدخل الى الخندق من الجهة الشمالية وبعد امتلاء الخندق تعود الى القناة من الجهة الجنوبية ولا تزال آثار هذين الكهريزين (المدخل والمخرج) واضحة المعالم يمكن تتبعها في جوار التل بسهولة ويعلل الناس تسمية (تل العليق) برواية يتناقلوها أبا عن جد ، وهي أن التل تكون من التراب الذي نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم ، ويرون ان الخليفة المتوكل أراد أن يظهر كثرة جنوده بدليل عياني محسوس فامر بان كل واحد من جنوده الخيالة عليقة بالتراب ثم يرميه هناك ، وتكون التل من التراب الذي تجمع على هذا الوجه وقد اطلق المؤرخون على هذا التل اسم (تل المخالي) ولعله سمي كذلك للسبب الذي ذكر اعلاه وهو ان التل انشيء بالاتربة التي حملها العساكر بمخالي خيلهم .

قال الراوندي في كتاب الخرايج ص ٢١٢ من طبع ايران ما نصه « ومنها حديث تل المخالي وذلك ان المتوكل أمر العسكر وهم تسعون الف فارس من الاتراك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الاحمر ويجعلوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك فلما فعلوا ذلك صار

مثل جبل عظيم . . . الخ ﴾

وقد جاء في خاتمة روضة الصفا لمحمد خداوندشاه ذكر انشاء هذا التل بالطريقة المذكورة نفسها ثم انشاء قصر عال فوقه الا انه نسب انشاء التل والقصر الى المعتصم ، والظاهر أن اسم المعتصم جاء هنا سهواً . واليك ما كتبه صاحب هذه الخاتمة قال :

﴿ ان المعتصم أمر عساكره ان يملئوا مخاليهم من التراب الاحمر ونبذوه في فضاء واسع حتى صار جبلا عظيما ثم بنى عليه قصراً عالياً واعظم النفقة عليه ﴾ .

هذا وقد جاء ذكر تل المخالي أيضاً في كتاب (خلاصة الذهب المسبوك) لعبد الرحمن الاربلي طبع ببيروت سنة ١٨٨٥ ص ١٦٢ .

ولقد درس هرتسفلد هذا التل خلال تنقيباته في سامراء قبل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احداهن في الوسط كانت فوق قمته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم (قصر التل)(١) الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل ، وذكر ياقوت ان المتوكل انفق على هذا القصر خمسة آلاف الف درهم علوه وسفله .

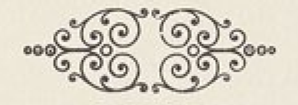
وقد اختلفت الآراء في تاريخ انشاء (تل العليق) كما اختلفت في معرفة الغاية التي أنشيء من أجلها فبعض المؤرخين من الافرنج يرى انه يرجع الى عهد الرومان والبعض الآخر يرى انه يرجع الى قبل ذلك العهد . الا اننا نرى بان

---

(١) راجع القصور العباسية في هذا الكتاب

اتصال التل بقناة المتوكل هو أقوى دليل على انه من عمل المتوكل .

أما القصـد من انشائه فتكاد الآراء تجمع على انه أنشيء لتأمين تمتع الخليفة ورجال حاشيته بمناظر حلبة السباق من محل مرتفع يمتد فيه البصر الى أقصى حـد الحلبة مما يساعد على تتبـع حركات الخيول فى هذه المسافة الطويلة .



الزيارات والتنقيبات في سامراء

مدينة سامراء من أهم المناطق الاثرية في العراق ولذلك فقد كان علماء أوربا يتجشمون عناء السفر من بلاد بعيدة اما للاطلاع عليها او للكتابة عنها مما دفع جامعات اوربا الى ارسال اكبر علمائها المختصين بالاثار للتنقيب في آثارها ووضع دراسات عن هذه المدينة وهنا أذكر بعض أسماء العلماء الاوربيين الذين زاروا آثار سامراء او الذين نقبوا فيها : (١)

١ ـ ١٥٨١ م	جون نيوبري
٢ ـ ١٥٨٣ م	جون الدريد
٣ ـ ١٦٢٣ م	جان بابتيست تافرنييه
٤ ـ ١٦٨٠ م	أولفرت دابر
٥ ـ ١٧٦٦ م	كارستين نيبور
٦ ـ ١٧٩٩ م	سموئيل ابفرز
٧ ـ ١٨٠٢ م	ماكس فراي هيرفون أين هايم
٨ ـ ١٨٢٠ الى ١٨٢١ م	اكلوديوس جمس ريج
٩ ـ ١٨٣٤ الى ١٨٣٦ م	الدكتور روس
١٠ ـ ١٨٤٦ م	فلكس جونس

(١) تفضل علي بهذه المعلومات الاستاذ البير رشيد الحائك

١١ ـ ١٨٧٧ م	كي لسترنج
١٢ ـ ١٨٨٣ م	كيبرت
١٣ ـ ١٨٩٩ م	ولسن بوج
١٤ ـ ١٩٠٠ م	الكبتن كرزول
١٥ ـ ١٩٠١ م	مكس ملن سترك
١٦ ـ ١٩٠٢ م	لستراج
١٧ ـ ١٩٠٣ م الى ١٩٠٥ م	ارنست أي هرتسفلد
١٨ ـ ١٩٠٧ م	الجنرال بيلي
١٩ ـ ١٩٠٨ م	سارو هرتسفلد
٢٠ ـ ١٩٠٨ م الى ١٩١٠	فيوليه
٢١ ـ ١٩٠٩ م	المس غرت رودبيل
٢٢ ـ ١٩١٠ م	هرتسفلد
٢٣ ـ ١٩٢٣ م	ليدي دراور
٢٤ ـ ١٩٣٩ م	سيتون لويد .

وهناك رحلات باللغات الاجنبية كتب مؤلفوها عن آثار سامراء لم يصل الى علمنا الا الشيء القليل منها .

الحفريات الأثرية في سامراء

لقد بدأ اهتمام العلماء الاوربيين باطلال مدينة سامراء منذ اواسط القرن التاسع عشر ، غير ان أقدامهم على التنقيب فيها لم يبدأ الا بانتهاء العقد الاول من القرن العشرين فقد قام المهندس الفرنسي هنري فيوله لاول مرة ببعض التنقيبات الاستكشافية فى دار الخليفة خلال سنة ١٩١٠ ثم اعقبه في السنة التاليـــة العالم الالماني هرتسفلد على رأس بعثة علمية . وقام بتنقيباب واسعة النطاق دامت عدة سنوات حتى نشوب الحرب العالمية . ان هذه التنقيبات شملت دار الخليفة وقصر بلكوار والمسجدالجامع وتل العليق مع نحو خمس عشرة دار آمن دور السكنى الخصوصية بالقرب من المدينة الحالية .

والآثار التى عثر عليها هرتسفلد خلال هذه التنقيبات كانت فى صناديق بقيت في سامراء (١) خلال الحرب العالمية غير انها نقلت معظمها الى انكلترة بعد احتلال الانكليز وبقى الجزء الآخرفي مركز شرطة سامراء حتى عام ١٩٢٤ حيث

---

(١) ذكر لي المهندس المختص الاستاذ محمود العينه جي ان هذه المكتشفات أودعت في مركز شرطة سامراء قبل احتلال الانكليز لسامراء وسافر هرتسفلد مع الجيش العثماني بصفة ضابط

عاد هرتسفلد الى العراق واقتسم الآثار مع مديرية الآثار أذاك (١) أما النتائج العلمية التي حصلت من هذه التنقيبات فقد نشر قسم منها في مقالين مختصرين وفي خمسة مجلدات ضخام ، اما المجلدات هذه فتبحث في الزخارف والنقوش الملونـه والمواد الزجاجية والآثار الخزفية والفخارية وطبعه باللغة الالمانية .

وفي عام ١٩٣٦ بدأت مديرية الآثار القديمة التنقيب في ربيـع تلك السنة ثم استمرت كل سنة خلال مدة تتراوح بين الشهرين والثلاثـة حتى سنة ١٩٣٩

لقد جرى التنقيب خلال هذه المواسم الاربعة التالية في المواضع التاليـة اربعة مواضع قرب مدق الطبل ، وأربعة مواضع على طرفي الشارع الاعظم وخمسة مواضع قرب سور المدينة الحالية ، وثلاثة مواضع في القرينة وثلاثة مواضع في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة الحالية وفي ثلاثة مواضع في الجهة الغربية من نهر دجلة ان هذه التنقيبـات اوصلت الى معرفة مخططات قصر كامل وثلاث دور كاملة ومخططات القسم الأعظم من غرف ثماني دور ، كما اظهرت غرفة أو غرفتين من عشر دور (٢) .

كما قامت مديرية الآثار القديمة والعامة حالياً ببعض التنقيبات الاستكشافية خلال سنة ١٩٣٩ على طرفي الشارع الذي يوصل الجسر بالمدينة الحاليـة وذلك

---

(١) تنص المادة التاسعة الاربعون من قانون الاثار القديمة رقم (٥٩) لسنة ١٩٣٦ ما يلي : « ان جميع الاثار التي يعثر عليها المنقبون تكون ملكا للحكومة ومع هذا يعطى المنقب مكافأة على اتعابه اولا حق اخذ قوالب الاثار المذكورة . ثانياً نصف الاثار المكررة وثالثاً بعض الاثار التي يمكن للحكومة العراقية ان تستغني عنها لوجود ما يماثلها في المتحف العراقي من وجهة النوع والطراز والمادة والصنعة والدلالة التاريخية والقيمة الفنية

(٢) حفريات سامراء : نشرة دائرة الآثار القديمة ج ٢ ص ٢ ـ ٣ ـ ٤ سنة ١٩٤٠

بقصد تعيين الاراضي والعرصات التي يجوز تخصيصها لتوسيع المدينة دون الحاق ضرر بالآثار المهمة .

لقد جرت هذه التنقيبات الاستكشافية بواسطة ستة مقاطع في شمال الشارع ومد ستة مقاطع في جنوبه ، كما جرى التنقيب بالموقع المعروف باسم (الحويصلات) الذي يقع في الجهة الغربية من نهر دجلة وقد بدأت التنقيبات في هذا الموقع في اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٩٣٦ واستمرت نحو شهرين فكشف خلال هذه المدة القسم الوسطي والجنوبي من قصر فسيح ومسور بسور مدعماً بمائة برج اربعة منها كبيرة ومستديرة والبقية صغيرة مستطيلة وان اقسام القصر منها البهو الكبير والقاعات والاواوين المحيطة به - مبنية بالجص والآجر اما ارض القاعات والصحون مبلطة بمربعات من الآجر واما ابعاد هذه البلاطات الآجرية فهي ٣٦ × ٣٦ سم في معظم القاعات . اما الحالة التي ظهرت بها ارضية القاعات من تحت الانقاض تدل على اتقان كبير في صناعة الآجر من جهة واعمال التبليط من جهة أخرى .

اما طلاء الجدران فهو بالجبس بوجه عام غير ان الاقسام السفلى منها مزخرفة في القاعات الاساسية .

وخلال تنقيب دائرة الآثار في سامراء بالقرب من باب الملطوش تم الكشف على دار للسكنى كما تم الكشف على دور أخرى تبين من خلال ذلك ان هذه الدور ذات طابق واحد عام ، اما ترتيب الغرف فتجتمع الغرف عادة حول صحن مكشوف ويوجد في كل دار أكثر من صحن عام . اما المدخل فله دهليزاً مستطيلا يمتد في طرفيه دكتان معدتان للجلوس كما اظهرت التنقيبات في الدور المكتشفة

عدة حمامات ومراحيض ، وقد لوحظ بجانبها بالوعات منتظمة ، عمق البعض منها يزيد على ثلاثة امتار ، وقد شوهد في بعض الدور (مجاري مياه) متقنة الصنع كما شوهد في معظم الدور محلات خاصة لتربية الحمام .

وكشفت التنقيبات عدة سراديب فى دور السكنى على اختلاف مواقعها ، وتم العثور على كتابات متنوعة تنقسم الى قسمين :

(أ) الكتابات على الجدران فقد وجد في احدى غرف بيت الخليفة ، قطع زجاجية على شكل حروف . ولا مجال للشك فى انها كانت قد استعملت لتأليف جدارية على طريقة (التنزيل) فى الجص . وعلاوة على هذا النوع من الكتابات الريازية ـ التي تكون جزءاً من الريازة والزخرفة الجدارية ـ فقد شوهد على بعض الجدران كتابات عرضية كتبت بالحبر بقلم رفيع .

(ب) الكتابات على الأشياء فهي متنوعة جداً : بينها ما هو مكتوب بالحبر على الورق او الفخار او الرخام وهومدموغ على المعدن او على الفخار ، وما هو منقوش على الخزف المزجج وماهو محفور في الفخار .

١ ـ الكتابة على الورق : : عثر على ورق بال يظهر عليها بقايا كتابة مكونة من أربعة اسطر .

٢ ـ الكتابة على الفخار عثر على قطعة من أناء فخاري سميك كتب عليها بالحبر الاسود (الامام المعتمد ـ امير المؤمنين) وعثر على اناء فخاري مستطيل الشكل كتب عليها بالحبر الاسود سطر طويل تعقبة كلمة مفردة الكلمة الاولى لا تظهر بوضوح غير ان الكلمات التي تقرأ بوضوح تام (٠٠ البساط وكم المرأة ـ سعدان وعثر على ثلاث كسرات من الفخار عليها بعض الكتابات على احداها

(ابو اسحق) ويلاحظ بين كتابات الثانية كلمات : (نصف) و (٠٠ لابي العباس)
وعثر على كسرة فخارية عليها ثلاثة اسطر كلمة السطر الاول ناقصة : اما كلمات
السطرين الاخيرين فهي : (حسبنا الله ونعم الوكيل) كما عثر على دن مستطيل
كامل ، كتب عليه بالحبر الاحمر كلمة (بدر)

٣ ـ الكتابة بالحبر على الرخام : عثر منها على قطعة رخام كتب على وجهتها
بالحبر الاسود كلمات كثيرة مشوهة ومتداخلة .

٤ ـ الدمغ على المعدن : عثر على قطعتين معدنيتين يلاحظ على كل واحدة منهما
دفعة تبين اسم الصانع : (عمل عمران) (وعمل عبد الله) .

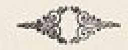
٥ ـ الختم على الفخار : عثر على ثلاث كسرات من الفخار : عليها طبعات
ختوم تبين اسماء صانعيها : (عمل عبد الله) و (عمل عمر) ٠٠

٦ ـ الكتابات المزججة : عثر منها على عدة قطع من اوان خزفية كتب
عليها ـ بين زخارف التزجيج ـ بعض الكلمات والعبارات ، بالالوان متنوعة يقرأ
من بينها بوضوح كلمات (عمل عمد ٠٠) و (ما عمل برسم ٠٠)

٧ ـ الكتابات الناتئة على الخزف عثر على قطعة خزف عليها كتابة ناتئة بين
خطوط وزخارف ملونة .

٨ ـ الكتابة بالحفر على الفخار عثر على (رمانة) فخارية في احدى الكور
القديمة وعليها كتابة محفورة داخل اطار مستطيل تقرأ بكل وضوح (سريع)
وعثر ايضاً على رمانة مصنوعة من فخار كثيف متصلب اسمر اللون قد حفر حول
عنقها كتابة كوفية على شكل نطاق تام يمكن ان تقرأ كما يلي (ويمزونا بمزوز تركة)
او (يعدونا بمزوز تركة)

ان هذه العبارة تلقي ضوءاً خاصاً على مسألة استعمال الرمانات الفخاريـة : لان كيفية استعمال مثـــل هذه الرمانات لم تتضح تماماً ، بل صارت مداراً لبعض المناقشات بين علماء الآثار . وأما الكتابات التي على هذه الرمانة فتدل على انها كانت تملأ بالخمر وان هذا الخمر كان (يمز) من فوهتها الصغيرة مزا . ولاشك في ان شكل الفوهة ، التي تشبه (الحليمة) كان يساعد على ذلك مساعدة تامة ان هذه المعلومات الكتابية نشرت في كتاب (حفريات سامراء) مع نماذج من الصور التي توضح ذلك .



عدد حفريات سامراء

اهتم علماء اوربا بالاطلاع على حضارة العالم العربي وخاصة حضارة سامراء لذلك قامت جامعات وجمعيات اوربا بأرسال بعثاتها وعلمائها للتنقيب في أطلال سامراء العباسية كما قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيبات ايضاً وهنا نذكر مواقع وتواريخ وعدد هذه الحفريات وهي :

١ ـ في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ م قام بالتنقيبات : فيوليه

٢ ـ في سنة ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ م قام بالحفريات ساروهر تسفلد على حساب جمعية العلوم الالمانية .

٣ ـ فى سنة ١٩٣٠ م قام هرتسفلد مرة أخرى وكانت هذه آخر حفريات الاجانب في سامراء .

٤ ـ في سنة ١٩٣٦ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر تموز وتشرين الاول بالتنقيب في جامع الملوية وبيت الخليفة ومدق الطبل والحويصلات وتم الكشف على دار في شمال المدينة الحالية بالقرب من مدق الطبل على بعد نحو نصف كيلو متر من جنوب بيت الخليفة .

٥ ـ في سنة ١٩٣٧ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر نيسان وكانون الاول بالحفر بالملوية وبيت الخليفة ومدق الطبل ايضاً .

٦ ـ في سنة ١٩٣٨ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر مارت الى كانون

الاول بالحفر في منطقة جامع ابي دلف وبيت الخليفة ودور السكنى الخاصة في أماكن متفرقة منها .

(أ) بجانب سور المدينة قريباً من باب بغداد حيث كشف على غرفة كبيرة لاحد الدور .

(ب) على بعد ٢٥٠ متراً من باب بغداد في جهته الشمالية الشرقية عثر على دار للسكنى .

(ج) بالقرب من باب بغداد عثر علي زخارف جبسية .

(د) في جنوب القرينة (الكرينة) على بعد ٦٠٠ متر من باب المطوش عثر على دار .

(ه) في القرينة على بعد ٨٠٠ متر من باب المطوش عثر على دار كامل(١)

(و) في جنوب القرينة على بعد كيلومتر من باب المطوش عثر على دار للسكنى

(ز) داخل السور بباب بغداد عثر على غرفة واحدة .

(ح) داخل السور في ساحة خان الميرزا حسن عثر على غرفة واحدة .

٧ ـ في سنة ١٩٣٩ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر تشرين الثاني الى كانون الاول بالتنقيب في ابي دلف وقصر الخليفة والشارع الاعظم وقد عثر على دار واقع على جادة تتفرع من الشارع الاعظم من جهته الغربية وفي هذه الدار سرداب منقور تحت الطبقة الصخرية ذو مدخلين وعدة نوافذ وكان يعرف هذا الدار عند الفلاحين باسم (بيت الحرامية) لان الحرامية كانوا يختفون فيه على مايروون ، وعثر على ثلاث غرف في القسم الجنوبي من سامراء على بعد اربعة كيلو مترات

---

(١) راجع حفريات سامراء ج ١ مديرية الآثار العامة المطبوع سنة ١٩٤٠

من باب المطوش ، و كشف على دار على بعد ٤٨٠ متراً من المطوش .

٨ ـ في سنة ١٩٤٠ م قامت مديرية الآثار العامة في مايس الى أيلول بالتنقيب في جامع أبي دلف .

٩ ـ في سنة ١٩٤١ م قامت مديريه الآثار العامة بالتنقيب في جامع الملوية

١٠ ـ في سنة ١٩٥٨ و ١٩٥٩ م قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في أبي دلف .

١١ ـ في سنة ١٩٦٢ و ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة في الكشف في جامع الملوية والعاشق .

١٢ ـ في سنة ١٩٦٣ و ١٩٦٤ م قامت مديرية الآثار العامه في التنقيب في جامع الملوية ايضاً والدار العباسية المكتشف والعاشق .

١٣ ـ في سنة ١٩٦٥ م قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في قصر العاشق ولا تزال اعمال التنقيب قائمة على قدم وساق في قصر العاشق لرفع الاتربة عن القصر من الجهة الجنوبية .

الزخارف الجصية في سامراء

إن أهم مظهر من مظاهر الفنون الاسلامية في الاطلال التي كشفت من مدينة سامراء ، هو من غير شك الزخارف الجصية التي كانت تغطي الأجزاء السفلى من جدران البيوت والقصور وسائر العمائر فيها .

وقد عني الدكتور هرتسفلد بدراسة هذه الزخارف الجصية و شرعنها مؤلفاً ثميناً باللغة الالمانية في السلسلة التي نشرتها البعثة الالمانية عن تنقيباتها في أطلال سامراء وعنوان هذا الجزء :

E [HerZfeld]

Der wandsch der Bauten Von Samarra Undseine Ornamentik (Berlin 1923)

﴿ اي تزيين الجدران وزخارفها في سامراء ﴾ وقد قسم هرتسفلد هذه الزخارف الجصية الى ثلاثة أقسام أو ثلاثة طرز وفقاً لخصائصها والمصدر الذي يظن انها ترجع اليه ، ولكنه رتبها ترتيباً لا يوافقه عليه معظم الاختصاصيين . فاننا نرى في تقسيمه ان الطراز الثالث يتألف من الزخارف الجصية ذات العناصر القريبة من الطبيعة ، وان الطراز الثاني يضم الزخارف التي يزيد فيها البعد عن اصولها الطبيعية ، وان الطراز الثالث يشمل الزخارف التي تبتعد تماماً عن أصولها

فتسورها الخطوط المنثنية في اشكال مختلفة (١)

ويتفق علماء الآثار الاسلامية مع هرتسفلد على هذا الاساس في التقسيم ولكنهم يخالفونه في الترتيب الزمني لهذه الطرز الثلاثة ، فالواقع ان الطراز الثالث في تقسيم هرتسفلد هو اقدم هذه الطرز ولذا فانهم يعتبرونه الطراز الأول ويظل الطراز الثاني واحد في التقسيمين ، اما الطراز الاول في تقسيم هرتسفلد فانه آخر الطرز الثلاثة واحدثها ، ولذا فانهم يسمونه الطراز الثالث . والملاحظ أن هـــذا الطراز تظهر فيه انواع عديدة من ناحية الزخرفة ، ولذا فان بعض العلمـاء يقسمه الى قسمين فيكون هناك وفقاً لذلك طراز ثالث وطراز رابع وقد يمكن قسمته الى اكثر من قسمين ولـكنه المبدأ الزخرفي في كل اقسامه يضل واحداً ولذلك فالافضل اعتباره طرازاً واحداً .

ولنشرح الآن خصائص كل طراز من الطرز الثلاثة الرئيسية في الزخارف الجصية فى سامراء وفقاً للرأى الذي يقره علماء الاثار الان والذي يتفق مـع الترتيب الزمنى .

الطراز الاول (وهو الثالث في تقسيم هرتسفلد)(٢)

أهم عناصر هذا الطراز :

١ ـ ورقة العنب الخماسية الفصوص التي يميل قطاعها الى التقعر والتي تضم عيوناً او ثقوباً صغيرة بين صفوفها والتي يظهر فيها التعرق التخيلي الذي نعرفه في

---

(١) من محاضرة الدكتور زكي محمد حسن المكتوبة على الطابعة والموجودة نسخة منهافي مكتبة الآثار العامة كان قد القاها على طلاب كلية الاداب سنة ١٩٥٢

(٢) المصدر نفسه .

رسم الاوراق النباتية في الفن الهلنستي .

٢ ـ عناقيد عنب يتألف محيطها من ثلاثة فصوص .

٣ ـ ورقة العنب الثلاثية الفصوص .

٤ ـ عناصر كاسية ذات فجوات على هيئة معين .

٥ ـ كيزان الصنوبر .

٦ ـ مراوح نخيلية .

ونلاحظ في الزخارف الجصية في هذا الطراز قربها من الطبيعة وأنها منحدرة من أصول هلنستية وساسانية ويبدو ذلك ايضاً في التجسيم الذي نراه فيها والناشيء من التقعر والتحدب كما يبدو ـ فضلا عن ذلك ـ في العناصر الزخرفية تخرج من عروق طويلة تمتد في انحناءات وحلزونات على النحو الذي نعرفه في الفنون الهلنستية . وبمعنى آخر نرى أن زخارف هذا الطراز منحدرة من زخارف الطراز الاموي بوجه عام ولكنها ابتكرت أشكالا جديدة في الاداء .

الطراز الثاني (١)

لم تعد العناصر الزخرفية في هذا الدور تتصل بعضها ببعض بواسطة عروق بل تطورت الى وحدات منبسطة وقل التجسيم فيها الى حد كبير وأصبحت تتم بعضها بحيث لا تترك فراغاً أو أرضية بينها ، وهكذا تضاءلت الارضيات الى ان صارت قنوات ضيقة تفصل بين العناصر المختلفة .

ومن أهم هذه العناصر ماعرفناه في الطراز الاول ولكننا نراه هنا أكثر

---

(١) من محاضرة الدكتور زكي محمد حسن

تحويراً عن الطبيعة . ونرى فضلا عن ذلك أوراقاً مستدبرة واشكالا مختلفة من المراوح النخيلية .

والملاحظ ان زخارف الطراز الثاني تهدف الى التبسيط والاختصار النسبي والى الاقتصاد في الوقت فتنفيذها في أى مساحة من المساحات يستغرق وقتاً أقل مما يستغرقه تنفيذ زخارف الطراز الاول في المساحة نفسها . وهي فضلا عن هذا كله اقل عمقاً من زخاوف الطراز الاول ومن أمثلة التبسيط . وقلة التأنق ان المعينات الغائرة المنتظمة التي نراها في الاوراق الكاسية في زخارف الطراز الاول تصبح في الطراز الثاني حفرات صغيرة متلاصقة على السطح من دون نظام .

والراجح ان الزخارف في الطرازين الاول والثاني من الزخارف الجصية في سامراء كانت تصنع كلها بطريقة الرسم والحفر المباشر بمعنى أن الموضوعات الزخرفية كانت ترسم على الواح من الجص بواسطة قلم أو سن مدبب ثم تحفر الارضيات حول محيط العناصر الزخرفية فتظهر هذه العناصر بارزة فوق الارضية العميقة ويكون الحفر بواسطة آلات حادة كالازميل والمنقب ثم تملأ العناصر بالزخارف الداخلية الدقيقة سواء أكانت عروقاً او رسوماً هندسية او نباتية وطبيعي ان هذا كله يكون في مستويات مختلفة .

ومن الفروق الواضحة بين زخارف الطرازين الاول والثاني ان زخارف الطراز الاول تبدو وحداتها صغيرة ومتكررة وواضحة بسبب ما فيها من عمق وتجسيم بينما تبدو وحدات الزخارف في الطراز الثاني أكبر مساحة بحيث يظهر انها تغطي الارضية تماما وذلك بسبب قلة العمق فيها وقلة التجسيم وبسبب تحويرها عن الطبيعة .

الطراز الثالث (١)

يبدو ان هدف الزخارف في هذا الطراز كان زيادة الميل الى الاقتصاد في الوقت والنفقة بسبب التوسع الكبير في عمائر سامراء . والرغبــة فى الوصول الى زخارف ذات طابع آلي مبسط . وهكذا نرى الزخارف التي عرفناهـا في الطراز الثانى يزداد طابع البساطة والاختصار فيها وتتجه الى الخطوط والتخلص من الارضيات العميقة والى الحفر بطريقة النحت المائل (الشطف) لتصبح الزخرفة اكثر صلاحية للصب في قوالب واستخراج نسخ متعددة من الوجدة الزخرفية الواحدة ليتسني تغطية مساحات كثيرة فى وقت قصير ونفقة قليلة . واهم العناصر المستعملة في هذا الطراز الاوراق النباتية والمراوح النخيلية .

والوقع ان طريقة الصب في القوالب وضايقها وجود أرضيات عميقـة بين العناصر الزخرفية المختلفة المصبوبة من قوالبها من دون إتلاف جزء كبير من الزخارف الدقيقة .

وليس عجيباً ان يصل الصناع في العراق الى طريقة الصب في القوالب فقد كان الايرانيون في العصر الساسانى ذوي دراية عظيمة بالطرق المختلفة في صناعة الزخارف الجصيـــة لانهم اقبلوا على أستخدام هذه الزخارف اقبالا كبيراً والراجح ان الصنـاع في العراق ورثوا عن ايران في العصر الساساني في كثيراً من طرق الزخرفة في الجص .

والراجح ان الزخارف الجصية في الطراز الثالث من زخارف سامراء كانت تصنع بطريقة الصب في القوالب بمعني ان العناصر الزخرفية كانت تحفر في نموذج

(١) نفس المصدر

ايجابي من الخشب أو الجص ثم يستخرج من هـذا النموذج الايجابي قالب سلبي من الجص او من طين يحرق بعد ذلك ليكتسب الصلابة اللازمة لاستعماله . ثم كان القالب السلبي يطلى بمـادة دهنية لتمنع التصاق الجص اللبن الذي يصب فيـه لاستخراج العـدد المطلوب من الايجابية . وبالنظر الى ان القالب السلبي كان يتلف من تكرار الصب فيه فقد كان يصنع أحيانا عدة قوالب سلبية اذا كانت المساحة المراد زخرفتها كبيرة .

ويرى بعض علماء الآثار ولا سيما ستريجوفسكي

[Strzysowsky]

وكونل ان الزخارف الجصيـة في سامراء تطورت ووصلت الى الطراز الثالث بتأثير الفنون التي كانت سائدة بين القبائل التركية في اواسط آسيا وذلك لان الروح الزخرفيه التي تسود هذا الطراز الثالث هي تلك التي ورثتها القبائل الطورانيه عن فنون قبائل السيت واساليبها في اواسط آسيا .

وكتب الاستاذ ديماند في هذا الصدد . وشاعت طريقة النحت المشطوف هذه في عصر العباسيين بـل عرفت في عهد هارون الرشيد ويمثلهـا في متحف ﴿ المتروبوليتان ﴾ تاج عمود جميل من المرمر يوضحه شكل ٥٢ - ﴿ من كتابه الفنون الاسلامية ﴾ ومن المحتمل ان يكون هذا الاسلوب الصناعي في اواسط آسيا عند قبائـل السيت بسيبيريا حيث عثر على نماذج من اصوله الاولى في الزخارف الحيوانيه المصنوعة من الخشب والعظم والبرونز والذهب ويرجع بعضها الى عصر (هان) (من ٢٠٦ ق . م الى ٢٢٠ م)

ويقول الدكتور زكي محمد حسن في هذا المضمار اننـا نخالف هذا الرأي

ونعتقد بأن هذا التطور السريع الذي حدث في الزخارف الجصية في سامراء قام على اسس محلية في العراق فان معظم العناصر الزخرفية التي نراها في الطراز الثالث يمكن ارجاعها الى عناصر زخرفية عرفتها بلاد الرافدين من قبل الاسلام .

اما التطور الظاهر فيها فيرجع الى الرغبة في اقتصاد الوقت والنفقات والى جعل العناصر صالحة لسهولة الصب في القوالب . وفضلاعن ذلك فان لنا على العبارة التي ذكرها الاستاذ ديماند بعض التعليقات وهي :

١ ـ ان تاج العمود الذى يشير اليه لا يرجع الى عصر هارون الرشيد وانما هو من الطراز الثالث في سامراء ويرجع الى نحو سنة ٨٥٠ م .

٢ ـ ان القول بأننا نستطيع تتبع هذا الاسلوب الصناعي في اواسط آسيا عند قبائل السيت بسيبريا . وانه يحتمل ان يكون وصل الى بلاد الشرق الادنى عن طريق الفن من الايرانيين او الاتراك الذين استخدمهم الحكام فى العصر العباسي قول غير دقيق لان العباسيين لم يستخدموا فنانين من الترك قبل عصر السلاجقة ولأن اساليب الطراز الثالث غير واضحة في فنون السيت .

ونذكر في هذه المناسبة ان الطراز العباسي في الخشب والتحف المعدنية لم يعرف مناظر الصراع بين الحيوانات على النحو المشهور عن فنون السيت .

٣ ـ ان القول بأنه عثر عند قبائل السيت على نماذج من الاصول الاولى للطراز الثالث في سامراء موجودة في الزخارف الحيوانية المصنوعة من الخشب والعظم والبرونز والذهب قول غير دقيق لانه اذا كان المقصود هنا

اسلوب الحفر المائل فاننا لا نستطيع الموازنة بينه في الرسوم الحيوانيـة حيث تقتضي الطبيعـة وجوده وبينه في الرسوم النباتية المحورة عن الطبيعة في الطراز الثالث بسامراء .

والواقع ان تحليل بعض العناصر الزخرفية والخصائص في الطرازين الثاني والثالث من الزخارف الجصية في سامراء يشهد بأنها ترجع فى معظم الاحيان الى اصول قديمـة في العراق وايران والشام .

ولعـل اهم خصائص الطراز الثالث ظاهرة القطاع المشطوف او المحدب للعناصر الزخرفية . وقد بدأت هذه الظاهرة في بعض عناصر الطراز الاول كما ظهرت ايضاً في بعض الزخارف الجصية التي عثر عليها في الحيرة وترجع الى فجر الاسلام قبل انشاء سامراء . وقد ذكرنا ان السبب الرئيسي للاقبال على هذه الظاهرة في الزخرفية الجصية هو ملأ منها للصب في القوالب .

ومن خصائص الطراز الثالث ايضاً ظاهرة التجويف في قاع العنـاصر الزخرفية الكاسية والجناحية والراجح انها مشتقة من التجويف الموجود في العناصر الكاسية في الفن الساساني .

ومن العناصر الزخرفية التي نجدها في الطراز الثالث الاوراق الجناحية والراجح انها مشتقة من العناصر المجنحة في الزخارف الساسانية وصفوة القول اننا لا نرى في زخـارف سامراء تأثراً ملحوظاً باساليب الفن السيتي او الاساليب المنقولة عن فنون القبائل التركية في آسيا الوسطى . ولسنا نميل الى ان نبالغ في أهمية الجند الترك الذين أخذ الخلفاء العباسيون يستخدمونهم قبل تأسيس سامراء بنحو عشرين سنة فقد كان الدور الذي لعبوه كبيراً في السياسة والادارة ولكن

لم يكن لهم شأن كبير في التطور الفني فقد كانت بلاد الرافدين في العصر العباسي متأثرة بالاساليب الفنية الساسانية التي عرفتها في القرون الاربعة التي سبقت ظهور الاسلام .

ومما يؤيد نظريتنا هذه ما نلاحظه من عدم وجود تحف اثرية معدنية او خشبية من القرن التاسع الميلادي (٥٣) يتبين منها مثلا اسلوب الفن السيتي في تصوير الحيوانات متشابكة ومتصارعة على النحو الذي كشفت عنه آثارهم في أواسط آسيا وجنوبي الروسيا وقد أشرنا لذلك في ردنا الى ما كتبه (ديماند) في هذا الصدد . وفي اعتقادنا ان الطرز الثلاثة الجصية في سامراء لم تكن مستقلة تماماً بعضها عن بعض وغير متعاصرة في الاستعمال فان الراجح انها كانت تستعمل معاصراً بعضها للبعض الآخر وان كانت السيادة في كل فترة من الفترات الرئيسية في تاريخ سامراء لطراز واحد .

والطراز الاول هو أقدمها وهو الذي كان سائداً في أول عهد سامراء كما يتبين من استعماله في قصر الجوسق الخاقاني الذي يرجع الى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) ولكن لم يلبث ان وجد الى جنبه الطراز الثاني ثم اصبح هذا الطراز الثاني هو الغالب. ووجد جنبه الطراز الثالث ولم يلبث ان أصبح الطراز الثالث هو الغالب بعد انشاء سامراء بنحو ربع قرن كما نرى من استعماله في قصر بلكوارا الى مابين عامي ٢٤٠ و٢٤٥ هـ (٨٥٤ و ٨٥٩ م) وليس من المستحيل ان بعض ذوي اليسار كانو يلجأون الى استعمال الطراز الاول في الزخرفة الجصية بسامراء في الوقت الذي كانت السيادة فيه للطراز الثالث .

الزخارف الخشبية في سامراء

نلاحظ ان تطور الزخرفة العباسية على الخشب لم تتمش مع تطورها في الجص فان الزخارف المحفورة من الخشب في الطرز العباسية تتبع كلها الطراز الثالث ولم تصل الينا أي أخشاب ذات زخارف محفورة توازي زخارف الطراز الثاني في الجص المعروف في سامراء (١)

والواقع ان ما نعرفه من الزخارف المحفورة فى الخشب من العصر الاموي ومن العصر العباسي لا يضم الا زخارف توازي الطراز الاول وأخرى توازي الطراز الثالث .

ويبدو انه لم تكن هناك حاجة الى الطراز الثاني الذي يعتبر مرحلة انتقال وتبسيط بين الطرازين الاول والثالث . ولا عجب فى هذا لان الخشب لم يكن من المواد الاولية التي تستخدم بكثرة فى الزخرفة فى العراق . أما الزخارف المحفورة فى الخشب والتي توازي الطراز الاول من الزخارف الجصية فهي الزخارف التي

(١) الدكتور زكي محمد حسن من احدى محاضراته سنة ١٩٥٢

ظهرت في العصر الاموي وفي العصر العباسي قبل انشاء سامراء وتتجلى في الحشوات الخشبية المحفوظة في متحف بناكي او في متحف المتروبوليتان بنيويورك بعد ان عثر عليها في تكريت فضلا عن زخارف منبر جامع القيروان التي جلبت من بغداد سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ ـ ٨٦٣ م) اي في عصر سامراء نفسها . ولكن علماء الآثار ساروا على نسبة مثل هذه التحف الخشبية الى الطراز الاموي لصلتها الوثيقة بالحفر على الخشب منذ بداية العصر الاموي وهـــو الحفر الذي يحذو حذو الاساليب الهلنستية . وقد عثر في التنقيبات باطلال مدينة سامراء على عدد من القطع الخشبية ذات الزخارف المحفورة حفراً مائلا والتي تتألف من عناصر الزخارف الجصية في الطراز الثالث بسامراء . كما عثر في التنقيبات الاثرية بمدينة الفسطاط ووجد في جامع أحمد بن طولون قطع خشبية كثيرة من الطراز العباسي في الحفر على الخشب اي من الخشب ذي الزخارف المأخوذة من الطراز الثالث في الزخارف الجصيـة بسامراء . ويمتد تاريخ هذه الاخشاب في مصر من بداية العصر الطولوني الى بداية العصر الفاطمي فيشمل كل الحقبة التي ازدهر فيها الطراز العباسي في مصر اي منذ قيام الدولة الطولونية نحو سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) الى عصر الحاكم ثالث خلفـــاء الفاطميين في مصر (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ ـ ٩٩٦ ـ ١٠٢١ م) .

تطور زخارف سامراء في العالم العربي

ظهرت في العراق وبلاد الوطن العربي عدة امثلة من الزخارف المنقولة عن زخارف سامراء اوالمتطورة منها . وأهم هذه الامثلة تيجان اعمدة من الحجر وجدت في الرقة عليها زخارف من الطراز الثالث في الزخارف الجصية بسامراء .

وقد نسب هرتسفلد هذه التيجان الى عصر هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ – ٧٨٦ – ٨٠٩ م) اي الى نهاية القرن الثاني الهجري (بداية القرن الثالث الميلادي) (١)

وليس عجيباً ان ينسبها هرتسفلد الى هـذا التاريخ المبكر اذا تذكرنا ان الطراز الثالث من طور سامراء في تقسيمنا هو الطراز الاول عنده واقدم الطرز الثلاثة فلعله يحسب هذه التيجان ممهدة لهذا الطراز قبل انشاء سامراء . ومن تيجان الاعمدة التي عثر عليها في مدينة الرقة تيجان اعمدة رخامية بعضها محفوظ في في متحف المتروبليتان وقدنسبها الاستاذ ديماند خطأ الى نحوسنة (٨٠٠) على الرغم من ان زخارفها ترجع الى الطراز الثالث من زخارف سامراء فالراجح انها من نحوسنة (٨٥٠ م) . ولعل الذي اوقع ديماند في هذا الخطأ تأثره بتاريخ هرتسفلد

(١) من محاضرات الدكتور زكي محمد حسن سنة ١٩٥٢

للتيجان التي اشرنا اليها في باب الزخارف الجصية .

والواقع ان ديماند غير واضح في فهمه للزخارف الجصية في سامراء فهو يتبع هرتسفلد في تقسيمها ويعتقد في الوقت نفسه بان الطراز الثالث هو أقدمها فيقول في هذا الصدد (وتدل اساليب سامراء الجصية على ثلاث مجموعات مختلفة يتضح من المجموعتين الثانية والثالثة ان الزخارف حفرت على الجدران نفسها اوعلى حشوات جصية ثبتت بعد ذلك على الجدران اما في المجموعة الاولى فقد صبت الزخارف في قوالب . كما يقول في موضع آخر ان الزخارف من الطراز الثالث (بحسب تقسيم) تعتمد على اساليب الزخرفة الاموية .

ومن أمثلة انتشار زخارف سامراء في العراق افريز من الجص في الكنيسة الكبرى فى الرصافة ويرجع هذا الافريز الى نهاية القرن الثالث او بداية الرابع الهجري وهو من الطراز الثاني من زخارف سامراء . ومن تلك الامثلة ايضاً حشوات موجودة فى مار يعقوب بالموصل نراها في محرابين على جانبي محراب كبير وترجع هذه الحشوات الى نهاية القرن الثالث او بداية القرن ومنها الغبأ محراب مقام عبد العزيز بالفراء في منطقة جبلية تعرف باسم جبل عبد العزيز بين بليخ وخابور من اقليم الجزيرة وترجع زخارف هذا المحراب الى القرن الرابع الهجري ومن تلك الامثلة ايضاً زخارف من الجص فى مشهد الاربعين بتكريت وترجع الى نهاية القرن الخامس الهجري بل اننا نرى تأثير سامراء فى زخارف اخرى فى العراق وبلاد الجزيرة ترجع الى القرن السادس الهجري فنرى فى الرقة تيجان اعمدة من الجص فى الجامع داخل السور وترجع الى عصر نور الدين سنة ٥١١ هـ (١) ونرى

(١) نظراً للامانة العلمية فان الدكتور زكي محمد حسن هو صاحب هذا الرأي الا ان الدكتور الجليل الاستاذ مصطفى جواد يقول ما نصه (وليست سنة ٥١١هـ من عصر نور الدين بل من –

فى الموصل تيجان من الحجر لاكشاف في المسجد الجامع في الموصل (٥٦٦ ـ ٥٦٨ هـ/ ١١٧٠ ـ ١١٧٢ م) ونرى فى الموصل ايضاً تاج عمود من الجص من عصر نور الدين في مار امورمة كما نرى فيها تاج عمود من الجص فى مشهد الشيخ فتحي ونرى فى مشهد علي زخارف من الجص ترجع الى سنة (٥٩٨ ـ ١١٩٣م) كما انتشرت الزخارف الجصية من سامراء فى سائر العالم العربي وتطورت في تلك الانحاء بعد فترة من انتقالها اليها اما فى مصر فاننا نراها في الزخارف الجصية بجامع احمد بن طولون (٢٦٣ ـ ٢٦٥ هـ/٨٧٦ ـ ٨٧٩م) وهناك زخارف جصية انتشرت فى البلاد العربية الاخرى وحتى الاسلامية ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع كتابي الفنون الاسلامية والفن الاسلامي .

ـ عصر جده اذا جاز ان تنسب اليه العصور) ا . هـ

التصوير في سامراء

لم نكن نعرف عن النقش والتصوير في العصر العباسي الاول شيئاً ماديا قبل كشف الصور التي عثر عليها المنقبون عن الآثار في اطلال مدينة سامراء فكان ما نعرفه فى هذا الصدد لا يزيد على بعض نصوص أدبية وتاريخية جمع معظمها المرحوم (تيمور باشا) في كتاب (التصوير عند العرب) (١)

بل ان الصور التي عثر عليها في سامراء لم يبق منها الى اليوم شيء كثير ففي دار الاثار العربية ببغداد وفي متاحف استانبول و لندن وبرلين بعض قطع صغيرة من الجص عليها نقوش ولكن معظمها طمس وذهبت الوانه فلم يعد من المستطاع تمييزه او لم يبق منه الا اجزاء من الصور لا تعطي فكرة واضحة عما كانت عليه الصور الكاملة وذلك ان اهم الصور التي وجدتها البعثة الالمانية وضعت في صناديق وارسلت الى اوربا خلال الحرب العالمية الاولى فضاعت ولم ينجو منها الا جزء يسير تطرق اليه التلف وبذلك اصبح مرجعنا الاساسي في دراسة هذه الصور هو مانقله منها العلامة هرتسفلد في كتابه عن (الصور فى سامراء) وهو احد المؤلفات التي نشرت عن الحفائر الالمانية في مدينة سامراء العباسية وقد ذكر هرتسفلد في

(١) محاضرة الدكتور زكي محمد حسن في سنة ١٩٥٢

هذا الكتاب ان الوان هذه الصور كانت تنفض ثم تذهب تماماً بعد ازالة الرمل عنها ولكنه كان يعالج ذلك ويحتاط له بان يبادر بتصوير الرسوم بالفوتغراف وبعمل نماذج لها بالالوان المائية حتى نجح في اعطائنا فكرة صادقة عنها في كتابه المذكور .

ويمكننا أن نقول بوجه عام ان النقش بالالوان على الجدران في سامراء كان حلقة متأخرة من النقش الساساني الذي نعرف عنه بعض البيانات من المراجع التاريخية والادبية بدون ان تكون لدينا أمثلة مادية .

والمعروف ان الزخارف المحفورة في الجص كانت العنصر الرئيسي في زخرفة البيوت والقصور في سامراء . وكانت الصور المرسومة بالالوان ولا سيما الصور الآدمية منها نادرة بل لعل مانعرفه منها لم يكن الا في بعض القاعات الخاصة بقصور الخلفاء ففي قصر الجوسق مثلا كانت قاعة العرش والقاعات المحيطة بها خالية من الصور بينما كانت الصور كثيرة فى جدران قاعات الحريم ولا سيما فى قاعة ذات قبة وصلت الينا فى حالة جيدة .

ففي هذه القاعة رسوم نساء شبه عاريات ورسوم راقصات وفارسات في مناطق مربعة ومثمنة وفيها رسوم نساء يصدن الوحوش وغيرهن يرقصن او يعزفن على الآلات الموسيقية او يقفن على ارضية فيها رسوم فصائل شتى من الطير كما نرى بين تلك الرسوم مناظر رجال بين عقود قائمة على أعمدة ذات قواعد وتيجان على شكل الناقوس ومناظر حلزونات تتألف من قرون رخاء وتضم رسوم حيوانات ينقض بعضها على الاخر .

ووجد فى احد البيوت التي كشفت فى حفريات سامراء رسوم حيوانات وطيور وفروع نباتية ورسوم اسماك في البحر .

كما وجد فى بيت آخر رجال يشربون وقد جلسوا القرفصا، واحيط هذا المنظر باطار يضم صفاً من طيور حول اعناقها عصابات طائرة وتحت هذا الصف من الطيور وفوقه شريط من الحبيبات على الطريقة الساسانية (١)

وهناك نوع آخر من الرسوم يمثل قسساً واقفين ورجالا ونساءاً تحمل احداهن عجلا فوق كتفها وهذه منقوشة على دعامات صغيرة وجدت مدفونة تحت قاعة العرش في قصر الجوسق . وعلى بعضها كلمات مثل « مفلح ومشمس » وعلى الملابس في الرسوم الآدمية زخارف منوعة ويذكر بعضها بزخارف انواع من المنسوجات الساسانيـة والاسلامية والتي وصلت الينا والملاحظ ان اثر الاساليب الفنية الساسانية ظاهرة فى صورسامراء . ولا سيما في الافاريز والاطارات وفي وضع الصورفي مربعات ودوائر ومناطق مختلفة الشكل وفى مراعات التماثيل فى الاشرطة والموضوعات الزخرفية ومع ذلك فان في صور سامراء روحا هنيستية ظاهرة تراها في الرسوم الجانبية لبعض الوجوه الآدمية وفي الاسلوب المتبـع في رسم أطواء الملابس وفي بعض الحركة التي نلحظها في رسوم الراقصات وترجع هذه الروح الى الهليني الذي تسرب الى الشرق الادنى ولا سيما اقليم بكتريا افغانستان منذفتح الاسكندر وقد وجدت على بعض نقوش سامراء كلمات قدتكون اسماء الفنانيين الذين رقموها ووضحوها « احمد بن موسى) اما كلمتا مفلح ومشمس فربما كانتا امضاء فنانين ولا سيما ان اسم مفلح كان معروفاً في عصر سامراء بل كان يحمله احد القواد الترك من أتباع

---

(١) نفس المصدر السابق

موسى بن بغا . وقد اشار هرتسفلد الى ان هاتين الكلمتين ربما كانتا من اصل آدمي وكان المقصود بمشمس مساعد (الشماس) في الكنيسة يترجح حينئذ ان يكون المصور مسيحياً آرامياً .

ويمكننا ان نفسر بذلك وجود رسم القسس ولكن يعترض على هـــذا الرأي بان كلمة مشمس ظهرت مضافة الى امضاء احمد بن موسى الفنان الذي ذكرناه والذي لاشك في انه كان مسلماً .

وأشار هرتسفلد الى احتمال هو ان تكون لكلمة مشمس صلة بالمشمسين عند اتباع المانوية وقد اشار اليهم ابن النديم في كتاب (الفهرست) حين ذكر المراتب الخمس في هذا الدين المعلين (او المعلمين ؟) والمشمسين والقسيسين والصديقين والسماعين فتكون اضافة كلمة مشمس الى اسمي (مفلح وأحمد بن موسى) دلالة على انهما في المرتبة بين اتباع المانوية ولا سيما ان هؤلاء كانوا كثيرين في العراق وكانوا في اسمائهم ومظهرهم كالمسلمين تماماً . ولذا أصح هذا الاحتمال الاخير فان القسس المرسومين يكونون من قسس المانوية وليس من القسس المسيحيين كما نستطيع حينئذ ان نفهم وجود الزخرفية الساسانية وغير الدينية .

وقد كشف في سرداب قصر الجوسق بسامراء آثار افريزين من زخارف حائطية وقوام كل منهما نقوش من الجص الابيض البارزة بروزاً خفيفاً على مهاد (أرضية) مدهونة باللون الازرق . وزخارف هذين الافريزين رسوم ابل ذات سنامين ويفصل كل منهما عن الاخر نقش ملون يمثل شجرة صغيرة والذي يدعو الى الاعتقاد بوجود افريزين ان رسوم الابل التي كشفت آثارها قسمان ـ الاول ارتفاع كل منهما نحو نصف متر ـ والثاني نحو عشرين سنتيمتر .

والابل الكبيرة تسير الى اليمين او اليسار اما الابل الصغيرة فبعضها متجه الى اليمين وبعضها الى اليسار ولكنها لا تسير كلها بل بعضها بارك .

وقد لوحظ ان رسوم هذه الجمال يختلف بعضها عن بعض مما يستنبط منه انها لم تعمل في قوالب بل كونها الصانع بيده على نحو الزخارف الجصية في الطرازين الاول والثانى من الطراز الجصي في سامراء . ومما يلفت النظر ان الابل المنقوشة ليست ذات سنام واحد كالابل العربية ولكنها من الابل ذات السنامين المعروفة فى ايران والواقع ان الفنون الايرانية القديمة فيها صور وافاريز زخرفية تتألف من رسوم ابل يمكن اعتبارها الحلقة الاولى في افريز الابل بسامراء ومن هذه الصور والافاريز الايرانية رسوم الابل في افريز بمدينة برسوبوليس يمثل اهـل بكتريا يحملون الجزية .

والمعروف ان برسوبوليس (اصطخر) هذه بها اثار هامة من الفن الفارسي الكيـاني الأخميني بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد .



النقود العباسية
في سامراء

لقد ضرب العباسيون دينارهم منذ سنة (١٣٢) الهجرية وهو تاريخ اعلان دولتهم على عهد الخليفة الاول عبد الله السفاح الى نهاية المستكفي بالله الخليفة الثاني والعشرين (٣٣٤) للهجرة ومن عهد المستنجد بالله الخليفة الثاني والثلاثين عام (٥٥٥) للهجرة الى نهاية عصر المستعصم بالله الخليفة السابع والثلاثين عام (٦٥٦) الهجرية وسقوط الدولة العباسية على يد طاغية المغول هولاكو الايلخاني ووزن الدينار العباسي هو كوزن الدينار الاموي عينه وهو ٢٦٥ / ٤ من الغرامات أي ٦٦ حبة وهذا هوالوزن الشرعي للدينار اي المثقال عدا ما ضرب في جنوب البلاد العربية فقد جعلوا وزن الدينار وزن الدرهم الشرعي وهو ٩٨٥ / ٢ من الغرامات أي ٤٦ حبه ، وان تغيرات الاوزان فيما بعد فيعد الوزن الشرعي اماما الى يومنا هذا .

وقطر الدينار لم يتغير فهو على ماكان عليه في العهد الاموي وهو ٢٠ مليمترا والانصاف ١٧ والاثلاث ١٢ وبعضها ١٣ والارباع ١٠ مليمترات ومنها ما بلغ قطره ٢٥ أو أكثر من ٣٠ مليمتراً . وهذه المقاييس تختلف ايضاً لعدم اتقان

استدارة الدينار .

ضرب العباسيون من اجزاء الدينار الربع والثلث والنصف وعلى وزن الدرهم وأقل ومن الاضعاف ما كان اكثر من المثقال الى أربعة مثاقيل وهذه ضربت للتعامل بها ولذا يضطرون الى وزنها أحياناً .

لقد تطور الدينار العباسي الى ثلاثة أقسام وذلك لاعتبارات كثيرة من حيث الزيادة في النصوص او التوسيع في القطر أو الزيادة في الوزن أو النقصان الى غير ذلك .

الدور الاول ـ من عهد الخليفة الاول السفاح سنة ١٣٢ هـ الى نهاية عهد المأمون سنة ٢١٨ هـ (١)

الدور الثاني ـ من عهد المعتصم سنة (١٢٨ هـ) الى نهاية عهد المستكفي سنة ٣٣٤ للهجرة .

الدور الثالث : من عهد المستنجد سنة ٥٥٥ هـ الى نهاية عهد المستعصم وموضوعنا الدور الثاني وما يخص الخلفاء العباسيين الثمانية الذين تعاقبوا على كرسي الخلافة في سرمن رأى .

فقد ضرب المعتصم ديناره باسمه فقط وقد كتب في مركزه على النحو الآتي :

---

(١) راجع الدينار الاسلامي للاستاذ ناصر السيد محمود النقشبندي ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ١٩٥٣

لا اله الا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
	الله
	المعتصم بالله

بسم الله ضرب هذا الدينر بصنعا

سنة أربع وعشرين ومايتين

وكتب على الطوق

لله الامر من قبل ومن بعد	محمد رسول الله ارسله بالهدى
ويومئذ يفرح المؤمنون	ودين الحق ليظهره على الدين كله
بنصر الله	ولو كره المشركون

وضرب الواثق ديناره على ضرب المعتصم وقد وجد على قسم من دنانيره التي ضربت بصنعاء عام ٢٣٢ هـ - اسم جعفر والربوسان .

(جعفر) وهو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط تولى امارة اليمن سنة ٢٣١ هـ (الربوسان) فلايعرف من هو وقد وجد من ديناره لجميع سني ملكه . وقد كتب في مركزه على النحو الآتي :

لا اله الا	لله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
	الله
	الواثق بالله

وضرب جعفر المتوكل ديناره باسمه ومنه ما ذكر معه ابو عبـــد الله وهي كنية ابنه محمد المعتز بالله وقد وجد مما ضرب به لجميع سني ملكه . وقد كتب في مركزه على النحو الآتي :

لا اله الا	لله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المعتز بالله	لله
	المتوكل على الله

اما المنتصر فقد ضرب دينار باسمه الا انه لم يعثر الا على دينار واحد له ضرب في سامراء ذكره (جورج سي مايلز) فى كتابه (النقود الاسلامية النادرة ص ٢٠ رقم ٦٦ لوح ٤) وقد كتب في مركز الدينار مايلي :

الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول	لا شريك له
الله	
المنتصر بالله	

وكتب على النطاق

بسم الله ضرب هذا الدينر

بسر من رأى سنة ...

وكتب على الطوق

لله الامر ... الخ   محمد رسول ... الخ

وضرب المستعين بعض دنانيره باسمه فقط وبعضها ذكر معه ابنه (العباس بن أمير المؤمنين) سنة ٢٤٠ هـ وجد من دنانيره لجميع سني ملكه وقد كتب عليه النحو الآتي :

الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول	لا شريك له
الله	العباس بن
المستعين بالله	أمير المؤمنين

وضرب المعتز بعض دنانيره باسمه فقط وبعضها ذكر معه ابنه عبد الله بن أمير المؤمنين سنة ٢٤٠هـ . وجد من دنانيره لجميع سني ملكه وقد كتب على مركزه

لا الله الا	محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	المعتز بالله
	أمير المؤمنين

وضرب المهتدي بعض دنانيره باسمه فقط وقد كتب على مركز الدينار ما يلي

لا اله الا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
	المهتدي بالله
	أمير المؤمنين

وضرب المعتمد بعض دنانيره باسمه فقط ومنها ما ذكره معه غيره من الامراء وقد كتب على مركز ديناره على النحو الآتي :

لا اله الا	محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	الله
الموفق بالله	المعتمد على الله
	ذو الوزارتين

خزف سامراء

خلال تنقيبات هرتسفلد ومن بعده دائرة الآثار القديمة في اطلال مدينة سامراء عثر على خزف كان أقل كمية من الفخار غير انها اكثر تنوعاً منها ، وذلك لان الخزف يتنوع بتنوع الاصباغ ، زيادة على تنوع الاشكال والنقوش النائئة او الغائرة .

ومن المعلوم ان التزجيج يحصل بطلاء سطح الاناء الفخاري باصباغ معدنية قبل فخره الفخر النهائي . اما المركبات المعدنية التي تتألف منها الاصباغ تنصهر بتأثر الحرارة وتكون على سطح الفخار طبقة زجاجية رقيقة ، ملونة بالوان مختلفة ، حسب انواع المركبات المستعملة . يكون هذا الطلاء والتزجيج بلون واحد او بعدة الوان . كما انه يتم على سطوح ملساء او على سطوح قد حفر عليها اشكال وخطوط متنوعة او على سطوح مزدانه بزخارف نائئة .

وهذا الطلاء المذكور يتكون أحياناً من أملاح معدنية خاصة تكسب الخزف بعد الفخر والتزجيج بريقاً معدنياً يزيد في رونقه وجماله (١)

وهناك نوع من الخزف يتكون من عجينة خاصة دقيقة وهذا هو الخزف

---

(١) حفريات سامراء المطبوع سنة ١٩٤٠ ـ مطبعة الحكومة

المعروف باسم الخزف الصيني او الفرفوري .

وعلى هذا ينقسم الخزف الى الانواع الاساسية التالية :

١ ـ الخزف المزجج الملون :

(أ) بلون واحد : (ب) بعدة الوان .

٢ ـ الخزف المزجج ، الناتيء الزخرف .

٣ ـ الخزف المحزز تحت التزجيج (غرافياتو) .

٤ ـ الخزف ذو البريق المعدني (البراق)

٥ ـ الخزف الصينى (السيلادون ـ الفرفوري)

لقد وجد فى سامراء أوان وقطع خزفية من جميع هذه الانواع . وقد نشرت نماذج من صور هذا الخزف فى كتاب ﴿ حفريات سامراء الجزء الثانى ﴾ وعثر خلال الكشف على أوان خزفية متنوعة جدا من حيث الاشكال والالوان ووجوه الاستعمال فيها صحون واطباق وفناجين ومشارب واجاجين وخواب ومسارج وبرابخ ومضاريب .

ومن الاواني الخزفية التي تستلفت النظر بوجه خاص : اناء خزفي ذو ثلاث قوائم ، ومضراب طويل مزجج من الداخل والخارج ، وابريق ذو ثلاث عرى بديعة على قاعدة كل واحدة منها وعلى قاعدة البلبلة زخرفة ناتئة جميلة ، وطبق مسطح ملون بالوان متعددة مرتبة ترتيباً غريباً يكسبه منظر عجلة ، اما اكبر الاواني الخزفية المكتشفة فهي : اجانة قطر فوهتها ٥٧٫٨ سم ، صحن قطره ٣٦ سم وخابية ارتفاعها ٥٦ سم . وزراب طوله ٨٨ سم .

واكثر القطع والاواني الخزفية ، وحيدة اللون ، واللون الشائع في مثل هذه

الاواني هو اللون الازرق ، او الاخضر ، او الازرق المائل الى الخضرة . مع هذا فقدوجد صحن مزجج مصبوغ باللون القهوائي الغامق ، غيران الصحون والاطباق تكون عديدة الالوان بوجه عام : يلاحظ على كل واحد لونان ، أو ثلاثة أو أربعة الوان .

والالوان المستعملة هي : الحليبي ، الاخضر ، الازرق ، اللازوردى ، الاخضر الاسمر ، الاحمر .... وكل ذلك في درجات متفاوتة من الغماقة .

ان توزع الالوان على سطح الاناء ، يولد نقوشاً متنوعة جداً : تكون هذه النقوش على الاكثر على هيئة لطخات أو بقع موزعة توزيعاً منتظما أو غير منتظم ، مع هذا كثيراً ما تتكون من خطوط دقيقة أو عريضة مستقيمة أو منحنية أو منكسرة مرتبة على هيئة تزيينات هندسية أو نباتية . ويلاحظ احياناً بين هذه النقوش في بعض القطع كتابات وفي بعض القطع صور حيوانية .

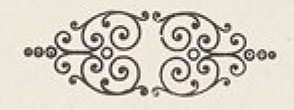
ومما تجب ملاحظته في هذا الصدد ان الاواني تكون مزججة من الوجه والقفا على الاكثر ، كما ان نقوش الوجه تختلف عن نقوش القفا بوجه عام . ان اختلاف الوجه عن القفا يشتد بوجه خاص فى الخزف ذي البريق المعدني . أما الزخارف الناتئة التي تشاهد على القطع الخزفية دقيقة وجميلة جداً ، انها تتألف من خطوط وحلقات وأوراق ووردات ، مرتبة ترتيباً بديعاً ، على طريقة التوالي او التقاطع والتشابك . هذا وقد شوهد على قطعة خزفية من هذا القبيل كتابة ناتئة كما اشرنا الى ذلك آنفاً .

وقد اكتشف عدد غيرقليل من القطع الخزفية ، المزخرفة بطريقة (التحزيز

تحت التزجيج) والمعروفه بين العلماء باسم (غرافياتو) .

ان اشكال هذا التحزيز متنوعــة جداً خطوطاً دقيقة او عريضة ، مستقيمة أو منكسرة أو منحنية أو متوازية أو متقاطعة ، مجتمعة على هيئة تزيينات غــير منتظمة بوجه عام بينها كثير من العناصر النباتية وبعض العناصر الحيوانية . وعثر على بعض النماذج من الخزف البراق ، أكثرها فى حالة قطع وكسرات من صحون اللون الغالب فيها الارجواني والقهوائي واما الزخارف البراقة التي تلمع لمعان الذهب أو الفضة فتتكون على الاكثر من عناصر نباتيه .

أما قطع الخزف المكتشفة في سامراء فمنها أيضاً الخزف الصيني تعود الى أوان نوع الصحون والاطباق بوجه عام واللون الغالب هو الرمادي غير ان لون البعض يميل الى الاسمرار والبعض الى الاخضرار والبعض الى البياض .



عدد صيانات
آثار سامراء

لما تأسست مديرية الآثار العامة بعد الحرب العالمية الاولى اهتمت كثيراً في ترميم وصيانة آثار سامراء لأهميتها التاريخية ولكونها أكبر مدينة أثرية مطمورة تحت الاتربة التي تمتد رقعتها (٤٢) اثنين وأربعين كيلو متراً من الشمال الى الجنوب و (٦) ستة كيلومترات من الشرق الى الغرب . ولا تزال لحد الان هذه الآثار شاخصة مثل جامع الجمعة وجامع أبو دلف في المتوكلية وبيت الخليفة وبلكوارا وقصر العاشق وغيرها .

وهنا أود أن اذكر عدد وتواريخ الصيانات في آثار سامراء والاثار التي تم ترميمها وهي :

١ ـ في سنة ١٩٣٦ م قامت دائرة الاثار بصيانة الملوية بالقاعدة والحلزون الاول حيث أظهرت أساس الملوية وأعادت بناء ذلك بطابوق سور سامراء الذي أمرت الحكومة يومذاك برفعه من حول سامراء .

٢ ـ في سنة ١٩٣٦ م رممت دائرة الآثار سور جامع الجمعة ومداخله

من الخارج ورفع الاتربة من حوله واظهار ابراج المسجد وجدرانه والمحراب .

٣ ـ في سنة ١٩٣٨ م رممت دائرة الآثار دار العامة كما رفعت الاتربه من حوله لابراز جدران بيت الخليفة للعيان .

٤ ـ في سنة ١٩٣٩ م رممت دائرة الاثار المدخل الرئيسي للجوسق الخاقاني المعروف بباب العامة أو بيت الخليفة قصر الخليفة .

٥ ـ فى سنة ١٩٤٠ م رممت دائرة الاثار جامع أبو دلف ومئذنته والبقعة التى تحيط بمحرابه .

٦ ـ في سنة ١٩٤١ م رممت دائرت الا ثار وأ كملت جدران جامع الجمعة والملوية الى فوق .

٧ ـ في سنة ١٩٥٧ م رممت دائرة الاثار جامع ابو دلف ومئذنته أيضاً

٨ ـ في سنة ١٩٥٨ م رممت دائرة الاثار جامع أبو دلف فأصلحت الكثير من أقواسه ومأذنته وهي تشابه الملوية .

٩ ـ في سنة ١٩٦٢ م تابعت مديرية الاثار العامة تنفيذ المناهج(١) الموضوعة للصيانة الاثرية في سامراء اذ أ كملت الاعمال التي كان قد بدئ بها قبل الحرب العالمية الثانية فى جامع المتوكل والذي يعرف أيضاً بجامع المعتصم وجامع الجمعة والمسجد الجامع وجامع الملوية ، فبدأت في ترميم الازاء الداخلية لجدرانه

---

(١) راجع كتاب (صيانة الابنية الاثرية في العراق) لفؤاد سفر وصادق الحسني ص ١٩ ـ ٢٢ بغداد ١٩٦٥

الاربعة وتنظيف أروقته من الانقاض والاتربة التي قدرت بما لا يقل عن عشرين الف متر مكعب

١٠ ـ في سنة ١٩٦٣ م رممت كذلك أحد عشر نافذة من نوافذ هـذا الجامع التي تشاهد فى الجدار الجنوبي أي جدار القبلة (ان مجموع نوافذ هذا الجدار يبلغ ٢٤ نافذة) .

وبعد اكمال التنظيف ورفع الانقاض ظهرت التباليط الاصلية للجامع وتم كذلك التوصل الى معرفة التصاميم التفصيلية لبناء الاجزاء الداخلية . وقد تـم كـذلك العثور على عدد من الاعمدة الرخامية وبعض تيجان هذه الاعمدة . كما تم العثور على عدد كبير من البلاطات الزجاجية التي كانت تزين الاجزاء السفلى للاقسام الداخلية من جدار القبلة ، والتي أشار اليها الاربلي في (خلاصة الذهب المسبوك) اذ جاء فى صفحة (١٦٣) من كتابه ما يأتي : (وجعل وجوه حيطانه مرايا بحيث يرى القائم فى الصلاة من يدخل من خلفه وبنى المنارة التي يقال انها من احدى عجائب الدنيا ...) .

ولقد فسرها المنقب الالماني المعروف هرتسفلد في تقريره الاولى لتنقيبات الموسم الثاني في سامراء ، اذ ذكر بان المقصود كان فسيفساء (موزائيك) .

١١ـ فى سنة ١٩٦٤م رممت دائرة الاثار محراب جامع الجمعة ورفعت الاتربة من الجانب الشمالي في قصر العاشق وتم بناء الاقسام الداخلية واعادة الجانب الشمالي من القصر وبناء أبراجه الاربعـــة ونوافذه المفصصة وخلال رفع الانقاض

ظهرت للعيان بعض المداخل الجديدة للقصر كانت فى حالة جيدة من الحفظ ، وقد وجد ان أحد هذه المداخل تؤدي الى قاعة مربعة هائلة الارتفاع وبحالة عجيبة من الحفظ اذ لم تعبث بها يد الزمن .

١٢ ـ في سنة ١٩٦٥م رممت دائـرة الاثـار قصر العاشق أو المعشوق من الجهة الشرقية والغربية وكذلك تم صيانة ستة أبراج أخرى ولا تزال الاعمال قائمة على قدم وساق على رفع الاتربة وصيانة الاجزاء الاخرى من القصر المذكور حتى سنة ١٩٦٨م.



البيت العباسي في سامراء

عندما عزمت الحكومة على بناء ثانوية سامراء للبنين قرب سور عيسى أرسلت هيئة فنية مختصة من مديرية الاثار العامة في بداية عام ١٩٦٢ م للتنقيب(١) في المنطقة التي يراد انشاء المدرسة المذكورة فيها ، وخلال الحفر في هذه البقعة عثر على دار عباسي يعتبر هذا الدار أقدم بيت اسلامي معروف لحد الان وأصبح بذلك نموذجا حسناً لمساكن الطبقة الراقية في سامراء .

وكان هذا الكشف فى موسم ١٩٦٣ م حيث رفعت الانقاض عن الجزء الأهم من الدار المذكور . حيث تبلغ مساحة هذا الدار نحو (١٦٠٠) متر مربع كما ان هناك أجزاء من الدار لم تكشف لحد الان .

وعثر خلال الحفر والتنقيب على مجموعة غرف لا تقل عن خمسين غرفة وفيه أربعة ساحات مكشوفة عدى الصحن الوسطي ، ويضن ان احدى هذه الصحون كانت حديقة ، أما المدخل الرئيسي للمنزل فلم يعثر عليه لحد الان ويمتاز هذا القصر بزخارفه الجصية حيث عثر على الزخارف فيه وهي ترفع من متر وعشرة سنتمترات الى أقل .

والظاهر ان القسم الذي تم كشفه هو أحسن أقسام الدار ويضن انه كان

(١) كانت الهيئة برئاسة الدكتور عبد العزيز حميد مديرية الابحاث الاسلامية

يستخدم لاستقبال الضيوف حيث يتكون من قاعة مربعة الشكل عن يمينها ويسارها غرفتان وغرفة أمامية تؤدي الى الصحن المذكور . وهنـاك في القسم الشرقي من الدار سلسلة من الغرف الطويلة نسبياً كانت أصلا مشيدة بالطابوق بينما المرافـق الاخرى قد شيدت باللبن ، اللهم الا أرضيات الغرف فهي مبلطة بالطابوق الفرشي كما تم العثور على حمام كبير مجاور للقسم الرئيسي مكون من منزع يؤدي الى غرفة مربعـة الشكل كانت تستخدم للاستحمام ، أما الخاص بالحريم فهو يقـع بالقسم الشمالي من الدار .

أما الصيانة التي تمت بالدار فهي توزير الأجزاء المتآكلـة من الجدران الداخلية بطابوق ذات شكل يساوي الطـابوق الاصلي وكان ذلك خلال سنـة ١٩٦٤ م . كما شملت القسم الرئيسي من الدار حيث رفعت جدرانـه الى مترين ونصف ثم وضعت سقيفة معدنية ترتكز على دعائم من الشيلمان وذلك لحفظ هذا الجزء من الامطار والرياح كما حوط الدار بالاسلاك الشائكة لمنع عبث الاطفـال وغيرهم بهذا الدار .

مدينة المتوكلية

لعل أهم التوسعات التي اجراها المتوكل هي مدينة المتوكلية الممتدة اليوم الى الجهة الشمالية حيث اختار مكاناً في تلك الجهة وبنى مدينة جديدة سماها المتوكلية أو الجعفرية وانتقل اليها ، اما المكان الذي وقع اختياره عليه فيقال له ﴿الماحوزة﴾ وهو المكان الذي قيل عنه ان المعتصم كان قد فكر في انشاء مدينة فيه .

وتقع خرائب المتوكلية على ضفة نهر دجلة في أقصى الشمال على بعد حوالي عشرة كيلومترات من آخر البناء الذي في الدور (دور العرباني) وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم ويكون ذلك على بعد حوالي ٢٠ كيلومتراً من شمالي سامراء الحالية ويشاهد الزائر اليوم السور الضخم الذي يحيط بالمتوكلية والذي يبلغ مجموع طوله حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتر ، أما مساحة الارض التي فى داخل السور فتبلغ حوالي ٥٤٠ دونماً (مشارة) وهناك سور آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشتملاتها عن مدينة سر من رأى التي في الجنوب تاركا اياها فى عزلة عن المدينة القديمة وفي هذا السور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام

للمدينة (١) .

ومما كتبه البلاذري بصدد انشاء مدينة المتوكلية قوله « أحدث المتوكل مدينة سماها المتوكلية وعمرها وأقام بها وأقطع الناس القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها . وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائيه اياها الى ان نزلها اشهر ونزلها فى أول سنة ست وأربعين ومائتين ثم توفي رحمه الله في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين » .

ونقل المتوكل جميع الدواوين الى مدينته الجديدة (المتوكلية) وأقطع ولاة عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ، فاتسع البناء فى المنطقة الشمالية هذه التي تمتد بين آخر البناء فى الدور (دور العرباني) من جهة وآخر الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية من الجهة الاخرى مسافة حوالي خمسة عشر كيلو متراً .

ولتأمين المواصلات العامة بين مدينته الجديدة (المتوكلية) وبين مدينة المعتصم (سامراء) مد الشارع الاعظم (وهو شارع السريجة الاعظم الذي ينتهي الى دار اشناس في الكرخ وهي الدار التي صارت في هذا الدور للفتح بن خاقان) مقدار ثلاثة فراسخ (أي حوالي ١٥ كيلو متراً) الى قصوره في الشمال وجعل دون قصوره الثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وكذلك

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٩ و ٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

شق الدروب من جهتي الشارع الاعظم وكانت الدروب التي على جهة نهر دجلة تنتهي بالنهر هناك والدروب التي على الجهة الشرقية من الشارع تنتهي في آخر البناء من جهة الشرق (١) ولا تزال آثار هذا الشارع جلية تحدها الخرائب من الجهتين كما انه لا تزال آثار بناء الابواب المذكورة باقية ظاهرة تشاهد في نهـاية الشارع الاعظم وذلك فى السور الخارجي لمدينة المتوكلية وقصورها وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة .

وهكذا فقد اتصل البناء على ضفة نهر دجلة فيبدأ في أقصى الشمال من المتوكلية فالدور فكرخ أشناس فسر من رأى (ماراً الى الموضع الذى كان ينزله المعتز بن المتوكل ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع ولا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ (حوالي ٣٤ كيلومتراً) .

ولتموين المدينة الجديدة بالمياه السيحية أخرج المتوكل نهراً من ضفة دجلة اليسرى من نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة تكريت ويسير هذا النهر على محاذات دجلة جنوباً مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية ، وقد سمي (النهر الجعفري) وأنفق عليه ما يقرب من مليون دينار الا انه كان مشروعا فاشلا للاسباب التي سنبحثها في فصل آخر .

ويلاحظ ان المتوكل كان يشرف شخصياً على اعمال المدينـة الجديدة في (الماحوزة) وعلى حفر النهر الذى يمدها بالمياه فانتقل من سر من رأى وجعل مقره في قرية (المحمدية) ليكون قريباً من ساحة العمل فيسهل الاشراف عليه عن كثب أما موضع قرية المحمدية فيقول البلاذري انها قريبة من الماحوزة وانها كانت تعرف

---

(١) كتاب البلدان : لليعقوبي

، (الايتاخيه) نسبة الى ايتاخ التركي ثم سماها المتوكل المحمدية باسم ابنـه محمد المنتصر وكانت تعرف أولا بدير أبي الصفرة وهم قوم من الخوارج) غير ان ابن سرابيون اعتبر الايتاخية والمحمدية قريتين منفصلتين وقال انهما تقعان بالقرب من بعضهما على القاطول الاعلى الكسروي (الايتاخية في الشمال والمحمدية جنوبهـا) وذاك على مسافة قليلة من صدره وأضاف بن سرابيون الى ذلك قوله انه كان على القاطول جسر من الحجارة عند الايتاخيـــة وجسر من الزواريـق عند المحمدية .

وجاء ذكر المحمدية ايضاً فيما رواه الطبري عن مقتل ابي نصر فى حوادث سنة ٢٥٦ هـ ومما قاله عن هذا الحادث ان أبا نصر قبل ان يتم قتله لجأ الى المحمدية فكتب المهتدى اليه يعطيه الامان على نفسه فوثق بذلك فرجع غير انه حبس على أثر عودته وقتل .

وقد روى اليعقوبي ان قطيعة ايتاخ كانت تقع في آخر شارع ابي احمد مما يلي وادي ابراهيم بن رياح اي فى شمال الكرخ ودور عربايا وكان هـذا الشارع على حسب قول اليعقوبي ينتهي الى باب البستان وقصور الخليفة ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطيعة ايتاخ المذكورة ويحتمل ان يكون قصر بستان الايتـاخية الذي ذكره ياقوت الحموي وقال انه من جملة قصور المتوكل وان كلفة انشائه بلغت عشرة آلاف الف درهم احد قصور الخليفة التي روى اليعقوبي ان شارع أبي احمد كان ينتهي عندها .

اما الموضع الذي كانت فيـــه قرية المحمدية وقصور المحمدية بالنسبة الى الاطلال المتبقية فلم يعثر الدكتور احمد سوسة على موضع تنطبق عليه الاوصاف

المتقدمة غير موضع التل المعروف باسم (تل الاصيبعين) الواقع على الضفة اليمنى من القاطول الكسروي عند الكيلومتر (١٣٫٥٠٠) من صدره حيث تقع بالقرب من هذا التل في جهة الغرب اطلال عمران قديم ثم ان هناك تلا آخر يقع جنوبي تل (الاصيبعين) عند الكيلومتر (١٨٫٣٠٠) من صدر القاطول يقال له (تل تمر) يقوم على الضفة اليمنى من القاطول ايضاً وفيه آثار قصر قديم وبالقرب منه على حافة القاطول تشاهد آثار قصر آخر كما ان هناك خرائب مجاورة تمتد غرباً حتى تتصل بالشارع الاعظم ويغلب على الظن ان قرية المحمدية كانت في احد هذين الموضفين اما اذا اخذنا بقول ابن سرابيون وهو ان هناك قريتين تعرفان بالايتاخية والمحمدية فتكون هاتان القريتان في الموضعين المذكورين أي في جوار تل الاصيبعين وتل تمر .

كما ان المتوكل انشأ في المتوكلية القصر الجعفري وبعض القصور الاخرى ذكرناها بصورة مفصلة فى باب القصور العباسية في سامراء .

وتدل الروايات التاريخية المدونة على ان مشروع مدينة المتوكلية تم فى أقل من عامين ، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة ٢٤٥ هـ فاتمها فى نهاية سنة ٢٤٦هـ ويؤيد المؤرخون انه انتقل الى المدينة الجديدة في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧هـ وقد تكامل السرور المتوكل بعد ذلك ، فقال (الان علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها) .

وكان طبيعياً ان ينبري الشعراء فينظمون قصائدهم في وصف مدينة المتوكل الجديدة ومن أشهر ما قيل فيها قول البحتري : ـ

ارى المتوكلية وقد تعالت   محاسنها واكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات يكدن يضئن للساري الظلاما

وللبحتري قصيدة أخرى يصف فى بعض ابياتها المتوكلية منها :

يهنيك في المتوكلية انها حسن المصيف بها وطاب المربع

فيحاء مشرقة يرق نسيمها ميت تدرجها الرياح واجرع

وفسيحة الاكتاف ضاعف حسنها

بـر لها مفض وبحـــر مترع

قدسر فيها الاولياء اذا التقوا بفناء منبرها الجديد فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقي ذكرها ان الرفيـع محله من ترفـع

ولكن الاقدار واحكامها فما مضى عام واحد على انشاء هذه المدينة العظيمة حتى فضت الاقدار عليها بالموت والاقفار ، وكان ذلك على أثر قتل المتوكل في ٣ شوال من سنة ٢٤٧ هـ . ولما كان المتوكل قد انتقل الى المتوكلية في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧ هـ فيكون قد قضى فيها تسعة أشهر وثلاثة أيام فقط .

وقد هجرت المدينة وقصورها بعد مقتل المتوكل فوراً وعاد ابنه الخليفـة المنتصر والناس جميعاً الى سامراء .

النهر الجعفري

قد يكون من المفيد ، قبل أن نبحث في النهر الذي حفره المتوكل ان نتتبع منشأ المشروع وتاريخه القديم الذى يرجع الى ما قبل عهد المتوكل ، ولكي يتسنى لنا أن نقف على ذلك علينا ان نستند أولا الى الروايات التاريخية ، ثم الى الاثار والاطلال المتبقية والمناسيب وغير ذلك من المعلومات التى تهدينا الى حقيقة الوضع .

ومن الروايات التاريخية التي تؤيد رجوع المشروع الى ماقبل عهد العرب ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد حيث قال : (وعزم المتوكل أن يبنى مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فامر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعاً اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل له ان المعتصم قد كان ينوي على أن يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس واربعين ومائتين ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة) والذي يؤيد صحة وجود هذا النهر في الدهر القديم هو ان المتارب المكونة من الحفريات الاخيرة وضعت على بعد بضعة امتار عن متارب الضفة الاصلية بحيث يمكن تمييز المتارب القديمة

من تلك التي تكونت من الحفريات الجديدة .

ويلاحظ أيضاً ان هناك عدة مجاري في صدر النهر يستدل منها على ان بعضها يرجع الى عهود قديمة تعود الى ما قبل عهد العرب ، كما ان هناك في بعض أقسام النهر مجار قديمة موازية للنهر الرئيسي . و بعض هذه المجاري يتقاطع مع المجرى الرئيسي بحيث يصبح قسم في الجانب الشرقي ، والقسم الآخر في الجانب الغربي ، مما يدل على ان هذه المجاري ترجع الى عهد قديم يعود الى ما قبل زمن المتوكل .

وعلى هذا نجد ان هناك تسميات مختلفة اطلقت على مختلف أقسام النهر ولا تزال تعرف هذه الاقسام بهذه التسميات ، كتسمية (النهر العتيق) للقسم الاعلى للنهر مثلا وتسمية (الحفر) أي الحفر الجديد للقسم الآخر ، اما التسمية العامة التي يعرف بها النهر اليوم فهي (نهر نايفه) .

ويقول الدكتور أحمد سوسة ان منشأ النهر يرجع الى عهد الفرس أو الى ما قبل ذلك ، اي الى زمن الكلدانيين او الآشوريين ، ثم جاء المتوكل فاعاد حفره .

والفرق الذي نلاحظه بين النهر القديم وبين جدول المتوكل ينحصر في الغاية التي أنشيء كل منهما من اجلها ، فان الغاية الاساسية التي كان يستهدفها النهر القديم ارواء مساحة كبيرة من المزارع وهذه هي الاراضي السهلة الواقعة على ضفته اليسرى بين (بحيرة الشارع) ونهر دجلة ، اي المنطقة المعروفة بـ (حويجة سامراء) والاراضي الزراعية الواقعة على ضفته اليمنى ، بينه وبين نهر دجلة ، على حين ان الغاية من انشاء جدول المتوكل الذي اتبع نفس اتجاه النهر القديم هي ايصال المياه الى مدينة المتوكل سيحاً باي ثمن كان وبغض النظر عن مساحة الاراضي الزراعية

التي يمكن ارواءها من الجدول .

هذا واذا اختلف الاثنان فى المرمى الذي يحققانه فانهما يتفقان في طريقة تصميم الجدول وذلك من حيث سحب المياه من نهر دجلة الى صدر الجدول ، ففي كلا العهدين (العهد القديم وعهد المتوكل) كان الجدول قد صمم على اساس سحب المياه من النهر دون قناطر أو سد على نهر دجلة لرفع مناسيب النهر في موسم الصيهود ، والذي كان يساعد على ذلك هو ان صدر الجدول يقع على مسافة بعيدة من شمالي حدود الدلتا ، وبذا كان يسحب المياه من اعالي النهر حيث تكون المناسيب مرتفعة ، ويكون النهر فى تلك الاقسام اكثر ثباتاً من تطور المناسيب ومن حيث تحول المجرى .

ومن الروايات المتواترة ، ان اميرة تسمى باسم نايفة قامت بحفر النهر فسمي باسمها .

وتذهب هذه الروايات الى ان الاميرة نايفة هذه كانت بنت الملك هطرون الذي كان له ابنتان : احداهما الاميرة نايفة والثانية تسمى الاميرة فاخرة . ولما قام الملك بتقسيم ملكه على ابنتيه وقعت حصة الاميرة نايفة في القسم الجنوبي الذى يبدأ في جبل حمرين ويمتد الى الجنوب . اما الاميرة فاخرة فكانت حصتها في شمالي جبل حمرين .

وتقول هذه الروايات ايضاً ان اطلال هطرة كانت مدينة الملك هطرون كما كان التل المعروف بـ (تل مهيجير) الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة امام قصر الجعفري مكان قصر اخيه هجرون . اما مبلغ الصحة في هذه الروايات فلا نستطيع الحكم عليه على انه قد يصح لنا ان نستدل منها بان النهر يرجع

الى ما قبل العهد العربي .

ويتفرع النهر الجعفري من الضفة اليسرى لنهر دجلة فى نقطة تقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً من جنوبي ناحية (بيجي) وحوالي ٣٨ كيلومتراً من شمالي تكريت و ٦٣ كيلومتراً من شمالي صدر القاطول الكسروي الذي يتفرع من نهر دجلة عند الدور وذلك من منتهى سفوح سلسلة جبل حمرين التي تقطع مجرى دجلة بالقرب من بيجي فتؤلف هناك مضيق الفتحة المعروف . ويسير الجدول من الشمال الى الجنوب محاذيا الضفة اليسرى لنهر دجلة من جهة الغرب ، وموازيا المنطقة الجبلية المرتفعة من جهة الشرق ، وبعد ان يقطع مسافة عشرين كيلومتراً فى هذا الاتجاه ، وينحرف الى الشرق قليلافيحاذى سفوح المنطقة المرتفعة ، مبتعداً عن نهر دجلة الى مسافات تتراوح من خمسة كيلو مترات الى ستة فيكون أمام تكريت عند الكيلومتر (٣٧) من الصدر ومقابل الدور (دور تكريت) عند الكيلومتر (٥ ر٥٤) من الصدر وبعد ان يجتاز النهر الدور ويسير الى مسافة كيلومتر ونصف كيلو متر في جنوبيها الى تل اصطناعي مرتفع يقع في وسط الجدول ويسمى (تل البنات) وهذا تل كبير يحوطه الجدول من كل اطرافه ، حيث ينقسم الجدول في هذا المكان الى فرعين الفرع الغربي يحيط بالتل من جهة الغرب والفرع الشرقي يحيط به من جهة الشرق ثم يعود الجدول فيتحد من جديد بالتقاء الفرعين بعد تحويطهما لموقع التل وجعله بشكل جزيرة يحيط بها النهر من كل جانب .

ويميل الدكتور احمد سوسة الى الاعتقاد بأن التل المذكور من اعمال المتوكل وقد انشيء في نفس الوقت الذي حفر فيه النهر . والارجح ان الغاية التي انشيء من اجلها هي نفس الغاية التي كان يستهدفها (تل العليق) الذى انشأه المتوكل شمالي

شرقي سامراء لتأمين تفرجه ورجال حاشيته من محل مرتفع على حلبة السباق التي انشأها هناك ، حيث يظهر لنا بأن المتوكل كان ينوي نقل حلبة السباق التي كان قد انشأها في سامراء الى هذا المكان ، اي الى الساحة الواسعة التي تمتد شرقي النهر الجعفري ، وذلك بعد اتمام حفر النهر الا ان الظروف لم تسمح له بتحقيق ذلك ، ويوجد فوق التل بناء اقتلع آجره مما يدل على انه انشئت هناك مقصورات لجلوس الخليفة وحاشيته .

وبعد ان يجتاز الجدول (تـــل البنات) يقترب من نهر دجلة فيصبح على بعد اقل من كيلو مترين منه حتى اذا ما سار مسافة ستة كيلومترات من (تـــل البنات) انتهى الى مجرى القاطول الكسروي عند قنطرة الرصاصي الواقعة عنـد الكيلومتر (٥٠٠ر٧) من صدر القاطول المذكور . وهنا يتشعب القـــاطول على عبارتين تقع احداها شمالي (قنطرة الرصاصي) بقليل وتمتد الاخرى فوق قنطرة الرصاصي نفسها ، اما الفرع الثالث فينصب في مجرى القاطول في اقصى الجنوب من جهة الشرق .

وكان الفرع الاخير يأخذ المياه الزائدة التي تتجمع في النهر فيصبها في القاطول وعلى هذا فقد انشيء ناظم في صدره لتنظيم المياه التي تصرف الى القاطول ، ولا تزال آثار هذا الناظم ماثلة يمكن مشاهدتها في صدر هذا الفرع في المكان الذى يتشعب فيه النهر الى الفروع الثلاثة المذكورة .

اما الفرعان اللذان يعبران مجرى القاطول فكانا ينتهيان الى حوض انشيء في الضفة اليمنى للقاطول لجمع مياه نهر الجعفري فيه ثم تحويلها الى السواقي التي تنتهي الى المدينة المتوكلية . فهناك فرع يتشعب من الحوض فيمد السواقي التي على جانبي

الشارع الاعظم بالمياه ، كما ان هناك فرعا آخر يتفرع من الحوض أيضاً فيسير غربا بين سور المتوكلية والقاطول الكسروي وبعد ان تتشعب عدة فروع منه تتجه نحو مدينة المتوكلية ينتهي الى بركة قصر الجعفري .

ويتضح مما تقدم ان طول النهر الجعفري بين صدره عند نهر دجلة ونهايته عند بركة قصر الجعفري يبلغ حوالي ٦٣ كيلومتراً .

وللنهر اربعة صدور قريبة من بعضها كلها تتفرع من نهر دجلة وليس في أي منهـا أثر لبناء او ناظم ، الا ان وضع مجرى النهر يدل على ان هذه الصدور كانت تمتد الى مسافة غير قليلة الى الشمال الغربي حين كان مجرى نهر دجلة يسير غربي اتجاهه الحالي ، ولما تحولت دجلة الى مجراها الحالي باتجاه الشرق أصبحت الصدور الاصلية للجدول في وسط مجرى دجلة فلم تترك لها اي أثر .

وخشية الاسهاب في هذا الموضوع نترك المواصفات والاثار التي كانت بالقرب من هذا النهر ولكن لا بد من الاشارة الى اسباب فشل مشروع النهر الجعفري وعوامله .

لقد اختلف المؤرخون في بحثهم عن مصير (النهر الجعفرى) وعن العوامل التي أدت الى فشله فمنهم من قال ان النهر لم يتم حفره فى عهد المتوكل وانه توقف العمل فيه بعد مقتله ، ومنهم من ذكر ان النهر قد تم حفره ، الا انه لخطأ ارتكب فى التصميم لم يحقق الغاية المتوخاة فكان جريه ضعيفاً .

وكان ياقوت من بين الذين دانوا بالرأي الاول ، فذكر ان المتوكل اشتق نهراً من دجلة (قدره للدخول الى الحير « الماحوزة » فمات قبل ان يتمم وحاول المنتصر تتميمه فلقصر ايامه لم يتمم ثم اختلف الامر بعده فبطـل وكان المتوكل

انفق عليه سبعمائة الف دينار) .

وقد أيد الطبري ذلك فذكر ان المتوكل عهد أمر النفقة على النهر الى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا وقد بوشر العمل في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ﻫ و كان دليل لم يزل (يعمل فيه ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب حتى قتل المتوكل فبطل النهر وأخربت الجعفرية ونقضت ولم يتم حفر النهر) (١) وكذا كان راي ابن الاثير فقد ايد توقف حفر النهر بعد مقتل المتوكل ، وتفسير ذلك انه لم يتم حفره في عهد المتوكل .

واليك نص ما كتبه ابن الاثير في هذا الصدد قال :

(في هــذه السنة (سنــة ٢٤٥ ﻫ) أمر المتــوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفرية واقطع القواد واصحابه فيها وجد في بنائها وأنفق عليها فيما قيل اكثر من الفي الف دينار وجمع فيها القراء فقرأوا واحضرها اصحاب الملاهي فوهب اكثر من الفي الف درهم وكان يسميها هو واصحابه المتوكلية وبنا فيها قصراً سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه وحفر لها نهراً يسقي ما حولها فقتل المتوكل فبطل حفر النهر وأخربت الجعفرية (٢)

ومن الذين خالفوا هذا الرأى اليعقوبي ، ومع انه بين ان النهر لم يتم حفره على الشكل المنتظر فقد افاد فى الوقت نفسه ان المياه جرت فيه في عهد المتوكل جريا ضعيفــاً .

وهذا ما كتبه بالنص قال : (قيل (للمتوكل) ان المعتصم قد كان على

---

(١) الطبري (٣ : ١٤٣٨) .

(٢) ابن الاثير الجزء السابع ص ٥٦

ان يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهراً قد كان في النهر القديم فاعتزم على ذاك وابتدأ النظر فيه في سنة ٢٤٥ هـ . ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينـة ..... الا ان النهر لم يتم امره ولم يجر الماء فيـه الا جريا لم يكن له اتصال ولا استقامة على انـه قـد انفق عليه شبيهـاً بالف الف دينار »

ولولا مشيئة الصدف التي قادت احمد بن يوسف الكاتب الى شرح تفاصيل قصـة النهر بمناسبـة ذكر اخبار يعقوب بن اسحـاق الكندي لبقي أمر فشل هذا المشروع سراً مجهولا . وخلاصة القصة هي انه كان يعقوب بن اسحق الكندي عظيم القدر عند الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم لما كان له من منزلة علمية جليلة ، وقد اشتهر في اضطلاعه بعلم الحساب والهندسة وطبائع الاعداد عدا العلوم الاخرى كالفلسفة والمنطق وعلوم النجوم والطب ، ولم يكن ينافسه على الشهرة التي حازها بالنسبة الى علم الهندسة والحساب غير ابي معشر ، وهـو جعفر بن محمد البلخي ، ولكنه لما دخل في المباراة مع الكندي فشل فاضطر الى العدول الى علم آخر غير علم الهندسة .

وقد شاءت الضروف ان تفسح للانانية الشخصية المجال لان تلعب دورها فانبرى شخصان من الحساد المتطفلين هما محمد واحمد ابنا موسى فدبرا مكيدة للكندي حتى غضب المتوكل عليه فضربه واخذ محمد واحمد كتبه باسرها وافرداهـا في خزانة سميت الكندية ، كما انهما دبرا في الوقت نفسه مكيـدة لسند بن علي الذي كان اختصاصيا في علم الهندسة أيضاً فاشخصاه الى بغـداد وباعـداه عن المتوكل .

ومكن هذا لهما ان يحتكرا الادعاء بعلم الهندسة رغم كونهما بعيدين كل البعد عن معرفة اصوله وتفرعاته ولما قرر المتوكل حفر النهر لايصال المياه به الى مدينته الجديدة المتوكلية كان طبيعياً ان يتقدم الى محمد واحمد بحفره ، ولما كانا مفتقرين الى الكفاءة الفنية لانجاز مثل هذا المشروع الجسيم اسندا امره الى أحمد بن كثير الفرغاني .

الذي لم يكن اوفر حظاً منهما فى قابلية انجاح مثل هذا المشروع ، فارتكب اغلاط فنية أدت من حيث الاساس الى فشل المشروع حيث لم تدخل المياه الى النهر فى غير أوقات الفيضان حين ارتفاع مناسيب مياه دجلة فقط ولما بلغ امر هذه الاغلاط مسمع المتوكل احضر سند بن على من بغداد فصارحه في امر مكيدة محمد واحمد عليه وطلب اليه ان يجري التحري على النهر الذي عهد أمر حفره اليهما وان يبين الخطأ الذي ارتكب فيه ليقوم باعدام محمد واحمد بعد الاستماع الى شهادته الفنية والتأكد من وقوع الخطأ الذي سبب انفاق الاموال الطائلة من دون جدوى . ولما تحقق لمحمد واحمد ان مصيرهما غداً معلقاً على حكم سند فى الموضوع لاذا به متوسلين اليه ان يعفوا عنهما او ينقذهما من الموت ، فاشترط سند قبل النظر في الامر ارجاع مكتبة الكندي فاجيب الى هذا الطلب في الحال ، ثم دبر سند خطة ينقذ بها محمد واحمد من المصير المحتم بعد ان ثبت لديه خطأهما ، وهي ان يخبر المتوكل بانه لم يقع أي خطأ في حفر النهر لأن الخطأ لا ينكشف الا بعد هبوط مستوى ماء نهر دجلة فى الصيف ، ولما كان الموسم موسم فيضان فقدر المدة التي يسحب فيها النهر المياه من دجلة اربعة اشهر ، اما بعد ذلك فلا بد من ظهور الخطأ بانقطاع المياه عن النهر ، فاذا بقي المتوكل فى قيد الحياة اوقع بثلاثتهم وان صدق

المنجمون بانه لم يدم الى هذا الحد افلتوا ثلاثتهم من العقاب . وهكذا فعل سند فأخبر المتوكل انه لم يكن هناك خطأ فى حفر النهر بدليل جريان المياه فيه ، وكان ان قتل المتوكل بعد شهرين فهجرت المتوكلية ومعها النهر فنجوامن العقاب .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان فشل هذا المشروع قدأدىالى نتائج خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ، ولعله كان من أقوى الاسباب التي حملت المنتصر على ترك مدينة المتوكلية بعد مقتل المتوكل والرجوع الى سامراء ، الامر الذى أدى اخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد .

ونظراً لما لهذه الرواية من أهمية تاريخية فيما يختص بمصير (مشروع النهر الجعفري) ونتائجه الخطيرة ارتأينا ضرورة نقلها بكامل نصها ليتسنى للقاريء ان يقف على تفاصيلها كما جاءت في النص الاصلي ، وهذه هي « قال ابو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب حسن العقبي حدثني ابو كامل شجاع بن اسلم الحاسب قال كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجها الى داره فاخذا كتبه باسرها وافرداهافى خزانة سميت الكندية ومكن هذالهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة(١) وتقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى فاسند أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني الذى عمل المقياس الجديد بمصر وكانت معرفته أوفى من توفيقه لانه ماتم له عمل قط فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفرى وجعلها اخفض من سائره فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل

(١) الآلات المتحركة : هي الات رصد النجوم المعروفة بالاصطرلاب

فسعى بهما اليه فيه فانفذ مستحثاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام فوافى فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى ان سند بن علي قد شخص أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة فدعا المتوكل بسند وقال له ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول الا وقد ذكراك عندي به وقد اتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه فاني قد آليت على نفسي ان كان الامر على ما وصفت لي اني أصلبهما على شاطئه وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما فخرج وهما معه فقال محمد بن موسى لسند يا أبا الطيب ان قدرة الحر تذهب حفيظته (١) وقد فرغنا اليك في انفسنا التي هي انفس اعلاقنا (٢) وما ننكر انا أسأنا والاعتراف يهدم الاقتراف فتخلصنا كيف شئت قال والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ولكن الحق أولى ما أتبع أكان من الجميل ما أتيتماه اليه من أخذ كتبه والله لاذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه وأخذ خطه باستيفائها فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها فقال قد وجب لكما عليّ ذمام (٣) برد كتب هذا الرجل ولكما ذمام بالمعرفة التي ترعياها في والخطأ فيّ هذا النهر يستتر اربعة اشهر بزيادة دجلة وقد اجمع الحساب على ان أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى وانا اخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر ابقاءاً على أرواحكما فان صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة وان كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجلة وتنضب أوقع بنا ثلاثتنا فشكر محمد وأحمد هذا القول منه

(١) الحفيظة : الغضب المكتوم في النفس

(٢) الاعلاق : الذخائر النفائس

(٣) الذمام : الذمة والحق

واسترقهما (١) به ودخل على المتوكل فقال له ما غلطا وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعا ﴾ (٢) .

نستخلص من الراوية هذه الأمور المهمة التالية : ـ ان النهر تم حفره وجرت المياه فيه لمدة شهرين وكان ذالك في موسم الفيضان قبيل مقتل المتوكل مباشرة . ولما كان قد وقع مقتل المتوكل في ٣ شوال ٢٤٧ هـ . فتكون مياه الفيضان قدجرت في النهر خلال شهرين شعبان ورمضان من سنة ٢٤٧ هـ . وهذا ولما كان قد بوشر بحفر النهر في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ . وجرت المياه فيه في أوائل شعبان من سنة ٢٤٧هـ كما تقدم فتكون المدة التي استغرقها العمل على حفر النهر تسعة عشر شهراً .

---

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً كالرقيق

(٢ جاء النص نفسه في كتاب (عيون الانباء في طبقات الأطباء)

قناة المتوكل

قبل ان نتطرق الى قناة المتوكل قد يكون من المفيد ان نعرض صورة لنظام ري الكهاريز وهو النظام الذى أتقنه الاقدمون من آشوريين و كلدانيين وفرتيين وساسانيين ومن بعدهم العرب فطبقوه في منطقــة سامراء كما طبقوه فى المناطق الشمالية .

والكهريز مجرى على شكل نفق تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من العيون هناك واسالتها الى الاراضي الزراعية سيحاً . والعادة ان تحفر آبار على مسافة معينة على طول النفق لرفع أتربة المجرى بواسطتها ، ثم تستعمل هذه الآبار كنوافذ هوائية الى النفق كما تستعمل أيضاً للنزول منها الى النفق اذا ما اقتضى نزحه أو تنظيفه من الترسبات والعوائق التي قد تحول دون جريان المياه فيه . وتغطي عادة هذه الآبار ببناء ذى باب عند فوهتها على الارض لمنع تسرب الاتربة الى المجرى الذى تحت الارض فتفتح الابواب للنزول الى المجرى عنـــد اللزوم . وتختلف المسافات بين بئر واخرى حسب طبيعة الارض ، فهي تتراوح من خمسة امتار الى عشرة امتار وتمتد الى عشرين متراً فى بعض الاحيان . وتسير هذه الآبار في اتجاه واحد الى مسافة طويلة وهي تدل على اتجاه الكهريز وطوله .

ويطبق عادة هذا النظام فى الاراضي الجبليـــة المتكونة من مواد متماسكة كالاحجار المتصلبة والصخور الممتزجة مع المواد الصلبة حيث تحول هذه المواد المتصلبة دون انسداد المجرى الجوفي (١) .

أما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع تارة وتنخفض طوراً ، فيسير المجرى فيها على شكل نفق تحت الارض فى الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على سطح الارض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة .

والكهريز تسمية محلية ، ولعلها أعجمية ، اطلقت فى العراق على المجرى الجوفي مدار البحث اما العرب فقد اطلقوا عليه اسم (القناة) وأطلقوا على الآبار التي على طول القناة (فقر) ومفردها (فقير) . وقد جاء في (المراصد) ان القناة وجمعها القنا آبار ينحرف بعضها الى بعض حتى يظهر ماؤها على جميع الارض ، ويظهر ان تسمية (قناة) فارسية الاصل حيث لا تزال هذه التسمية حتى الان مصطلح عليها في ايران للدلالة على الكهريز .

ومن المعروف ان بلاد فارس تعد موطن هذا النوع من المجاري الجوفية الا أننا نجد بان النظام نفسة متبع اليوم في سوريا ، وفي شرقي الاردن وعدن وقبرص كما هو متبع في المناطق الشمالية من العراق ، على انه علينا ان نقول بان تاريخ تطبيق هذا النظام يرجع الى اقدم اطوار المدينة الفارسية ، وان أعظم منظومة من هـذه المجاري الجوفية القديمة تقع في نواحي مدينة (يزد) الايرانية حيث يبلغ طول هذه المنظومة ما يربو على مائة وعشرين كيلومتر ، ومما يلفت النظر ان هذا المجرى يقع

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٧٢ و٢٧٣ و ٢٧٤ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ .

في بعض الاماكن على عمق يقرب من مائتين وأربعين متراً عن سطح الارض الطبيعية .

وعلى الرغم من محاولة الدعاة الايرانيين لنظام الري المكشوف ومساعيهم لاتخاذ هذا النظام كأساس للتوسع الزراعي في المستقبل ، فان نظام المجاري الجوفية لا يزال هو النظام الرئيسي المعول عليه في الزراعة هناك في الوقت الحاضر ، وان معظم الاراضي الزراعية فى ايران تروى اليوم بواسطة المجاري الجوفية (الكهاريز).

ومن جملة الاضرار التي يشير اليها دعاة نظام الري المكشوف هو ان نظام الرى الجوفي ، أي نظام ري الكهاريز ، قديم لايمكن معه تطبيق نظام الري الحديث والسيطرة على المياه التي تجري في الكهريز ، فهي تسيل دوما دون انقطاع وبذلك تحدث أضراراً جسيمة في الاوقات التي لاتوجد فيها حاجة الى المياه ، فتولد المستنقعات والاهوار وتضعف خصوبة الارض بتراكم الاملاح فيها .

ويدلنا التاريخ على ان العرب كانوا قد برعوا في الاعمال الهندسية منذ أقدم الازمنة ، وهناك ما يدلنا على انهم ثبتوا في كتبهم القواعد الاساسية لعلم الري والمساحة . ومن جملة كتبهم عن هندسة الكهاريز واستنباط المياه كتاب « انباط المياه الخفية » تصنيف أبي بكر محمد حسن الحاسب الكرخي (٤٠٧هـ - ١٠١٦م). الذى يبحث فى الامور المتعلقة بهندسة الكهاريز وبعلم المساحة والتسوية . ومن عجيب ما يلاحظه المرء في هذا الكتاب ان الاصول التى كانت متبعة في ذلك العهد لا تختلف بشيء عن الاصول المتبعـــة في أيامنا هذه الا بالوسائط والآلات التى انتجها التقدم العصري .

فالكتاب المتقدم ذكره يحتوي على معلومات قيمة عن كيفية حفر الكهاريز

وصيانتها وسائر الامور المختصة بالهيدرولوجية (علم خصائص الماء) . ويلاحظ القاريء في هذا الكتاب مصطلحات فنية غريبة أغلبها يرجع الى اصل فارسي .

وأهم ما نستدل به على اهتمام العرب بمشروعات الكهاريز واستنباط المياه الجوفية ما كتبه مؤلف الكتاب في مقدمة كتابه قال : « لست اعرف صناعة اعظم فائدة واكثر منفعة من انباط المياه الخفية التي بها عمارة الارض وحياة اهلها والفائدة العظيمة منها » .

ويختلف نظام الكهاريز الذي كان متبعاً في منطقة سامراء عن نظام الكهاريز الاعتيادي الذي تقدم وصفه في كون المصدر الذي كانت كهاريز سامراء تستقي منه المياه هو نهر دجلة وليس المياه الجوفية (العيون والينابيع) ، لذلك نجد أن الكهاريز المذكورة أقرب الى الجداول منها الى الكهاريز . من حيث اختلاف مناسيب المياه في النهر الذي يستمد منه الكهريز ايراده المائي في مختلف المواسم ومن حيث توافر الطمى والدهلة في موسم الفيضان .

وعلى هذا الاساس انشأ المتوكل قناته على شكل كهريزين ، احدهما ، وهو الكهريز الاسفل ، يستعمل في موسم الفيضان عندما تكون المياه مرتفعة ومشحونة بالطمى والاطيان الغرينية ، والآخر وهو الاعلى يستعمل في موسم الصيهود حين يهبط منسوب المياه في النهر ، وللتخلص من المياه الزائدة في موسم الفيضان بغية المحافظة على الكهريز الشتوي من الانهدام من جهة ، والوقاية ضد اخطار الغرق من الجهة الثانية ، انشأ مصارف خاصة لهذا الغرض ، فان القسم الاعلى من الكهريز الذي كان يمر بموازاة القاطول الاعلى الكسروي كان يصرف المياه الزائدة في الضفة اليسرى من القاطول المذكور ، فاما في القسم الجنوبي اي بعد ان يعبر الكهريز

مجرى القاطول فان المياه الزائدة تصرف في الضفة اليسرى لنهر دجلة . وللتخلص من الاطيان والدهلة أنشأ المتوكل أحواضاً واسعة على نمط جدول كبير مكشوف بين مسافات معينة على طول الكهريز الشتوي بغية حصر ترسب الدهلة فيها حيث يسهل رفعها من القعر الى سطح الارض . وتعرف هذه الاحواض بالانكليزية في علم الري باسم :

[SILT TRAPS]

أي صيادات الطمى ، أما في سامراء اليوم فيسمونها (دحادير) مفردها دحدورة أي الحفائر التي تنحدر اليها المياه ويمكن مشاهدة هذه الاحواض على طول القناة الشتوية وان الاتربة التي على اطرافها المتكونة من الحفريات الاصلية ومن تطهيرات الدهلة تؤلف تلولا عالية جداً مما يدل على كثرة الترسبات التي كانت ترفع منها بعد كل موسم من مواسم الفيضان .

يتضح مما تقدم ان الطريقة التي اتبعت في انشاء قناة المتوكل هي الطريقة المزدوجة حيث اتبعت الطريقتان ـ طريقة الري المكشوف وطريقة الرى الخفي ـ في انجازها ، على ان ذلك لا ينفي كون القناة اشبه بالجداول المكشوفة منها بالكهاريز الخفية على الرغم من انها اعتبرت من المنشئات الجوفية وسميت بالقناة .

وتوجد هناك قناة قديمة من نوع قناة المتوكل في منطقة سامراء ذاتها الا أنها تعود على ما نعتقد الى عهد قديم جداً ولعلها ترجع الى ما قبل عهد الفرس . وهذه كانت تتفرع من نهر دجلة ايضا في نقطة تقع قرب (الفتحة) على بعد حوالي مائة كيلو متر من شمالي سامراء ، فتسير شرقي دجلة الى مسافة طويلة على شكل كهريز حتى اذا ما اجتازت الاراضي المرتفعة ووصلت الى امام مدينة

تكريت ظهرت على شكل جدول مكشوف مسافة قليلة ، ثم تعود فتجري على شكل كهريز تحت الارض الى مسافة طويلة فى تلك المنطقة حتى تنتهي الى الاراضي السهلة المجاورة الى الملح في الحد الغربي من بحيرة الشارع . ويمكن تتبع آثار هذه القناة الى مسافة طويلة على الرغم من انها تختفي في كثير من اقسامها وهذا ما يؤيد بانها من أقدم الكهاريز التي انشئت في هذه المنطقة .

ولا شك فى ان مشروع قناة المتوكل يعد من اعظم مشاريع الري ، التي انشئت على عهد العباسيين في منطقة سامراء ، ان لم يكن اعظمها . ويكفي ان نشاهد سعة القناة وهي تمر فى الاقسام التي تظهر به على سطح الارض على شكل جدول مكشوف ليتسنى لنا ان نتصور جسامة هذا المشروع فان الجدول الذي يظهر على سطح الارض، شمالي (الدور) وهو جزء من الكهريز الشتوي لا يقل حجمه عن حجم النهروان نفسه ، كما ان المصرف الذى يصرف مياه الفيضان من القناة الى دجلة قرب (سور أشناس) لا يقل حجماً عن حجم أي جدول واسع . أما طول القناة التي تمتد به على شكلها المزدوج فيبلغ حوالي خمسين كيلومتراً .

تبدأ قناة المتوكل على شكل كهريزين يتفرعان من الجانب الشرقى لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد نحو اربعين كيلومتراً من شمالي سامراء ، ويسير هذان الكهريزان مسافة بضعة كيلومترات موازيين الى نهر دجلة ، ثم يظهر الكهريز الشتوى على شكل جدول واسع مكشوف مسافة كيلو مترين تقريباً من (الدور) عاد فاختفى واستمر فى مجراه الى جانب الكهريز الصيفي ويخترق الكهريزان بعد ذلك (ناحية الدور) ثم يسيران جنوبا بموازاة ضفة القاطول الكسروى الشرقية جنوبا حتى اذا ما بلغا مسافة نحو عشرين كيلومتراً من جنوبي (الدور) ظهرا على شكل

الارض على شكل جدولين مكشوفين ، فيسيران على هذا الشكل بضعة كيلومترات ثم ينعطفان الى الغرب فيتحدان عند الكيلومتر (٢٢) من القاطول الكسروي في نقطة تقع امام سور اشناس من الشرق ويعبران في المكان المعروف بـ (فكة مرير) أو (المفك) من فوق القاطول على عبارة موحدة تنتهي الى حوض واسع على ضفة القاطول الغربية . وفي هذا الحوض شعبة تقاسيم مهمة تبدأ منها تفرعات كثيرة أهمها القناة الرئيسية التي توصل المياه الى سامراء ، وهذه تسير على شكل كهريزين أيضاً حتى تنتهي الى سامراء ، ويتفرع من هذا الحوض ايضاً مصرف واسع يبلغ عرضه حوالي ٢٠ متراً يعرف باسم نهر (مرير) فيصرف مياه القناة الزائدة الى دجلة في موسم الفيضان .

ويسير هذا المصرف باتجاه الغرب فيترك (سور اشناس) الى يمينه ثم ينتهي الى نهر دجلة . أما طول المصرف بين حوض التقسيم ودجلة ، فيبلغ حوالي ثلاثة كيلومترات بين صدره عند حوض التقسيم و (سور اشناس) . ويبلغ منسوب قعره في الصدر ، أي عند حوض التقسيم ، ٦٠ ر ٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط عند نهايته عند سور اشناس الى ٦٨ ر ٧٠ متراً . ويستدل من الآثار المتقدمة على انه كان صدر هذا المصرف ناظم تنظم بموجبه كمية المياه التي تصرف الى دجلة حسب مقتضي الظروف . ويظهر مما ورد فى وصف البحتري أن المصرف المذكور كان يعرف بـ (الخندق) .

والاعتقاد السائد أن مصرف (مرير) هذا صدر من صدور النهروان أي انه يتفرع من نهر دجلة ويصب فى القاطول الكسروي ، في حين ان المناسيب تثبت للمختصين بالري بانه ينحدر من القاطول نحو دجلة بانحدار ١ في ٣٠٠٠ كما يتضح من المناسيب

المذكورة ، ولعل السبب الذى أدى الى هذا الاستنتاج هو ان المصرف يبلغ من السعة في الحجم والارتفاع فى الضفاف ما يضاهي بهما جدول النهروان نفسه ، وفضلا عن ذلك أن صلة هذا المصرف بقناة المتوكل لم تخطر على البال .

والغريب ان الخرائط الانكليزية سمت هذا المصرف (نهر حلوة) وقد نقلت خرائطنا العربية هذه التسمية ايضاً ، في حين انه لايوجد مثل هذا الاسم في كل هذه المنطقة . وتدل المستويات التي رصدت فى هذا المكان على ان منسوب قعر مجرى القاطول الكسروي فى المكان الذي تعبر من فوقه عبارة القناة يبلغ ٩٨ ر ٦٨ متراً فوق سطح البحر نستلخص من مناسيب قعر القناة في القسم الذي تظهر فيه على شكل جدولين مكشوفين قبل اجتيازها العبارة أن منسوب قعر العبارة التي كانت تعبر عليها القناة من فوق القاطول يبلغ حوالي ٥٠ ر ٧١ متراً ٧٢ متراً فوق سطح البحر ، أي أن منسوب قعر العبارة كان اعلى من منسوب قعر القاطول بحوالي ٥٠ ر ٣ الى ٤ أمتار .

أما القناة التي كانت تتفرع من الحوض وتتجه نحو سامراء فكانت تمون مسجد الملوية بالمياه كما انها كانت تمون حلبة السباق أو ساحة الفروسية في منطقة الحير بالمياه عن طريقة الخندق الذي يحيط ب (تل العليق) وهو التل الاصطناعي المرتفع الواقع شمالي سامراء والذي كان يشرف على الحلبة ، وأخيراً كانت القناة تمون بركتي قصر الخليفة بالمياه ايضاً ولتحقيق هذه الاهداف شقت كهاريز فرعية من القناة الاصلية تتصل بكل من هذه الاماكن لايصال المياه اليها .

أما الكهريز الفرعي الذي ينتهي الى (تل العليق) فيتشعب من شرقي القناة الرئيسية في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومتراً من جنوبي حوض التقسيم

ويتجه الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى ينتهي الى الجهة الشمالية الغربية من الخندق الذي يحيط بـ (تل العليق) وهو التل الذي يقـع فى الجهة الشمالية من جامع الملوية ، والجبهة الشمالية الشرقيه من بيت الخليفة .

ويشاهد كهريز فرعي آخر يخرج من الخندق الذى يحيط بالتل من الجهة الجنوبية الغربية منه فيسير باتجاه الجنوب الغربي حتى ينتهي الى القناة الرئيسية . ويظهر ان هـــذا الكهريز كان يعيد المياه الزائدة التي تتجمع فى الخندق الى القناة الرئيسية .

وكانت القناة الرئيسية التي تتجه نحو سامراء تمر من قرب (بيت الخليفة) من شرقيه فتمون بركتيه بالمياه . وتقع البركة الاولى فى الجهة الشرقية الخلفية من (بيت الخليفة) في اتجاه محور الايوان الكبير على بعد نحو ستمائة متر منه . وقد سميت هذه البركة باسماء مختلفة منهـــا (الزندان) و الهبية) أي الهاوية و (هاوية السباع) وهي تتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر يبلغ عمقها اكثر من عشرة امتار ، وطول ضلعها نحو واحد وعشرين متراً ، ويتوسط هـــذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة تستمد مياهها من الكهريز الفرعي ، الذي يتشعب من القناة الرئيسية ، وعلى الارجح ان الحفرة كانت مسقفة فنظمت على شكل سرداب بغية منع دخول الشمس والهواء الحار اليهـــا وقد نقرت في كل ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش جصيـة جميلة ، وكل هذه الاواوين تطل على البركة التي في وسط السرداب ، وكان المدخل الى السرداب مؤلفاً من درجين منتظمين متصلين بدهليز منتظم وكان يقع هذا المدخل في غرفة جميلة نقشت على جدرانها سلسلة جمال ، وكانت هذه الغرفة

جزء من الاواوين التي تحيط بالسرداب من جهاته الاربع .

وكيف كان فان الدكتور سوسة يميل الى الاعتقاد بان هذه البركة انشئت لتحقيق غايتين أولاهما تأمين حوض سباحة للخليفة والاخرى تأمين ملجأ صيفي يقضي فيه ساعات الحر فى ايام الصيف المحرقة .

والظاهر ان المتوكل لم يكتف بهذا المخبأ الذي اقتصر استعماله على اوقات النهار فاعتزم انشاء بركة اخرى على شكل بركة ليلية مكشوفة يقضي فيها جلساته الغروبية والليلية . وقام بذلك فعلا فانشأ بركة أوسع وأعمق من بركة السباع المغطاة وذلك في الجهة الشمالية الغربية منها ، وهذه البركة المكشوفة منقورة فى الصخر ايضاً وتقع في وسط حفرة مدورة يبلغ قطرها نحو مائة وخمسة عشر متراً ، اما قطر البركة فيبلغ نحو ثمانين متراً .

وكانت هذه الحفرة على ما يظهر من الآثار المتبقية محاطة ببنايات كثيرة التقسيمات ، ويعتقد هرتسفلد ان البناية التي في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة كانت الخزانة العامة . وكانت البركة تستمد مياهها من بركة السباع في كهريز يمتد بينهما ، وتشاهد بين البركتين بئر مربعة الشكل تتصل بالكهريز المذكور لعلها كانت منفذاً للدخول منه الى الكهريز لتنظيفه عند الحاجة أو للوقوف على مستوى المياه في الكهريز منها والارجح انها انشئت بقصد استقاء الماء منها لغرض الشرب أو لحاجات أخرى تتطلبها اعمال القصر . لأن شكلها المربع يجعلها تختلف عن المنافذ الاعتيادية التي على خطوط الكهاريز . اما المياه الزائدة التي كان لابد من صرفها الى مكان واطيء فكانت تصرف الى نهر دجلة فى كهريز آخر يبدأ من حافة البركة

الاخيرة وينتهي الى دجلة (١) .

والظاهر ان قناة المتوكل لم تقف عند حد قصر الخليفة لان آثارها تدل على انها كانت تسير نحو سامراء فتمون المسجد الجامع الكبير الذي يقع شرقيها ، ومن ثم تمتد بكهريزيها المزدوجين الى (المطيرة) جنوبا ومنها الى جهة مجرى القائم الى مسافة غير قليلة بموازاة الضفة اليسرى من ذلك المجرى .

ولا تزال الكهاريز التي كانت تمر من مدينة سامراء عامرة معظمها يقع تحت بيوت سامراء الحالية ويستعمل أهالي سامراء بعض هـذه الكهاريز لصرف مياه الامطار فيها او صرف بعض المياه القذرة في بعض المحلات .

ولعل القصد من تمديد القناة الاخير ايصال المياه الى حير الحيوانات الذي اعتزم المتوكل انشاءه بين القاطول الاعلى الكسروي ومجرى القائم ثم عدل عن ذلك بعد ان اتضح له امكان احياء نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وايصال المياه الى هذه المنطقة سيحاً ، وهو النهر الذي قام باحيائه فعلا فسمي (نهر نيزك) وكان عدا قناة سامراء الذي تبدأ من حوض التقسيم عند فكة مربر وتنتهي في جنوبي سامراء نهران صغيران يتفرعان من نفس الحوض احدهما يسير غربا لمسافة حوالي كيلومترين في اتجاه (سور اشناس) وهو يلاصق الحافة اليمنى لمصرف مربر ، والثاني يسير شرقا على محاذاة الضفـة اليمنى لمجرى القاطول الأعلى الكسروى وملاصق لها ثم ينتهى عند صدر نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول عند الكيلومتر (٣٠) منه . وبقع عند الكيلومتر (٥٥٫٠٠) من النهر الثاني قصر مرتفع يعرف موضعه اليوم باسم (الدكة) وقد بني هذا القصر

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

على حافة القاطول الكسروي اليمنى فيطل على القاطول من جهة ويشرف على سامراء من الجهة الثانية . أما النهر الذي يقع القصر عليه فكان يمر من تحت القصر في عقادة من البناء . وتوجد آثار قنطرتين على النهر ، قنطرة شرقية وقنطرة غربية يقع كل منهما على مسافة خمسين متراً من القصر كما انه توجد بركة صغيرة أمام القصر من الجنوب تعرف اليوم باسم (المكن) كانت ولاشك تستمد مياهها من النهر نفسه .

وكان أمام هذا القصر ساحة واسعة محاطة بسور مستطيل لاتزال آثاره ماثلة للعيان فيبلغ طول ضلعه الطويلة كيلومترين ونصف كيلومتر وطول ضلعه القصيرة كيلومتر ونصف كيلومتر .

وفي النهر المذكور الذي ينتهي في القصر انحدار شديد فيبلغ انحداره من واحد في الألف ، وقد دلت التحريات التي قام بها الدكتور سوسه ان منسوب قعره في آخر الكيلومتر الاول منه يبلغ ٧١ر٦٠ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط الى ٦٥ر٢٠ متراً عند الكيلومتر الثامن منه .

البركة الجعفرية

من الاعمال الجليلة التي قام بها جعفر المتوكل (البركة) التي تقع امام قصر الحير الذي تقدم ذكره والبركة هذه تسمى (البركة الجعفرية) التى وصفها البحتري في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها (يا من رأى البركة الحسناء) :

وتعد هذه القصيدة في وصف البركة الجعفرية من أشهر وأبلغ المنظوم في تاريخ الادب العربي حتى قيل انه سمع عبد الله بن المعتز يقول (لو لم يكن للبحتري من الشعر الا قصيدته (١) السينية فى وصف ايوان كسرى وقصيدته في وصفه البركة لكان أشعر الناس في زمانه) وفيما يلي ما أنشده البحتري في صفة البركة قال : (٢)

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات اذا لاحت مغانيها

يحسبها انها فى فضل رتبتها ... تعد واحدة والبحر ثانيها

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها ... في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها

أما رأت كالىء الاسلام يكلأها ... من ان تعاب وباني المجد يبنيها

كأنْ جن سليمان الذين ولوا ... ابداعها فادقوا في معانيها

---

(١) مقدمة تاريخ بغداد — للخطيب البغدادي ص ٩١ : المطبعة الفرنسية — ١٩٠٤

(٢) ري سامراء ج ٢ ص ٣٠٦ و٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و٣١٠ و ٣١١ و٣١٢ و ٣١٣

فلو تمر بها بلقيس عن عرض　　قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها

تنصب فيها وفود الماء معجلة　　كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة　　من السبائك تجري في مجاريها

اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا　　مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها　　وريق الغيث أحياناً يباكيها

اذا النجوم تراءت في جوانبها　　ليلا حسبت سماء ركبت فيها

لا يبلغ السمك المحصور غايتها　　لبعد ما بين قاصيها ودانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحة　　كالطير تنقض في جو خوافيها

لهن صحن رحيب في اسافلها　　اذا انحططن وبهو في اعاليها

صور الى صورة الدلفين يؤنسها　　منه انزواء بعينيه يوازيها

تغني بساتينها القصوى برؤيتها　　عن السحائب منحلا عزاليها

كأنها حين لجت في تدفقها　　يد الخليفة لما سال واديها

وزادها رتبة من بعد رتبتها　　ان اسمه يوم يدعى من اساميها

محفوفة برياض لا تزال ترى　　ريش الطواويس تحكيه وتحكيها

ودكتين كمثل الشعرتين غدت　　احداهما بازاء الاخرى تساميها

اذا مساعي أمير المؤمنين بدت　　للواصفين فلا وصف يدانيها

وقد وصف لنا البحتري أيضاً فى مكان آخر من قصائده الدواليب التي كانت على البركة فيديرها النعام ، فقال وهو يشير الى الجدول الذي ينتهي عند البركة

واذا ما توسط البركة الحسناء　　القت عليه صبغ الرخام

فتراه كأنه ماء بحر　　يخدع العين وهو ماء غمام

والدواليب ان يدرن ولا ناضح   يمشي بهن غير النعام
بدع انشئت لأولي عباد الله   بالركن والصفا والمقام

وقد تطرق البحتري الى دكتي البركة والقصر الذي خلفها في قصيدة اخرى يمدح بها المتوكل قال :

وأرى الدكتين بينهما أطراف روض كالوشي في الوانه
في ضروب من حسن نرجسه الغض ومن آسه ومن زعفرانه
ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه
فيه نال الامام تكرمة الله وفضل العطاء من احسانه
نسأل الله ان يتم فينا   حسن أيامه وطيب زمانه

نستلخص من وصف البحتري الحقائق الملموسة التالية :

١ ـ ان البركة كانت تسمى (البركة الجعفرية) نسبة الى منشئها جعفر المتوكل وقد اطلق البحتري عليها اسم (البركة الحسناء) .

٢ ـ ان البركة كانت على مسافة قريبة من دجلة وكانت محفوفة ببساتين ورياض تتناجى فيها الطواويس على اغصان الاشجار التي كانت في الحديقة .

٣ ـ كان للبركة حوض راسع (صحن رحيب) في أسفلها وكان يطل على هذا الحوض بهو مرتفع .

٤ ـ ان تمثالا للدلفين (دابة بحرية) كان منصوبا على احدجوانبها والارجح انه كان أمام الصحن .

٥ ـ كانت في البركة دكتان محاطتان بالاشجار تقع الواحدة ازاء الاخرى كما كان هناك مغان (مقصورات) تطل على البركة .

٦ ـ كان على البركة دواليب تديرها النعام

٧ ـ كان في البركة أسماك (الارجح انها اسماك زينة ملونة) .

٨ ـ كان هناك نهر يسمى (نهر نيزك) يدخل البركة من وسطها فيغذيها بالمياه . والمياه كانت تجري فيها بسرعة متناهية كالخيل التي في حلبة السباق ، وكذلك يدل على انه كان مخرج للمياه يساعد على احداث هذا الجريان السريع واستمراره .

٩ ـ كان هناك قصر ملكي يطل على البركة .

واذا تتبعناتفاصيل تصميم البركة من آثارها المتبقية ، نجد انها تتكون من منخفض (١) اصطناعي مربع الشكل ، يبلغ طول كل من اضلاعه زهاء مائتي متر ، وعمقه عن مستوى الارض المجاورة ثلاثة أمتار على وجه التقريب . ويحد المنخفض من الغرب والشرق تلان اصطناعيان مرتفعان يمتدان على طول الضلعين الجانبيتين بعرض يتراوح من ٣ الى ٥ امتار ، والظاهر ان أتربة هذين التلين حملت من حفريات البركة فتألف منها كتفان عاليان للمنخفض مما زاد في جمال منظر البركة وتنسيقها ويحد المنخفض من الجنوب القصر الذى تقدم وصفه . اما من جهة الشمال فيتوسطه نهر نيزك الذي ينحدر من الشمال وينتهى عنده بعد ان يخترق حديقة الحيوانات من وسطها وفي داخل البركة تقسيمات تتكون من احواض متناسقة تمتد على عرض البركة بصورة متوازية كانت على ضفافها الاشجار المظللة . كما نجد في داخل البركة ايضاً دكات للجلوس تمتد على عرض البركة من الجانبين (الجانب الغربي والجانب الشرقي) عددها في الجانب الشرقي أربع وفي الجانب الغربي ست

---

(١) القول للدكتور احمد سوسة

وأخيراً الصحن الواسع فى أسفل البركة الى الجنوب . ويشاهد فى مدخل البركة من جهة الشمال نهر نيزك يتوسط البركة فيجري فى وسطها والاحواض تتفرع من جانبيه حتى تنتهي الى الصحن الاسفل . كما تشاهد الدكتان المتقابلتان اللتان ذكرهما البحتري فيبلغ عرضهما ٣٥ متراً وطول كل منهما تسعين متراً . ويشاهد ايضاً الصحن الواسع الذي في أسفل البركة . وهو الصحن الذي أشار اليه البحتري متكوناً من حفرة عميقة يبلغ عرضها ٧٥ متراً وطولها مئة متر تقريباً . كما يشاهد البهو الذي ذكره البحتري في أعالي الصحن من الجنوب وهو يقع أمام القصر بين البركة والقصر ، ويبلغ عرضه خمسين متراً وطوله ١٢٥ متراً على وجه التقريب ، وهنالك أيضاً آثار المقصورات التي نوه عنها البحتري وهي تقع على الحد الشمالي للبهو فتشرف على الصحن الاسفل للبركة ومن المهم ان نشير أخيراً الى التنظيمات الخاصة بصرف المياه من البركة ، وهي التنظيمات التى كانت تحقق جريان المياه بالسرعة التي نوه عنها البحتري ، لأن مسيل المياه بمثل هذه السرعة لا يمكن ان يتم الا اذا توفر مخرج ذو انحدار كبير يصرف مياه البركة . وهذه التنظيمات كما نشاهد آثارها المتبقية ، تتكون من كهريزين يخرجان من قعر البركة من حدها الجنوبي فيسير أحدهما بموازاة الجانب الغربي لساحة التل جنوبي القصر مخترقاً قطيعة رجال حاشية القصر فى تلك الجهة ثم ينصب في الضفة اليسرى من نهر القائم ، ويسير الثاني بموازاة الجانب الشرقي لساحة التل مخترقاً القطيعة التي في ذلك الجانب ثم ينصب في نهر القائم ايضاً .

ويمكن تتبع المجرى الذي تحت الارض في الكهريز الاول لمسافة مائة متر تقريباً وذلك من جهة مصبه في نهر القائم حيث جرفت السيول بعض الأتربة من

فوقه فأنكشف معظمه في ذلك القسم وأخذت مياه السيول تجري فيه فتنصب في نهر القائم .

واذا تمعن المرء في تقسيمات هذه البركة وتنسيقها ، وتصور في مخيلته موقعها الجميل في وسط تلك الحدائق والمشتملات الاخرى كالدواليب التي يديرها النعام والاسماك الملونة فى وسط مياه البركة والدكات ذات الاشجار المظللة والطواويس تتناجي فوقها والحديقة الواسعة ذات الاشجار المتشابكة بحيواناتها الوحشية على مختلف انواعها بعضها سجين في الاقفاص والبعض الاخر حر طليق ثم يتصور نهر نيزك وهو يتوسط هذه البقعة الجميلة المحاطة بسورها الطويل احاطة السوار بالمعصم ، تجلت له عظمة الفن الهندسي وانكشفت أمامه قابلية الانسان في تذليل الصعاب واتضح له ما يستطيع ان ينتجه المرء من اعمال الابداع والابكار في تحقيق التمنيات .

جامع أبي دلف

تعد بقايا (جامع أبي دلف) القائمة الى الجنوب من منطقة دار الخلافة في الحد الشمالي من الشارع الاعظم من ابرز الخرائب في منطقة المتوكلية ، على ان الآراء اختلفت في تعيين تاريخ انشاء هذا الجامع ، فهل كان تابعاً لمدينة المتوكلية فيكون قد أقامه المتوكل أو كان قد انشىء قبل عهد المتوكل .

أما الجامع فيشبه المسجد الجامع الكبير الذى بناه المتوكل في سامراء في أول طريق الحير شبهاً كبيراً ، فهو مستطيل الشكل أيضاً طول ضلعه الكبرى (الممتدة من الجنوب الى الشمال) ٢١٦ متراً وضلعه الصغرى (الممتدة من الشرق الى الغرب) ١٣٨متراً فتكون مساحته السطحية زهاء (٣٠٫٠٠٠) متر مربع وفي وسط الجامع صحن مكشوف مستطيل أيضاً طول ضلعه الكبرى (١٥٦) متراً وضلعه الصغرى (١٠٢) أمتار فتكون مساحته السطحية (١٦٫٠٠٠) متر مربع .

وتحيط بالصحن من جوانبه الاربعة اروقة ، وقد انشئت الى جانبه مئذنة ملوية الشكل أيضاً ذات مرقاة خارجية يبلغ ارتفاعها عن مستوى التبليط حتى القمة المتهدمة نحو ١٩ متراً ، اما ارتفاعها قبل ترميمها فيبلغ نحو (٢٥) متراً .

---

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

ويبلغ عدد الاروقة فى القسم القبلي سبعة عشر رواقاً في كل راوق خمسة أقواس تتجه من الجنوب الى الشمال كما يبلغ عدد الاروقة في الضلع الشمالية المقابلة للقسم القبلي سبعة عشر رواقاً أيضاً يتألف كل رواق من ثلاث أقواس تمتد نحو الجنوب والشمال . ويبلغ عدد الاروقة فى كل من الضلع الشرقية والضلع الغربية تسعة عشر رواقاً في كل رواق قوسان تمتد نحو الشرق والغرب .

ويبلغ عدد الابراج فى جدران الجامع ٤٢ برجاً منها أربعة أبراج مستديرة تقع فى الاركان الاربعة للجامع يبلغ قطر كل منها ٣٫٦٠ متراً . وفي الجدران ثمانية عشر باب تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة اكبرها ثلاثة أمتار وسعة أصغرها متراً واحداً ومن هذه الابواب ثلاثة في الضلع القبلية وثلاثة في الضلع الشمالية المقابلة للضلع القبلية وستة أبواب متناظرة في كل من الضلعين اللتين في الشرق والغرب .

ويحيط بالجامع سور خارجي يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع في الشرق والشمال والغرب عرضة (١٠٨) أمتار أما فى الجنوب فينخفض عرض الفضاء الى ٣٠ متراً تقريباً والسور مشيد باللبن ومكسو من وجهية الداخل والخارج بكساء من الجص ثخين ومدعم بابراج نصف دائـرية مشيدة باللبن والآجر ومكسوة بالجص أيضاً ، أما ثخن السور فيتراوح من ١٫٦٠ الى ١٫٨٠ متراً .

وقد دلت تحريات هرتسفلد فى سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ان الضلـع الكبرى تبلغ ٣٦٢ متراً والضلع الصغرى ٣٥٠ متراً فتكون بذلك مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه تربي على خمسين دونماً عراقياً .

وقـــد تداعى معظم هذا السور واصبح بهيئة خطوط من كثبان الا

السور الشمالي الذى تقع أمامه المئذنة الملوية فانه لا يزال قائماً يصل علوه في بعض النقاط الى نحو سبعة امتار .

وتوجد داخل هذا السور بين جدران المسجد وبين السور آثار ابنيـــة قديمة تدل على انه كانت حوالي المسجد أبنيـــة للمدارس الدينية ولسكنى الطلبة الذين كانوا يسكنون هناك مثل الابنية التي شيدت في خارج مسجد سامراء بين السور الخارجي وجدران المسجد . وتشاهد آثار بناية واسعة مشيدة بالآجر واقعـة خلف المحراب مباشرة يحتمل انها من جملة الابنية المخصصة للغرض المذكور .

وقد اختلف المؤرخون في تعين تاريخ انشاء هذا الجامع ، غير انه من من المعلوم ان المنطقة التي يقع فيها كانت خالية من البناء في زمن المعتصم . كما انه من المعلوم أيضاً ان الجامع يقع داخل مدينة المتوكلية في موضع متوسط بين أبنية دار الخلافة وقصور الخليفة من جهة وبين القطائع والدور من الجهة الاخرى ، وهو بذلك أقرب الى دار الخلافة منه الى انحاء المدينة فليس من المنطق اذن ان يكون قد أنشيء هذا الجامع في زمن غير زمن المتوكل لانه يكون جزء لا يتجزأ من مدينة المتوكلية الجديدة ، ولا شك انه انشيء ليحل محل جامع سامراء الكبير بعد ان تقرر نقل العاصمة الى المتوكلية . وكان ذلك امراً طبيعياً تدعو اليه الضرورة الماسة نظراً لبعد المسافة بين جامع سامراء الكبير ومدينة المتوكلية الجديدة البالغة حوالي ٢٥ كيلومتراً اذا ما قيست بين جامع سامراء واقصى الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية حيث تقع دار الخلافة وقصور الخليفة .

والدليل على ان جامع أبي دلف شيد فى نفس الوقت الذي شيدت فيـه

مدينة المتوكلية ليحل محل جامع سامراء الكبير ان هناك شارعا واسعاً موازيا الشارع الاعظم من الغرب يبدأ من الحدود الجنوبية لمدينة المتوكلية . وبعد ان يخترق أبنيتها ينتهي الى الجامع المذكور . كما ان هناك ساحتين واسعتين الى الشمال والجنوب من الجامع تتفرع منهما الشوارع الى الشرق والغرب والشمال والجنوب مما يدل على ان الجامع كان جزءاً من تخطيط مدينة المتوكلية التي انشأها المتوكل .

ومما يؤيد ذلك أيضاً قول البلاذري ان المتوكل احدث المتوكلية (وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً) فيستدل من ذلك ان مدينة المتوكلية كانت تشمل كل المنطقة التي على محاذاة نهر دجلة بين الدور (دور العرباني) من الجنوب وبين آخر حدود دار الخلافة من الشمال . ولما كان جامع ابي دلف يتوسط هذه المنطقة فلامجال لتغيير الرأي القائل بان جامع أبي دلف من عمل المتوكل ، وهو نفس الجامع الذي يشير اليه البلاذري ، ولا سيما ان الدكتور احمد سوسة لم يعثر أثناء تحرياته للابنية الواقعة داخل السور الذي يضم دار الخلافة وقصور الخلافة على أي اثر لجامع أومئذنة هناك (١).

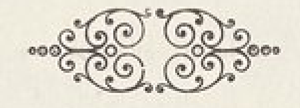
ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان البحترى لما وصف مدينة المتوكلية أشار ضمناً الى وجود جامع فيها والى وجود منبر فى الجامع اعتبره جديد الانشاء ، وان الاولياء كانوا يلتقون في فناء ذلك المنبر أثناء صلاتهم ايام الجمع فقال وهو يصف المتوكلية :

وفسيحة الاكناف ضاعف حسنها	بر لها مفض وبحر مترع
قد سر فيها الاولياء إذ التقوا	بفناء منبرها الجديد فجمّعوا

---

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٦٠٥

ومما يؤيد ان الجامع المذكور هو جامع أبي دلف نفسه ان دائـرة الآثار العراقية اهتدت اثناء تنقيباتها في ابنية الجامع الى وجود محرابين هناك يقع احدهما على ظهر الآخر وعلى رأيها انه يحتمل ان الاول مشيد عنـد التأسيس وبعد اكمال تشييد الجامع وجدت ضرورة لتصغيره حيث انشيء منبر جديد يشغل جزء من المحراب الاول . ولعل ذلك هو السبب الذي حمل البحتري على أن يطلق على المنبر اسم (المنبر الجديد) باعتبار انه انشي بعـد مضي بعض الوقت على انشاء الجـــامع .



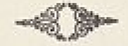
كرخ سامراء

لما بنى المعتصم مدينة سامراء قسمها الى احياء وقطائع أسكن في كل حي صنفاً من جيشه وعني بعزل الجيش ودواوين الحكومة عن الاهلين .

ويدل تخطيط المدينة على براعة فائقة في هندسة تخطيط المدن كما ان فيه كثيراً من الابتكار كما يتجلى ذلك في تنظيم الشوارع والمساكن وتنسيق الابنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والارصفة وغيرها . وقد بلغ طول البناء الذي اقيم في زمن المعتصم زهاء اربعة فراسخ (٢٩ كيلومتر) فرسخان من شمال مكان مدينة سامراء الحالية وفرسخان (١٠ كيلومترات) من جنوبه وقد مدت عدة شوارع عامة متوازية على طول هذه المسافة كما مدت دروب عدة عن يمين ويسار هذه الشوارع للاتصال بين شارع وآخر وأقيمت البنايات والدور والقطائع والاسواق والعمارات بين الشوارع العامة . وعزل المعتصم قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معتزلين عنهم ولا يجاورهم الا الفراغنة ، واقطع اشناس واصحابه في آخر البناء من الشمال في الموضع المعروف بـ (الكرخ) أو (كرخ سامراء) ولاتزال آثار هذه القطيعة وبقايا ابنيتها يمكن مشاهدتها على بعد حوالي عشرة كيلومترات من شمال مدينة سامراء الحالية حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة

امتار ويعرف بـ (سور اشناس) قائماً في ذلك المكان ويضم آكاما يستدل من تناسب مظهر ها انها بقايا قصر كان قد انشيء ضمن السور . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان الموضع (كان يقال له كرخ فيروز بن بلاش بن قباذ الملك وهو اقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الى الان باق عامر وخربت سامراء كان الاتراك الشبلية ينزلونه فى أيام المعتصم وبه قصر اشناس مولى المعتصم وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الارض ، وزعم بعضهم انه كرخ باجدا ومنه الشيخ معروف بن الفيرزان الكرخي الزاهد) .

ويلي هذا السور سور يماثله يقع في الجهة الشمالية الغربية منه يعرف باسم (سور الشيخ ولي) وفى داخل هذا السور بقايا بعض البناء وتسمى البقعة التي يقوم فيها السور باسم (الزنكور) وكلمة زنكور فارسية معناها (مقام النساء) فاذا جاز لنا ان نبني على هذا المعنى رأيا حول هذا المكان القول انه كان يشتمل على الابنية لعوائل القواد والجيش .



الدور

الدور . جمع دارة . والدارة . المحل والقبيلة ، وكل أرض واسعة بين جبال والدار الحد الشمالي لمدينـــة سامراء العباسية ، وكان يعرف بـ (دور العرباني) أو (دور عربايا) مساكن العرب : لتميزه عن مكان آخر يقع فى نفس المنطقة ومعروفة باسم الدور أيضاً والأخير يقع على بعد عشرين كيلومتر تقريباً من دور العرباني شمالا ، وقد ذكره المؤرخ الروماني اميانيس في اخبار تقهقر الجيش الروماني بعد مقتل جوليان بقيادة الانبراطور جوفيان الذي اعقبه واطلق على هذا المكان اسم (دورا) وهي من الالفاظ الآشورية البابلية التي تعني القلعة او الحصن ، وسماه ابن سرابيون دور الحارث كما سماه ياقوت الحموي دور تكريت لتميزه عن دور العرباني وقد اطلق ياقوت على مكان دور تكريت أيضاً اسم (الدور الاعلى) وذكر انـه معروف بالخربة وهو اسفل قرية هاطري الواقعة جنوب تكريت ، غير ان ابن حوقل اعتبر ان هنـاك مكانين قريبين من بعضهما أولهما يسمى (دور العرباني) والثاني (دور الخرب) وذكــر البلاذري (ان أمير المؤمنين المعتصم بالله انزل اشناس مولاه فيمن ضم اليه من القواد كرخ فيروز ، وانزل بعض قواده الدور المعروفة العرباني) وقد أشار المقدسي الى مكان آخر في سامراء باسم الدور أيضاً

سماه (الدور الجامعين) من مدن سامراء ولعل هذا المكان هو (دور العرباني) الذي في كرخ سامراء . وقد ذكر محب الدين ابن الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني في كتابه (شرح القاموس المسمى تاج العروس الجزء الثالث صفحة ٣١٧) هذا المكان باسم (دور سامراء) و (الدور العليا) و (دور عرباني) أما الخطيب البغدادي فقد ذكر هذا المكان في تاريخه باسم (دور عربان) و (دور سر من رأى) وقد أشار ياقوت الحموي الى مكان آخر (١) باسم (دور بني اوقر) وهو من مدن دجيل يقع على بعد خمسة فراسخ من بغداد وكان الوزير عون الدين يحيي بن هبيرة بنى فيه جامعاً ومنارة . ويظهر من كتابات لي سترانج انه كان يظن بان دور العرباني ودور تكريت ودور الحارث كلها تشير الى مكان واحد وهو مدينة دور الشمالية التي زعم ان قبر الامام محمد الدور فيها . على حين ان دور العرباني تقع خلف قطيعة اشناس وقد اطلق عليها اسم الدور في عهد المتوكل ايضاً .

ويظهر ان المنطقة التي تقع فيها الدور (دور العرباني) كانت منذ القديم مأهولة حيث ذكر ياقوت الحموي بان هناك ديراً يعرف باسم دير الطواويس وجد فى هذه المنطقة فى زمن الفرس ، وقد كان قبل ذلك منظره لذي القرنين أو للاكاسرة وقد تقدم ذكر هذا الدير فى باب الديارات فى سامراء .

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٥٩ و ٦٠

حلبات السباق

في الربع الاول من القرن الثالث للهجرة بلغت العناية باقامة وانشاء الحلائب وميادين الفروسية وساحات لعبة الصوالج (الصولجان) عناية فائقة ، فوصلت أوج مسجدها وعزها على أيدى الخليفتين العباسيين المعتصم وابنه المتوكل بسر من رأى (سامراء) (١) حيث نرى سوح الفروسية وحلبات السباق بسامراء بلغ عددها حدا لم تبلغه أية مدينــة أو حاضرة من الحواضر الاسلامية في جميـــع أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الاطراف هذا مضاف الى السوح والميادين في القصور الخاصة او فى ميادينها ، فقد ذكر ان الخلفـــاء كانوا يلعبون بالصوالجة فى ميادين خاصة بهم .

ويحكى انه في سنة ٢٦٣ هـ دخل الوزير ابو الحسن عبد الله بن يحيي بـــن خاقان ميدانا فى داره يوم الجمعة لضرب الصوالجة فركب ولعب فصدمه خادمـه وسقط عن دابته ميتـــا ، وكان اللاعبون يدخلون الحمام الساخن ويدلكون (٢) .

---

(١) الاستاذ سالم الآلوسي مجلة الاقلام ج٣ السنة الاولى ص ١٠٥ ــ ١١٤ . سنة ١٩٦٣

(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٦

وقد حذت حذو سامراء الكثير من المدن الاسلامية ومن اشهرها ميدان ابن طولون وميدان بيبرس بمصر وميادين الحكم في الاندلس ، فقد ذكر المقريزي في خططه أن احمد بن طولون قد بنى قصراً ووسعه وحسنه وجعل له ميداناً كبيراً يضرب فيه بالصوالجة فسمي القصر كله بالميدان (١) ولا غرابة في ذلك اذا ما عرفنا ان احمد بن طولون قد نشأ (٢) وترعرع في سامراء وتأثر باحوالها والنظم التي سادت فيها فبهرته عظمتها فحاول عندما تولى مصر (٢٥٤ ـ ٢٧٠ هـ) اقتباس الكثير من المظاهر الحضارية وادخال فنون الريازة التي كانت شائعة في سامراء فى مصر ، من ذلك بناؤه الجامع الطولوني بمأذنتــه الملوية على غرار المسجد الجامع ومأذنته الملوية بسامراء ، وأنشأ ابنه خمارويه حلبة للسباق وكانت هذه الحلبة تقوم مقام الاعياد (٣) وكذلك فعل الاخشيديون . حيث ذكر انه في عام ٣٢٤هـ شرع الاخشيد في اجراء حلبة السباق على رسم ابن طولون (٤) .

اما ساحات الفروسية (الحلائب) في سامراء فلم يكن يعرف تفاصيلها ومواقعهـا بسامراء الشيء الكثير الى ما قبل الحرب العالمية الاولى بالرغم من قيام بعثة المانية برئاسة الاستاذ الدكتور أرنست هرتسفلد عام ١٩١١ وقد سبقه المهندس الفرنسي هنري فيوله في التنقيب بدار الخليفة بسامراء في صيف عام ١٩١٠ وكان السبب

---

(١) خطط المقريزي : ج ١ ص ٣٠٣ وما بعدها

(٢) كان ابوه طولون قائد حرس المعتصم وقد نشأ احمد نشأة عسكرية قاسيـــة وخدم في طوروس على حدود البزنطية فاعجب فيه الخليفة المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥١ هـ) وعظمت منزلته عنده فولى مصر فاسس الدولة الطولونية .

(٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٥٣

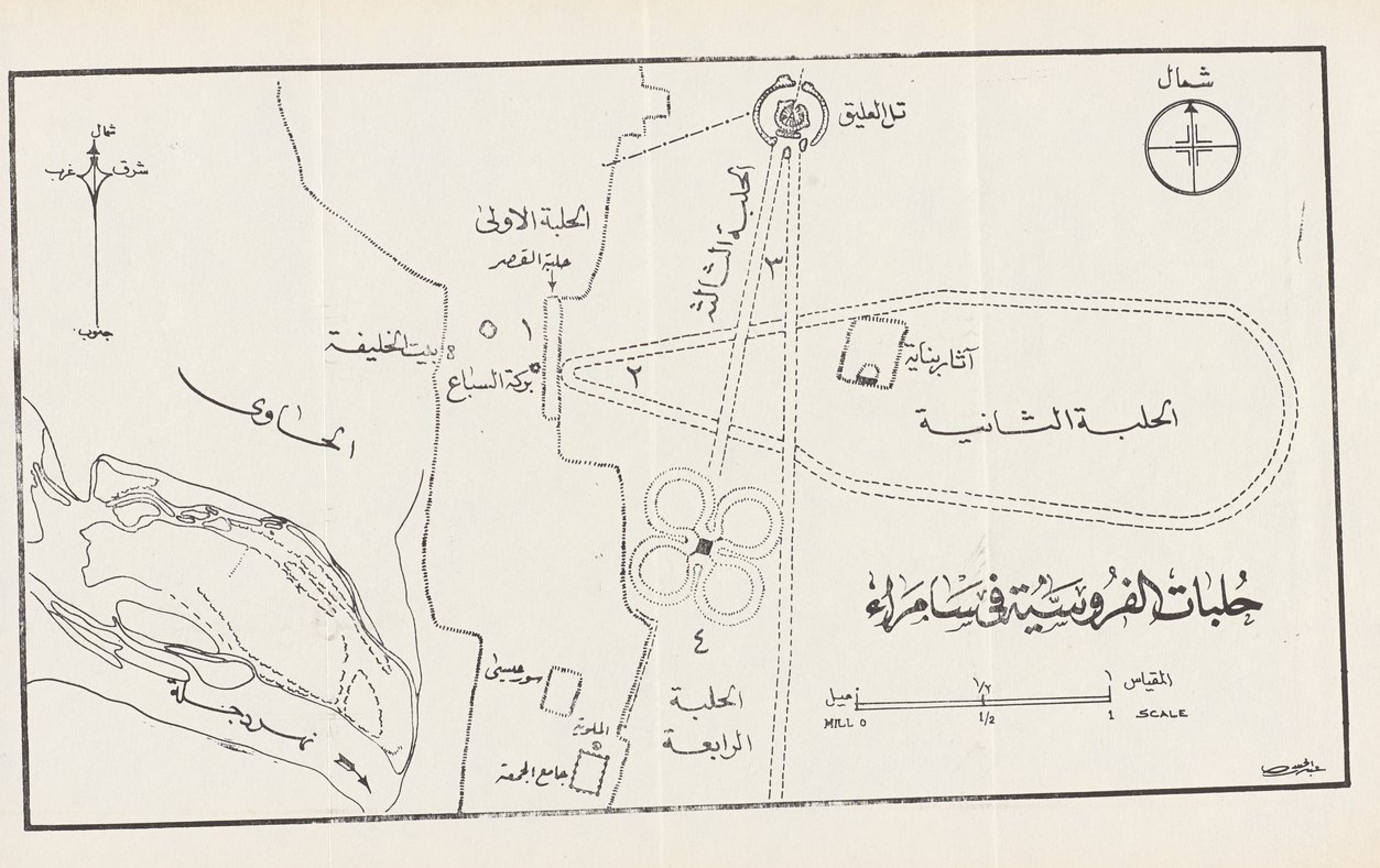
(٤) نفس المصدر ص ٢٥٣

في ذلك هو كثرة التلول والآكام القائمة هنا وهناك حيث يصعب على من يجول بينها ان يكون فكرة واضحة عن اشكالها واتجاهاتها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٨ شرعت السلطة المحتلة بعملية مسح عام واستخدموا كافة الوسائل لتحقيق هذا الأمر . وقد ساعدت الصور الجوية على تذليل كثير من الصعوبات فى سامراء وخرائبها واطلالها فرسموا الخرائط الخططية (الطوبوغرافية) الدقيقة ، وأظهرت الصور الجوية الملتقطة لمنطقة الواقعة شمالي المسجد الجامع والمحصورة بينه وبين تل العليق (تل المخالي) وبيت الخليفة أشكالا هندسية كان من بينها شكل فريد غريب فى نوعه وهو يتكون من حيث الاساس من اجتماع أربع دوائر أوحلقات كبيرة حول مربع مركزي ، وقد اخطأ الكثير باعتدادهم ذلك الشكل الهندسي الغريب حديقة فسيحة الارجاء غير ان التنقيبات العلمية التي قامت بها مديرية الاثار العامة على عهدمديرها الاستاذ ساطع الحصري عدة سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٠) أثبتت خطأ هذا الظن واوضحت الكثير من الغموض الذي يكشف هذا الشكل حيث يوجد هناك عدة حلبات نذكرها هنا بصورة مفصلة .

١ - الحلبة الاولى (حلبة القصر)

وهي أصغر الحلبات في سامراء وتقع فى آخر دار الخليفة وهو القصر المعروف في المصادر التاريخية بدار العامة ، في الجهة الشرقية منه ، خلف الحفرة المعروفة بهاوية السباع أوالسرداب ولهذا يمكننا أن نطلق عليها اسم (حلبة القصر) والحلبة هذه على هيئة مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب بطول (٥٣٠) خمسمائة وثلاثين متراً وعرض (٦٥) خمسة وستين متراً ومن يلق نظرة على مخطط القصر الذي


حلبات الفروسية في سامراء
شمال
تل العليق
الحلبة الاولى
حلبة القصر
١
بيت الخليفة
بركة السباع
الحلبة الثالثة
٣
٢
آثار بناية
الحلبة الثانية
الحاوي
نهر دجلة
٤
الحلبة الرابعة
سور عيسى
الملوية
جامع الجمعة
شمال
شرق
غرب
جنوب
المقياس
١
١/٢
ميل
MILL 0
1/2
1
SCALE



رسمه هنري فيوله عام ١٩٠٩ وهرتسفلد من بعده ، يلاحظ ان هذه الساحة لاتقطع محور القصر (دار الخليفة) بصورة عمودية بل تنحرف عن اتجاه العمود بعض الانحراف ، وهناك دلائل ترجح كون هذه الساحة المسورة حلبة للسباق ، منها بقايا البناية المرتفعة الواقعة في منتصف القسم الخلفي من سور هذه الساحة . ويظهر ان هذه البناية أو الدكة كانت معدة للتفرج بالنظر الى الالعاب ، مثل لعبة الصولجان والمسابقات الاخرى التي كانت تجري داخل حلبة القصر . وتطل هذه البناية كذلك على الحلبة الثانية التي تمتد خلف القصر من جهة أخرى (١)

٢ ـ الحلبة الثانية :

وتقع في النهاية الشرقية لدار الخليفة وتتكون من حلقة مستطيلة على هيئة مقطع الكمثراة وتمتد طولا الى مسافة ٥ر٥ خمسة كيلومترات و نصف لكل من جانبيها وتنتهي بالقرب من الضفة اليمنى لنهر القاطول (٢) وعلى هذا تقدر الدورة الكاملة ب «١١» احد عشر كيلومتراً . يبدأ داخل الحلبة ضيقاً من عند القصر غربا ثم تأخذ بالتوسع بالتدريج على طول الحلقة حتى تبلغ أقصى سعتها في الطرف الثاني شرقا .

٣ ـ الحلبة الثالثة

وتبتدي هذه عند تل العليق الواقع الى الشمال الشرقي من الملوية ، وشكلها على هيئة مثلث متساوي الساقين رأسه في تل العليق وقاعدته منحنية . وهذه

---

(١) سامراء نشرة دائرة الآثار المطبوعة سنة ١٩٤٠ ص ٥٩

(٢) ري سامراء ج ١ ص ١١٧

الحلبة تمتد باتجاه الجنوب مخترقة في امتدادها نحو الطرف الغربي للحلبة الثانية حتى تنتهي أمام المسجد الجامع والملوية من جهة الشرق ، ولم يبق من معالم هذه الحلبة الثالثة الا الجانب الشرقي منها الممتد الى مسافة تقدربا كثرمن (٥) خمسة كيلومترات تقريباً ، الى شرقى الملوية والمسجد الجامع . أما الجانب الغربي فقد اندثرت معالمه وتلاشت من جراء انشاء حلبة سباق جديدة (الحلبة الرابعة) فى هذا المكان وبقاياها توحي الينا انها كانت بالغة الطول ، وبعد تل العليق يعرف عند اهالي سامراء (بتل العليج) الذي يبلغ ارتفاعه عن مستوى السهل المحيط به (٢٥) خمسة وعشرين متراً ، المكان الذي كان الخليفة العباسي يجلس فوقه مع حاشيته للتفرج بالنظر الى السباقات .

٤ ـ الحلبة الرابعة

وتقع فى السهل الفسيح الممتد شمالي المسجد الجامع والملوية . وقد صممت هذه الحلبة على شكل هندسي مبتكر بديع يعد انجازاً هندسياً رائعاً فريداً في بابه يستحق كل تقدير واعجاب .

يتكون شكل الحلبة الرابعة من حيث الاساس من اجتماع اربعة اطواق او اربع حلقات (دوائر) متماسة ، حول مربع كبير مركزي . وكل حلقة من هذه الحلقات الاربع تتألف من طوقين متوازيين يدوران بهذا الشكل الجميل تاركين بينهما مسافة (٨٠) ثمانين متراً . وهذه الاطواق تلتوي حول المربع المركزى اربع مرات (مرة واحدة فى كل دائرة) دون ان تنقطع من اي محل . والمربع المركزي المبحوث عنه يكون دكة أو مصطبة تظهر عليها آثار بناية من الآجر قد تكون المكان المعد لجلوس الخليفة وتفرجه مع وزرائه .

ان طول الدورة الكاملة في هذه الدوائر الاربع المتماسة المتتالية يزيد على (٥) خمسة كيلومترات في حين ان البعد الأعظم عن الدكة المركزية على طول هذه الدورة لايقل عن «٦٠٠» ستمائة متر ، فيستطيع المتسابقون ان يقطعوا هذه المسافة البالغة خمسة كيلومترات اواضعافها دون ان يتباعدوا عن أعين الخليفة اكثر من «٦٠٠» ستمائة متر في اكثر الاحوال .

وكانت هذه الساحة مركز للمظاهرات تجتمع فيها الجموع والمواكب في الثورات المحلية كما كانت تقام فيها المناورات العسكرية وما اشبهها ، وكثيراً ما كان يعسكر فيها الجنود في مثل هذه الحالات . ففي عهد الفتن التي وقعت في عهد الخليفة المهتدي . عسكر المهتدي مع جنوده في هذه الساحة وقد أورد الطبري خبر ذلك حيث قال « ان المهتدي بعد ان خرج من الجوسق عسكر في ساحة الحير بالقرب من موقع الحلبة وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فى الحير »

٥ ـ الحلبة الخامسة :

وتقع هذه الحلبة في الشمال الشرقي من المدينة المتوكلية الواقعة على بعد «٢٠» عشرين كيلومتراً من شمال مدينة سامراء الحديثة . وكان الخليفة العباسي المتوكل على الله قد ابتدأ بعمارتها سنة ٢٤٥ هـ واتمها بنهاية سنة ٢٤٦ هـ أي في مدة تقل عن العامين . وقد دفن فيها بعد مقتله عام ٢٤٧ هـ .

وقد شق المتوكل النهر الجعفري لاسقاء مدينة المتوكلية ومن هذا النهر شق قناة أو نهراً تسمى بقاياه الان نهر (الحديد) تصغير الحد يسير بصورة مستقيمة باتجاه الجنوب الشرقي لمسافة ٢١ كم ثم ينعطف بزاوية قائمة باتجاه الجنوب الغربي لمسافة «١٠» كيلومترات لينتهي الى الضفة اليسرى من نهر القاطول الكسرى

فيكون مثلثاً قائم الزاوية شرقى النهر الجعفري تبلغ مساحته زهاء مائة كيلومتر مربع «٤٠ر٠٠٠» مشارة . ولا شك أن وراء تهيئة هذه الساحة واحاطة مياه نهر الحديد بها من جهتين والنهر الجعفري من جهة الثالثة مشروع جسيم كان المتوكل ينوي انشاء حلبة للسباق فيها على ان يكون تل البنات ـ الواقع على مسافة أقل من كيلومترين من ناحية الدور الحالية ـ الموقع المرتفع الذي يشرف منه عليها «١» ومن الملاحظ ان تل البنات يقع بازاء الزاوية القائمة لمثلث المساحة تماما وذلك مما يدل على أنه انشيء للتفرج بالنظر الى ساحة السباق التي كانت النية متجهة الى جعلها على شكل مثلث أو مربع وأبعد مسافة على عرض الساحة التي بين النهر الجعفري ونهر الحديد زهاء «١١» احد عشر كيلومتراً . ومما يؤيد ذلك العثور على بقايا أبنية فوق تل البنات كما هو الحال في تل العليق ربما كانت مقصورة معدة لجلوس الخليفة وحاشيته .

ويظهر ان المتوكل كان ينوي نقل حلبة السباق التي كان أنشأها في سامراء الى هذا المكان أي الى الساحة الواسعة التي تمتد شرقي النهر الجعفري وذلك بعد اتمام النهر الا ان الضروف لم تسمح له بتنفيذ ذلك «٢» .

ويعد ما أنشده البحتري في وصف الحلبة من ارقى شعره فقال وهو يمدح المتوكل :

ياحسن مبدي الخيل في بكورها	تلوح كالانجم في ديجورها
كأنما أبدع في تشهيرها	مصور حسن من تصويرها

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٣

تحمل غرباناً على ظهورها | فى البيرق المنقوش من حريرها
إن حاذر . ا النبوة من نفوذها | أهووا بايديهم الى نحورها
كأنها والخيل في صدورها | أجادل تنهض في سيورها
مرت تباري الريح فى مرورها | والشمس قد غاب ضياء نورها
في الوهج الساطع من تنويرها | حتى اذا أصغت الى مديرها
وانقلبت تهبط في حدودها | تصوب الطير الى وكورها
صار الرجال شرفا لسورها | اعطى فضل السبق من جمهورها

ولمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (١) قصيدة عامرة يصف بها الحلبة وسباق الخيل ، يقول في بعض ابياتها

شهدنا الرهان غداة الرهان | بمجمعة ضمها الموسم
نقود اليها مقاد الجميع | ونحن بصنعتها أقوم
وربك بالسق عن ساعة | من الناس كلهم أعلم
ومن لا يعد للحلاب الجياد | وشيك لعمرك ما يندم

ومن الممكن اعتداد المعدل لطول دورة السباق « المسافة » التي تقطعها الخيول فى هذه الحلبات « عدا الاولى » كان ما بين « ١٠ ـ ١١ » كيلومتر . فطول الدورة في كل من الحلبتين الثانية والثالثة « ١١ » كيلومتراً ، أما في الحلبة الرابعة « ذات الاطواق الاربعة » فالظاهر أن الخيول تقطعها مرتين لاتمام الدورة « فى كل مرة أكثر من « ٥ » كيلومترات .

اما الحلبة الخامسة « المقترحة » في المتوكلية فان طول الساحة يبلغ « ١١ » كيلو متر

---

(١) مروج الذهب ج ٤ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١

وقدوقع الكثير من علماء الآثار بخطأ وذلك باعتدادهم الحلبة الرابعة «ذات الاطواق الاربعة» بشكلها ومساحتها آثار حديقة زينة فسيحة الارجاء وقد استبعدت دائرة الآثار ذلك بنشرتها عن «سامراء سنة ١٩٤٠ ص ٦٣» وجود الماء كشرط لاعتدادها ساحة فروسية. «... ولا يوجد داخل هذه الساحة أوحواليها شيء يشبه قنوات المياه يسوغ فرضية حديقة الزينة». بينما يثبت واقع الحال عكس ذلك اذ نرى أن وجود الماء وتوفره فى حلبات السباق من أوجب الضرورات وألزمها للشرب ولأرواء الحيوانات والخيول ولرش الطريق الذي تسلكه الخيول المتسابقة وما تولده من غبار..

وأسوق فيما يلي من الادلة التي تؤيد ما ذهبنا اليه :

أ ـ في الحلبة الأولى «حلبة القصر» :

يرجح ان تكون الحفرة أو الموضع المعروف بهاوية السباع «الهبية» بشكله ومساحته والغرف المتعددة المنحوتة في جوانبه، مكاناً لايواء الخيول قبل السباق وبعده وذلك بدلالة البركة الموجودة في وسط الحفرة وكذلك الغرف الجانبية. ولو ألقينا نظرة فاحصة على مخطط القصر الذي رسمه هرتسفلد نجد في الجدار الفاصل ما بين الحلبة الاولى وهاوية السباع بابا واسعاً. والبركة كانت تمون بالماء

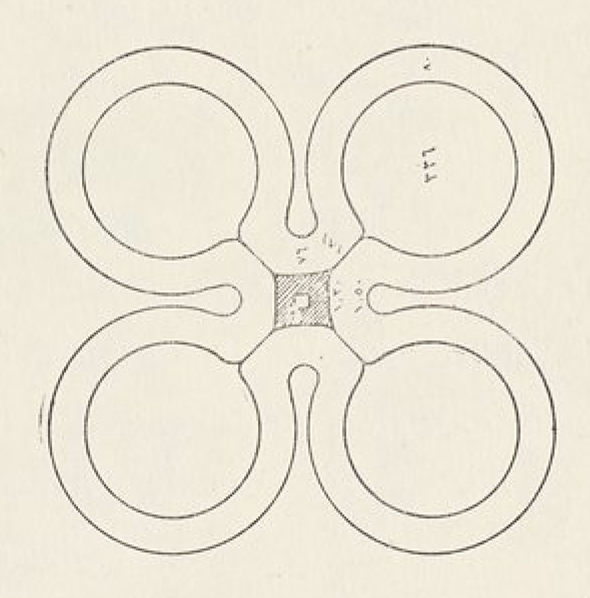
ب ـ الحلبة الثانية :

كانت تمون من قناة المتوكل التي أنشأها لايصال الماء الى سامراء وكانت هذه القناة تبتدىء من شمال مدينة الدور ثم تسير بموازاة نهر دجلة الى مسافة تقدر باربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة تاركة تل العليق الى يسارها، وكان

هناك فرع خاص يتشعب من امام هذا التل فيفضي الى الخندق المحيط بالتل .

جـ ـ الحلبة الثالثة :

وهي حلبة تل العليق التي امن وصول المياه اليها من دجلة وعلى وجـــه التخصيص من قناة المتوكل في فرع خاص يفضي الى الخندق المحيط بالتل ، كما كان فقير أي بئر كيضمة « كهريز » خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فيتجه نحو القناة و كان هذا الفقير « الكهريز » يرجع المياه الى القناة بعد امتلاء الخندق «١»



ساحة الفروسية

(١) ري سامراء جـ ١ ص ١١١ ، ١١٨ ، ١٤١

د ـ الحلبة الرابعة :

كانت تمون من قناة المتوكل المارة الذكر .

هـ ـ الحلبة الخامسة « حلبة تل البنات »

كان التل تحيط به المياه . « وعند وصول النهر الجعفري عند تل البنات ينقسم هذا الجدول في هذا المكان قسمين أوفرعين ، الفرع الغربي يحيط بالتل من الغرب والفرع الشرقي يحيط به من جهة الشرق ثم يعود الجدول فيتوحد بالتقاء الفرعين وذلك مما يجعل التل يشبه شيء بالجزيرة «١» بل ان الحلبة يحيط بها من ثلاث جهات الماء كما مر وصفه . وفي الساحة الرابعة « ذات الاطواق » وهي بشكلها الهندسي المبتكر روعي فيها حل مشكلتين في آن واحد وهما اولا الاختصار من طول مسافة الحلبة الذي كان يتطلب مرتفعاً عالياً . وثانياً الاختصار في ارتفاع الدكة او المنصة التي يجلس فوقها الخليفة .

---

(١) مأساة هندسية ص ٤٠

حير الوحوش للمتوكل

من أبنية المتوكل حير الوحوش وهو ما نسميه اليوم (حديقة الحيوانات) وتقع هذه الحديقة خارج مدينة (سر من رأى) ومشتملاتها من جهة الشرق بين القاطول ، القاطول الكسروي ، وبين القاطول الاسفل (نهر القائم) وهي مسورة بسور من الطين يحيط بها من جميع أطرافها ، ويستدل من آثار هذا السور على ان الحديقة كانت مستطيلة الشكل تمتد ضلعاها الجانبيتان باتجاه الشمال ، أما الضلعان الجانبيتين في ركنيها بزاوية قائمة . اما الضلع الجنوبية فتنحرف قليلا باتجاه الجنوب الشرقي فتسير على محاذاة نهر القاطول الاسفل (مجرى القائم) على مسافة (٦٥٠) متراً تقريباً من ضفته اليسرى ، وتتصل الضلع الاخيرة هذه بالقصر الذي بالمشرحات حيث يقع فى منتصف هذه الضلع تماما . (١)

ويبلغ طول الضلع الغربية للسور ستة كيلومترات ونصف كيلومتر تقريباً . وطول الضلع الشرقية حوالي تسعة كيلومترات ونصف كيلومتر . أما طول الضلعين الاخريين فان طول الضلع الشمالية ، التي تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين بزاوية قائمة ، يبلغ زهاء ستة كيلومترات ونصف كيلومتر وطول الضلع الجنوبية المنحرفة

(١) ري سامراء ج ١ س ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

سبعة كيلومترات تقريباً وبذلك يبلغ مجموع طول محيط الحديقة حوالي ثلاثين كيلو أما مساحتها فتبلغ حوالي ثلاث وخمسين كيلومتراً مربعاً ، أي واحد وعشرين الف دونم عراقي (مشارة) تقريباً .

ويمكن تتبع آثار سور الحديقة على طول اضلاعه الاربع ، عدا بعض اقسامه التي اخترقتها المزارع الحديثة والآبار التي حفرت في تلك المنطقة ومكائن الضخ التي نصبت هناك في السنوات الاخيرة ، أما زوايا السور الاربع فواضحة المعالم جليلة الآثار ويسمى الاهلون الزاوية باسم (التابية) . وتتصل الضلع الغربية لسور الحديقة بسور مدينة (سر من رأى) الخارجي ، عند الركن الجنوبي الغربي لسور الحديقة فيتكون بذلك مثلث قاعدته سور مدينة (سر من رأي) الخارجي الذي يمتد من الزاوية الجنوبية الغربية للحديقة الى قصر بركوارا) ومن ثم الى (جامع الملوية) وهو على الارجح السور الذي اطلق عليه اليعقوبي إسم (حائر الحير) . وضلعه الشرقية السور الغربي لحديقة الحيوانات . اما ضلعه الغربية فتتكون من جامع الملوية حتى الركن الشمالي الغربي لسور الحديقة ، ويبلغ طول الخط الاخير حوالي ستة كيلومترات ، وبضمن هذه المسافة تقع ساحة الحير التي مر ذكرها فيما تقدم . اما طول السور الخارجي لمدينة (سر من رأى) اي قاعدة المثلث فيبلغ حوالي أحد عشر كيلومتراً .

وقد أيد المؤرخون العرب وجود هذه الحديقة خارج مدينة (سر من رأى) خلف السور الخارجي للمدينة ، كما ايدوا في رواياتهم وجود بقعة فسيحة من الارض في شرقي المدينة بين الحديقة وحدود المدينة الخارجية ، وكانت تعرف هذه البقعة باسم (ساحة الحير) نسبة الى حير الحيوانات الواقع شرقي المدينة .

ويظهر انه كلما توسع العمران الى جهة الشرق وامتد الى هذه البقعة ، قلع السور الخارجي القديم وبنى سور آخر خلف العمران الجديد ، أما الحائط الذي بني في زمن المعتصم فكان يسمى : (حائر الحير) وهذا على ما نعتقد تغير في زمن المتوكل فامتد الى الشرق حتى صار في الحد الذي تمتد اليه آثار السور الخارجي الحالي الذي يمتد من موقع الملوية متجهاً الى الجنوب الشرقي حتى يتصل بالركن الجنوبي لسور حديقة الحيوانات ، وهو السور المعروف اليوم باسم (سور البطاوي) وان اتصال هذا السور بالزاوية المغربية الجنوبية لسور حير الحيوانات اكبر دليل على ان حير الحيوانات كان يؤلف جزءاً من منشئات المتوكل التي امتدت الى خارج مدينة (سر من رأى) شرقا .

وكانت الشوارع التي تقع على الحدود الشرقية من المدينة تسمى (شوارع الحير) منها (شارع الحير الجديد) الذي فتحه المتوكل . وقد جاء ذكره اليعقوبي ما يؤكد أنه كان للحديقة سور يحيط بها من كل اطرافها ، وأن الحديقة تقع فى ساحة واسعة خلف سور المدينة ، واليك ما كتبه فى هذا الصدد قال :

﴿ وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط الوحش من الضباء والحمير الوحش وايايل والارنب والنعام وعليها حائط يدور في صحراء حسنة واسعة ﴾ ويلاحظ أن هرتسفلد قد اعتبر في خارطته التي رسمها لمدينة سامراء وفيما كتبه عن سامراء أن حديقة الحيوانات موضوعة البحث تقع في شمال جامع الملوية قرب تل العليق . وهذا لا يتفق ليس مع الآثار الحالية التي أشرنا اليها حسب ، ولكنه لا يتفق مع ما دونه المؤرخون في هذا الصدد ايضاً كما يتضح مما تقدم ذكره ، ويظهر من مجرى الحوادث انه كان

هناك حير في حدود مدينة (سر من رأى) الخارجية على عهد المعتصم وهذا كان سبب تسمية أحد شوارع المدينة في ذلك العهد باسم (شارع الحير الاول) وقد أشار الى هذا الحير والى الخيل الذي فيه محمود بن الحسن الوراق ، وهو شاعر مشهور كانت وفاته في خلافة المعتصم فى حدود سنة ٢٣٠ هـ قال (كنت جالساً بطرف الحير حير سر من رأى ومعي جماعة لننظر الى الخيل فمر بنا ابو تمام فجلس الينا) (١)

وكان فى قصر الحير فى سورية ، وهو القصر التاريخي المعروف ، حديقة حيوانات من نوع حير المتوكل للوحوش المبحوث عنه أعلاه ، ويبلغ طول هذه الحديقة حوالي تسعة كيلومترات وعرضها كيلومتر ، محصنة بسور من كل اطرافها على نحو ما هو عليه حير المتوكل ولعل القصر سمي بقصر الحير لوجود الحير الى جانب القصر .

وقد ظن بعض المؤرخين أن البقعة المسورة الى جانب قصر الحير المذكور كانت تشكل بحيرة اصطناعية تابعة للقصر الا أن المستر كريسويل

[K . A . C . Creswell]

يؤيد بان المكان كان بدون شك حيراً للوحوش وانه كان قد انشأه الخليفة هشام ليتصيد فيه وقد انشيء السور لحصر الوحوش داخله) .

ومما يدل على أن الساحة التي تقع فيها حديقة المتوكل للحيوانات كانت تسمى بالحير وانها كانت الى جانب القاطول ، وصف البحتري لحديقة الحيوانات في شعره ، فقد سماها بالحير أى بمعنى الحديقة او البستان ، فقال وهو يخاطب

---

(١) كتاب (أخبار أبي تمام) لابي بكر الصولي ص ١٤٧

المتوكل مشيراً الى حيوانات الحديقة

يرعن منك الى وجه يرين له جلالة يكثر التسبيح رائيها

حتى قطعت بها القاطول وافترقت

بالحير في عرصة فسح نواحيها

ومما يؤكد قول البحتري أن حديقة حيوانات المتوكل هذه كانت تدعى بالحير انه جاء ذكر حديقة حيوانات في مدينة بغداد الشرقية باسم الحير أيضاً إذ ذكر ابن مسكويه فى كتابه (تجارب الامم) ان بعض جنـــد المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ ـ ٩٠٨ ـ ٩٣٢ م) شق عصا الطاعة فنهب قصر الثريا وذبح الوحش الذي فى الحير ، واليك ما كتبه فى هذا الصدد قال :

﴿ وفى سنة ٣١٥ هـ . شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلي فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الحـــير وذبحوا البقر التي لأهـــل القرى التى حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم ارزاقهم فرجعوا الى منازلهم ﴾ وقد جاء ذكر هذا الحير ايضاً لمناسبة وصف الاماكن التي ادخل اليهـا رسل صاحب الروم قبـــل وصولهم الى حضرة الخليفة المقتدر بالله ، إذ ورد في (مقدمة تاريخ بغداد) للخطيب (ص ٥٣) انه بعد ان ادخل الرسل الى الدار المعروفة بخان الخليل التي فيها خمسمائة فرس (ادخلوا من هذه الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان فى هذه الدار من اصناف الوحش التي اخرجت اليهـا من الحير قطعان تقرب من الناس وتتشممهم وتأكل من ايديهم ثم اخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمنية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مائة سبع خمسون يمنة

وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها واعناقها السلاسل والحديد)

ولعل الوحش الذي في هذا الحير هو من جملة الذي نقل من حير (سر من رأى) الى حير بغداد ، وذلك بعد أن تم ارجاع مقر العاصمة الى مدينة السلام في عهد المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) .

ويستفاد من اشعار البحتري الكثيرة ان عدد الحيوانات ، التي كانت في الحير الذي أنشأه المتوكل يقدر بالفي وحش ، وفي ذلك قال وهو يخاطب المتوكل :

الفان وافت على قدر مسارعة　　　الى قبول الذي حاولته فيها

كما يستدل من هذه الاشعار انه كان فى الحير عدد من السباع ، ونحن ننقل هنا بعض ما أنشده في وصف مبارزة الفتح ابن خاقان للاسد وهو في اجمته ، وسط الاشجار المشتبكة على نهر نيزك قال :

وقد جربوا بالأمس منك عزيمة　　　فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر　　　يحدد نابا للقاء ومخلبا
يحصنه من نهر نيزك معقل　　　منيع تسامى روضه وتأشبا
يرود مغاراً بالظواهر مكثباً　　　ويحتل روضاً بالاباطح معشبا
يلاعب فيه اقحواناً مفضضاً　　　يبص وحوذانا على الماء مذهبا
اذا شاء غادى عانة او غدا على　　　عقائل سرب ان تنقص ربربا
يجر الى اشباله كل شارق　　　عبيطاً مدمى او رميلا مخضبا

ومما يؤيد وجود السباع في حير المتوكل ، ما ذكره المسعودي عن قتلها على عهد المهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ ـ ٨٦٩ ـ ٨٧٠ م) وهذا نصه :

﴿ وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يابني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون عمر بن عبد العزيز فى بني أمية وقلل في اللباس والفرش وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين أيدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته)

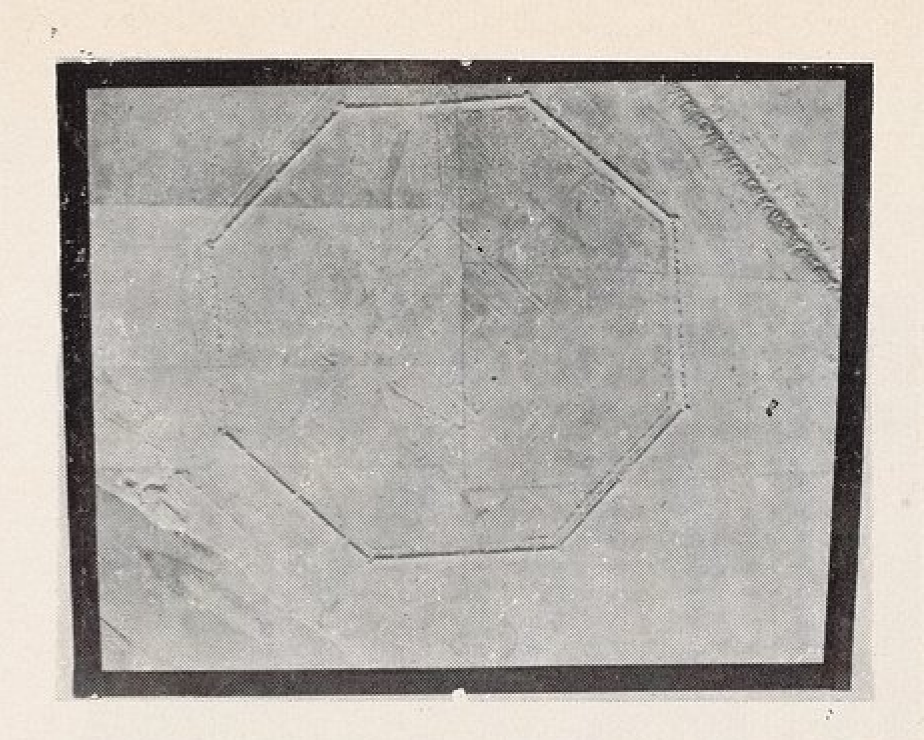
وأخيراً فاننا نكرر انشاد أبيات البحتري ، التي يصف بها حديقة الحيوانات ونهر نيزك وهو يخاطب المتوكل :

وطاعة الوحش اذ جاءتك من خرق	أحوى وأدمانه كحل مآقيها
كالكاعب الرود يخفي في ترائبها	ردع العبير ويبدو في تراقيها
ألفان وافت على قدر مسارعة	الى قبول الذي حاولته فيها
ان سرت سارت وان وقفتها وقفت	صوراً اليك بالحاظ تواليها
يرعن منك الى وجه يرين له	جلالة يكثر التسبيح رائيها
حتى قطعت بها القاطول وافترقت	بالحير في عرصة فسح نواحيها
فنهر نيزك ورد من مواردها	وساحة التل مغنى من مغانيها
اولا الذي عرفته فيك يومئذ	لما اطاعك وسط البيد عاصيها
فضلان حزتهما دون الملوك ولم	تظهر بنيلها كبراً ولا تيها

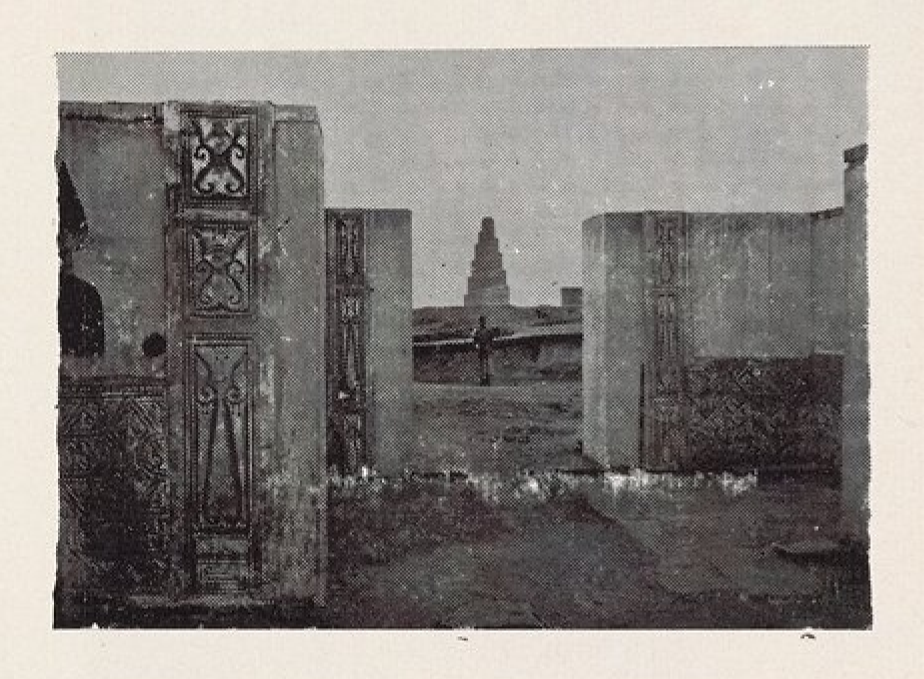
وقال البحتري وهو يرثي المتوكل بعد مقتله : (١)

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣

٢٠ ـ النقود العباسية في سامراء



٢١ ـ منظر جوي للقادسية



٢٢ ـ البيت العباسي في سامراء

محل على القاطول اخلق دائرة وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره
كأن الصبا توفى نذوراً اذا انبرت تراوحه اذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده ترق حواشيه ويورق ناضره
ولم أنس وحش القصر اذريع سربه
واذ ذعرت أطلاؤه وجاذره
واذ صيح فيه الرحيل فهتكت على عجل استاره وستائره
ووحشته حتى كان لم يقم به أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها وبهجتها والعيش غض مكاسره

فنستخلص من كل ما تقدم ان الحير المذكور كان يضم عدداً كبيراً من الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية ، فى الاقفاص وضمن الجدران الداخلية ، وكان قسم آخر منها وهو القسم الاكبر طليقاً وسط الحير الواسع ، وكان مساحة الحير من السعة بحيث يسهل معها الصيد والقنص .

وفى الحد الجنوبي من حير الوحوش او (حديقة الحيوانات) آثار قصر واسع مستطيل الشكل يقع فى منتصف الضلع الجنوبية لسور الحديقة من الداخل وهو (قصر الحير) وقد تقدم الاشارة الى هذا القصر في باب القصور العباسية . ويبلغ عرضه الذي يمتد مع السور ١٢٥ متراً وطوله الذي يمتد الى الشمال في داخل السور ١٦٥ متراً أي بمساحة حوالي ٢٠٫٠٠٠ متر مربع ، ولعل القصر المذكور انشيء في حير الحيوانات عملا بعادة الفرس القدماء الذين كانوا يجعلون حير الوحوش متصلا بالقصر الملكي .

وواجهة هذا القصر مقابلة للشمال ، فأمامها بهو مستطيـل على شكل دكة بعرض خمسين متراً ، يشرف على بركة مربعة واسعة يبلغ طول اضلاعها مئتي متر تقريباً أي بمساحة حوالي أربعين ألف متر مربع ، وهذة هي البركة الجعفرية التي وصفها البحتري بدون أي شك . اما من الجنوب فيوجـد خلف القصر ساحة كبيرة مستطيلة مسورة بسور من الطين واللبن فتمتد الى حد الضفة اليسرى للقاطول الاسفل (نهر القائم) وتمتد هذه الساحة مسافة ٦٥٠ متراً في الطول نحو الجنوب حتى تتصل بالضفة اليسرى لنهر القائم ، أما عرضها باتجاه الضلع الجنوبيـة لسور الحديقة ، فيبلغ حوالي ٩٥٠متراًوبذا تكون مساحتها حوالي ٦٢٠,٠٠٠ متر مربع وفي هذه الساحة الجميلة مصطبة أصطناعية تشرف على القاطول الاسفل من جهة ، وعلى القصر وحديقة الحيوانات من جهة اخرى ، ولعل (ساحة التل) التي ذكرها البحتري في شعره هي نفس هذه الساحة وقد سماها (ساحة التل) نسبة للتل الذي يقع في وسطها . وتوجد على كل من جانبي هذه الساحة قطعة مستطيلة من الارض مسورة بسور من الطين أيضاً تمتد على طول الساحة الى مسافة ٦٥٠ متراً ، وأما جهة العرض فتسير موازية الضفة اليسرى لنهر القائم مسافة ١٢٥ متراً تقريبـاً ، وبذلك تبلغ مساحة كل من هاتين القطعتين حوالي ٨٠,٠٠٠ متر مربـع . وفي هاتين القطعتين آثار أبنية منتشرة على طولها لعلها كانت من جمـلة الآبنية التي أعدت لرجال حاشية القصر وللقائمين باعمال حديقة الحيوانات وقد جاء ذكر القصر نفسه والحير والقاطول في الابيات التي نظمها الصولي وهو يمدح (سر من رأى) فأنشد قائلا :

بسر من رأى بلاد الملك طاب لنا   معرس عيشه باللهــو منظوم

أرض متى اختلست الحاظها نظراً	اهتاج ذوطرب وارتاح مهموم
والحير والقصر والقاطول جنتها	والجعفري بكف الدهر مزموم
منازل آنست دهراً فاوحشها	ظلم الزمان فمثلوم ومهدوم
عفت وغيرها وصل الرياح لها	والوصل منها بحبل الهجر محتوم

وذكر البحتري القصر فيما أنشده عن دكتي البركة التي أمام القصر قال :

وأرى الدكتين بينهما الطواف روض كالوشي في الوانه
ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه

ومما يدل على ان بناء الحير هو المكان الذي كان المتوكل يأوى اليــه فى أنسه وطربه انه لما احضر اسحق الموصلي من بغداد الى سامراء ليغني في حضرته قال ابو عبد الله وهو يعبر عن تأثير غناء اسحاق فى نفوس الحاضرين ، مشيراً في الوقت نفسه الى وجودهم فى الحير ما نصه (فوالله ما بقى غلام من الغلمان الوقوف على الحير الا وجدته يرقص طربا وهو لا يعلم بما يفعل فامر له المتـوكل بمائة الف درهم) ويظهر ان القصر كان لا يزال موجوداً في أوائل القرن الرابع الهجري حيث ذكره جحظة البرمكي في شعره الذي نظمه في حوالي سنة ٣٢٦هـ وقال في وصفه :

الأهل الى الغدران والشمس طالعة	سبيل ونور الخير مجتمع الشمل
ومستشرق للعين تغدو ضياؤه	صوائد الباب الرجال بلا نبل
الى شاطيء القاطول بالجانب الذي	به القصر بين القادسية والنخل

حصن القادسية

ان تسمية القادسية قديمة فبعضهم يرى انها مدينة « كارهاية » (Carrhae)
أو مدينة (اباميا) التي ذكرها بلينيوس (٧١ م) وقد ذكر كيبون (Gibbon)
أنها المدينة الآشورية (قادسيا) (Cadesia) وعلى كل فان من المرجح ان تاريخ
انشاء القادسية يرجع الى عهود قديمة ، ثم اصبحت ذات شأن بعد أن انشيء
النهروان هناك بمدخليه الصيفي والشتوي (مجريي القائم والصنم) وقد توسعت بعد
ان أنشأ الرشيد قصره فيها وشرع في انشاء مدينته هناك ثم نزول المعتصم فيها
وانشائه بعض الابنية هناك قبل أن ينتهي الى مكان سر من رأى . ويغلب على
الظن ان معمل الزجاج الذي نشاهد آثاره وبقايا زجاجه الآن في القادسية انشيء
على عهد المعتصم أثناء تمصر مدينـة (سر من رأى) حيث كان يزود منشآت
المدينة الحديثة بالزجاج على اختلاف انواعه . وقد ذكر ياقوت أن القادسية
اشتهرت بمعامل الزجاج ونسب اليها قوم من الرواة ، كما ذكر ابن عبد
الحق أن القادسية قرية كبيرة من قرى سامراء تقع على الجانب الشرقي
من دجلة .

ومن أهم الآثار في القادسية اليوم السور القديم المعروف : (سور القادسية) وهو الحصن الذي كان يقع بين مجرى القائم (المجرى الصيفي للنهروان) ومجرى الصنم (المجرى الشتوي للنهروان) اما اليوم فيقع بين مجرى القائم ودجلة ، لأن نهر دجلة محى معالم مجرى نهر الصنم نتيجة تحول عقيق دجلة نحو الشرق ، والسور مبني باللبن ويحيط بساحة واسعة تشغل كل المساحة التي بين مجرى القائم الشمالي ومجرى الصنم الجنوبي تقريباً . ويناهز معدل قطر الساحة التي داخله ١٦٥٠ متراً وهو مثمن الأضلاع يبلغ معدل الضلع الواحدة من الخارج ٦٢٠ متراً وتدعمه من الخارج ١٧ دعامة (Buttress) نصف دائرية قطرها نحو ٤ر٧ امتار ، وبين كل دعامة واخرى ٥ر٢٩ متراً ، وفي كل ركن من اركان السور الثمانية برج مدور يبلغ قطره زهاء ثمانية أمتار ، وسمك السور نحو أربعة امتار أما ارتفاعه فيبلغ حوالي خمسة أمتار . وتبلغ مساحة الأرض التي يشغلها نحو ٨٠٠ دونم مشارة .

ويشاهد من الداخل ان اضلاع السور تتألف من أروقة تملأ الفراغ الحاصل بين كل دعامة واخرى الا في ضلعين متقابلتين منها توجد في وسطها زيادة في الثخن بمقدار خمسة أمتار ونصف متر وبمسافة ٦٥ متراً من طول الضلع . وتحتوي هذه الزيادة على ثماني غرف ابعاد كل منها ٥ر٣ × ٧ر٣ مترات وقد عقدت بعقادة رأسية [Painled arch] ارتفاعها ٧ر٢ متراً ورصف لبنها رصفاً رأسياً على جانبي الغرفة وعرض مدخلها ٨٥ سنتمتراً وسمك جدار جبهتها ٩ر١ متراً ويلاحظ في بناء السور ان اللبن المستعمل فيه يمتاز بكبر حجمه من دون كل ابنية سامراء العربية حيث يبلغ حوالي ٤٧ سنتمتراً في الطول و٢٦ سنتمتراً في العرض وزهاء ١٥ سنتمتراً

في السمك وتشاهد في وسط الساحة معالم بعض المنشئات الصغيرة وهذه مبنية من اللبن والطين ومحاطة باسوار داخلية واطئة . ويستدل من شكل هذه المنشئات ومن السور الخارجي الضخم ان البناية كانت حصناً ومعسكراً لجيش كبير هيئت له فيها وسائل الدفاع والحصار في آن واحد وفي المنطقة التي حول سور القاسية بقايا مبان كثيرة تمتـد على اطراف السور المذكور من الغرب والشرق والجنوب بين مجرى القائم ومجرى الصنم بعضها بالآجر والبعض الآخر باللبن . ومن أهم الأبنية التي بالآجر المفخور بقايا معمل الزجاج الواقع غربي موقع الصنم تماماً ، بقايا القصر الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من السور على الضفة الشرقية لنهر الصنم وهي الاطلال المسماة (الاصيبعين) ولعل اطلال هذا القصر من بقايا القصر الذي بناه المعتصم في هذه المنطقة قبل ان ينتهي الى سامراء .

وتشاهد في الطرف الشمالي من سور القادسية آثار نهر واسع يخترق السور في الضلع الشمالية الغربية ويدخل الى الساحة التي في داخـله ثم يتشعب الى عدة شعب هناك . وفي داخل السور أيضاً يدور بمحاذاة الاضلاع خندق يأخذ ماءه من النهر نفسه لايزال ظاهراً والدكتور سوسه تتبع آثار هذا النهر فوجدانه يبدأ من القاطول الاعلى الكسروي فيتفرع من ضفته اليمنى في نقطة تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من صدوره ، ثم ينحدر الى الجنوب قاطعاً المنطقة التي بين القاطول الاعلى الكسروي والقاطول الاسفل (مجرى القائم) فيعبر من فوق مجرى القائم على عبارة في الموضع المسمى (فكة القادسية) وينقسم بعد ذلك الى فرعين فرع يتجه شرقا نحو السور حيث يخترق ويدخل الى الساحة التي في داخل السور كما نوهنا اعلاه والفرع الثاني ينتهي الى نهر الصنم فيصب فيه . ولا شك ان الفرع الثاني هـذا كان

يصرف المياه الزائدة فيصبها في نهر الصنم ، ولا بد انه كان هناك بناء لتنظيم المياه .

ويلاحظ ان دائرة الآثار قد تصورت بان نهر القادسية هذا يشتق من نهر القائم وينتهي في دجلة ، وقد ذكرت ذلك في نشرتها عن سامراء المطبوعة في سنة ١٩٤٠ (ص ٧٢) فقالت ان القادسية تقع بين نهر القائم ونهر دجلة وفي طرفيها نهران مشتقان من القائم يصلان بينه وبين دجلة ، وهذا بعيد عن الواقع لأن نهر القادسية المذكور كان يأخذ ماءه من القاطول الاعلى الكسروي وبعد ان يقطع المنطقة التي بين القاطول المذكور والقاطول الاسفل (نهر القائم) يعبر من فوق نهر القائم ثم ينقسم الى فرعين فرع ينتهي الى داخل سور القادسية وفرع آخر يصب في نهر الصنم كما اسلفنا . ولا شك في ان تغير الوضع بنتيجة تحول نهر دجلة الى الشرق وتقدم مجراه شرقا ثم اقتلاع العبارة التي كان يعبر عليها النهر من فوق مجرى القائم كانا السبب الذي حدا بدائرة الآثار ان تتصور ذلك .

وقد اختلفت الآراء حول بناء سور القادسية فاعتبره بعضهم من أعمال العرب وعده البعض الاخر من أبنية الفرس ، فالدكتور روس الذي زار هذه المنطقة سنة ١٨٣٤ والتقط من جوارها القسم الاسفل من الصنم الاسود الذي كان على صدر المجرى الشتوي للنهروان ، يعتقد انه يرجع الى عهد الساسانيين ، اما مس بيل فقد خالفته في هذا الرأي ، أي انها اعتبرته من اعمال العرب . وقد ذكر كريزويل في كتابه (الفن المعاري الاسلامي القديم) انه من المحتمل ان يكون حصن القادسية من جملة أبنية المعتصم في القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء .

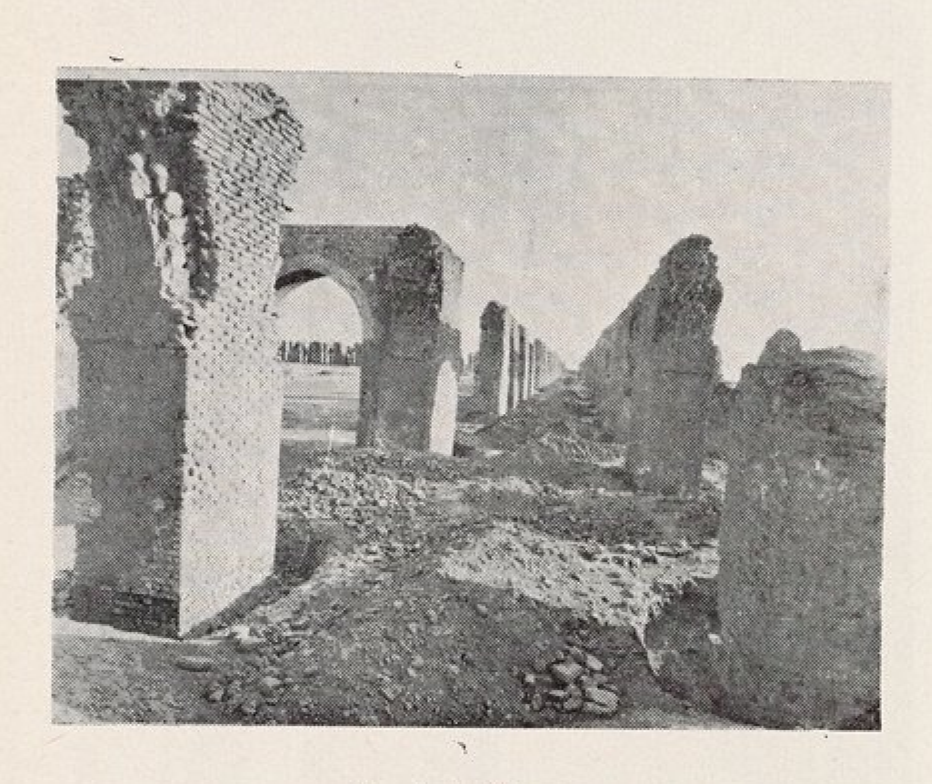
ومما يلفت النظر ان السير وبليم ويلكوكس قد ذهب الى ابعد حد في تعيين منشأ هذا السور فكان يعتقد انه يرجع الى العهد الذي انشيء فيه سد نمرود وهو عهد واغل في القدم يرجع الى ما قبل ٣٥٠٠ سنة ويعتقد فيليكس جونس ان لهذا السو ارتباطاً وثيقاً بمجرى النهروان ، وعلى هذا الاساس يجزم جزماً قاطعاً بانه بني في العهد الذي انشيء فيه النهروان ثم هجر بعد هجران النهروان واضمحلاله .

اما دائرة الآثار العراقية فقد اعتبرت سور القادسية من اعمال العرب ومن جملة الأبنية التي أنشأها المعتصم على القاطول قبل ان يقيم مدينة سر من رأى (١)

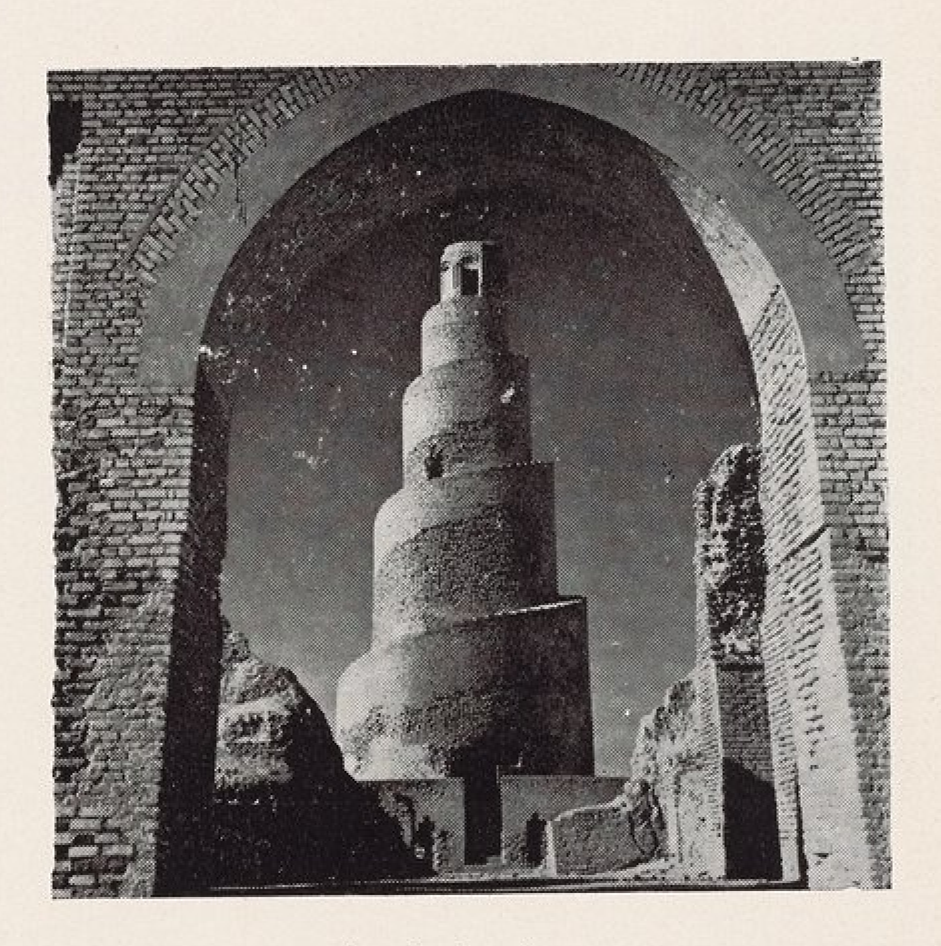
وقد شاءت دائرة الآثار العراقية ان تتمسك بهذا الرأي على لسان مديرها العام الدكتور السيد ناجي الأصيل الذي ذكر في عدد مجلة سومر الجزء الثاني المجلد الثالث تموز (١٩٤٧) ص ١٦٠ ـ ١٧٠ : ان سور القادسية من جملة ابنية المدينة التي ابتناها المعتصم على القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء . ومما يلفت النظر في هذا المقال ان تمسك دائرة الآثار العراقية بالرأي المذكور لم يستند الى دلائل مقنعة يمكن الركون اليها فى قبول ما ذهبت اليه في هذا الخصوص ، ولا سيما اذا لاحظنا ما جاء في معجم ياقوت من اشار صريحة الى ان حصن القادسية أثر للاكاسرة . فقد ذكر ياقوت في مادة (سامراء) ان الرشيد أراد بناء سامراء فبنى بحذائها قصراً وهو بازاء اثر عظيم كان للاكاسرة والقصر الذي يشير اليه ياقوت هو نفس القصر الذي أقامه الرشيد على نهر

---

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٧٣



٢٣ بقايا جامع ابي دلف



٢٤ ـ منارة جامع ابي دلف

أبي الجند في المشرحات بجوار حصن القادسية الذي يسميه ياقوت (أثراً عظيما للاكاسرة) ولا يختلف اثنان على انه لو كان المعتصم أقام حصن القادسيه وسوره لما اغفل المؤرخون العرب ذكره لا سيما وقد ذكروا من الابنية ما هـــو دون سور القادسية بكثير من حيث الضخامة والسعة. هذا كما انه لا يمكن ان يكون السور فقد اختفى عن انتباه الزائر أو التفات المستطرق نظراً لارتفاعه الذي يستوقف النظر من مسافة بعيدة.

اما رأى الدكتور احمد سوسة في الموضوع فهو يرى ان سور القادسية كان قد انشيء في زمن انشاء النهروان (اي في زمن انشاء مجريي القائم والصنم) ودليله على هذا الراي ان البناء مع دعاماته والغرف التي فيه والأروقة التي في اضلاعه من الاعمال الهائلة التي تتطلب وقتاً طويلا وجهوداً جبارة، ولا سيما اذا لاحظنا ان بناء السور يستوجب احضار ما لا يقل عن خمسين مليون لبنة من النوع الضخم الذي بني به السور. (١).

ولا يخفى ان تخطيط مثل هذا الحصن بشكله المثمن على الارض من الامور الهندسية الصعبة التي تحتاج الى مهارة هندسية ودقة فنية كما انه يحتاج الى وقت كاف ليس بالنسبة الى ذلك الوقت فقط بل بالنسبة الى وقتنا الحاضر أيضاً رغم توفر الآلات الهندسية الدقيقة التي تساعد على رصد الزوايا بصورة متقنة. ولا يسع المرء ان يتصور قيام المعتصم بمثل هذا العمل الجبار خلال المدة القصيرة التي قضاها في هذا المكان قبل ان ينتهي الى انشاء سامراء (٢)

---

(١) ري سامراء جـ ١ ص ٢٥٢

(٢) ري سامراء جـ ١ ص ٢٥٣

ان المدة التي قضاها المعتصم في القاطول لم تتجاوز الشهرين او الثلاثة اشهر على الاكثر وذلك حسب المعلومات التاريخية المتوفرة. وتثبيتاً لذلك لنتتبع خطوات المعتصم منذ ان غادر بغداد حتى انتهى الى سامراء. فقد اجمع المؤرخون على ان المعتصم غادر بغداد في سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) ويستدل مما رواه الطبري وابن الاثير ان خروجه من بغداد كان فى أواخر تلك السنة، اذ ذكر الطبري انه خرج في شهر ذى القعدة منها (١) اما ابن الاثير فبعد ان أيد خروجه فى سنة ٢٢٠ هـ ذكر بانه (صلى بالناس العيد أي عيد الاضحى) ومعنى ذلك شهر ذى الحجة من سنة ٢٢٠ هـ (أي في شهر تشرين الثاني من سنة ٨٣٥ م) ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يعد الى بغداد).

ويروي لنا اليعقوبي في كتاب (البلدان) ان المعتصم اقام فى بغداد حوالى اربع سنوات بعد ارتقائه عرش الخلافة فى ١٩ رجب من سنة ٢١٨ هـ (آب ٨٣٣ م) ثم خرج الى القاطول في سنة ٢٢١ هـ. ومع ذلك فانه يعين في تاريخه المفصل موعد خروج المعتصم الى القاطول فى منتصف ذى القعدة سنة ٢٢٠ هـ وهذا نص خروج المعتصم الى القاطول فى النصف من ذى القعدة سنة ٢٢٠ هـ فاختط موضع المدينة التي بناها واقتطع الناس القطائع وجد في البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الاسواق ثم ارتحل من القاطول الى سر من رأى (٢) كل هذا مما يدل على ان المعتصم خرج الى القاطول فى حوالي اواخر سنة ٢٢٠ هـ. او اوائل سنة ٢٢١ هـ على اكثر تقدير. ولدينا من الادلة التاريخية على انه مكث بعض الوقت

---

(١) الطبري (٣ : ١١٧٩).

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٩٨

في اماكن عديدة في طريقه بين بغداد والقاطول فتوجه اولا الى الشماسية فعزم ان يبني بها مدينة خارج بغداد (فضاقت عليه ارض ذلك الموضع وكره أيضاً قربها من بغداد فمضى الى البردان ... وذلك في سنة احدى وعشرين ومائتين وأقام بالبردان اياما لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحمشا من الجانب الشرقي من دجلة فقدر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً فلم يجده فنفذ الى القرية المعروفة بالحضيرة فاقام بها مدة ثم مد الى القاطول ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول .... ثم قال ارض القاطول غير طائلة وانما هي حصا وأفهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة (١) وقد ذكر المسعودي بعد أن وصف الاعمال التي قام بها المعتصم سنة احد وعشرين ومائتين ، وقال ابن الأثير ان ابتداء العمارة بسامراء كان في سنة احد وعشرين ومائتين (٢) اما ياقوت فقد ذكر في مادة سامراء ان المعتصم بنى سامراء ونزلها في سنة ٢٢١ هـ .

يتضح مما تقدم ان الوقت الذي استغرقه سفر المعتصم بين بغداد وسامراء ثم المدة التي قضاها ماكثاً في (الشماسية) و (البردان) و (باحشما) لتصميم البناء الذي اعتزم القيام به هناك ، مضافا الى المدة التي استغرقها البناء في القاطول وابتداء العمارة في سامراء ، كل ذلك كان في سنة ٢٢١ هـ . ومما يدل على أن المعتصم لم يسعه المكوث في القاطول أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر كأقصى حد ، فهل كان في امكانه أن ينشيء سور القادسية الجسيم ثم يحفر النهر الواسع الذي

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ج ٣ ص ١٩٨

(٢) ابن الاثير ج ٦ ص ٣٠٩

يتفرع من القاطول الأعلى وينتهي الى داخل سور القادسية في بحر تلك المدة القصيرة ؟ ...

ومن المهم ان نذكر في هذا الصدد أن خروج المعتصم كان في اوائل الشتاء وقد اتفق وصوله الى القاطول في قلب الشتاء ، أي في موسم الامطار ، وهو الموسم الذي يجعل قطع اللبن وتهيئته للبناء من الصعوبة بمكان اذ تحول الامطار دون عمله وجفافه ونظرة واحدة الى سور القادسية تحملنا على الاقتناع ـ بدون أي تردد ـ على ان تهيئة اللبن المطلوب لمثل هذا البناء الجسيم يحتاج الى موسمين صيفيين على الاقل ، على حين ان المعتصم لم يتسن له ان يقضي موسماً صيفياً واحداً في القاطول وقد أيد المسعودي وصول المعتصم الى القاطول في اوائل فصل الشتاء ومكوثه هناك خلال فصل الشتاء فقال (ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة ارضه وتأذوا ليالي ففي ذلك يقول بعض من كان في الجيش :

قالوا لنا بالقاطول مشتانا	فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأي بينهم	والله في كل يوم محدث شانا

(ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامراء) (١)

وقد اختلف المؤرخون فى منشأ فكرة اتخاذ سامراء مقر العاصمة ، فهل كان المعتصم مسبوقا بها قبل أن يغادر بغداد أو أنه يغادر بغداد او انه عمل فكرته هذه بعد ان شيد بناءه فى القاطول ثم انتهى الى سامراء عن طريق الصدفة ، فكانت الفكرة بنت ساعتها ؟ فقد جاء في الطبري ان المعتصم قبل ان يخرج الى القاطول

---

(١) ري سامراء جـ ١ ص ٢٥٥

أوفد في سنة ٢١٩ هـ أبا الوزير احمد بن خالد (لشراء موضع في ناحية سامراء فاشترى بسامراء الدير من النصارى بخمسمائة درهم واشترى موضع البستان الخاقاني بخمسة آلاف درهم واشترى عدة مواضع فعزم على الخروج اليها في سنة ٢٢٠ هـ .
فخرج حتى اذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب والمضارب وضرب الناس الأخبية ثم لم يزل يتقدم وتضرب له القباب حتى وضع البناء في سنة ٢٢١ هـ . أما اليعقوبي فيرى رأيا آخر اذ يقول ان المعتصم بعد ان بني ما بناه في القاطول ركب متصيداً فمر في سيره حتى صار الى موضع سر من رأى حيث وجد ديراً للنصارى (فعزم على ان ينزل بذلك الموضع فاحضر محمد بن عبدالملك الزيات وابن ابي دؤاد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بابي الوزير وقال لهم اشتروا من اصحاب هذا الدير هذه الأرض وادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك) وهناك ما يؤيد ان نية المعتصم كانت متوجهة نحو انشاء عاصمته في سامراء منذ سنة ٢١٩هـ فقال الطبري ان المعتصم خرج في سنة ٢١٩هـ (يريد القاطول ويريد البناء بسامراء فصرفه كثرة زيادة دجلة فلم يقدر على الحركة فانصرف الى بغداد الى الشماسية) فاذا اعتبرنا رواية الطبري صحيحـة ، وهي ان المعتصم كان مسبوقا بفكرة انشاء عاصمته في سامراء قبل ذهابه اليها فقد يصح لنا ان نقول بان البناء الذي اقامه في القاطـول لم يكن الا عملا عرضياً لا يخرج عن كونه بناء اقيم على مدخل العاصمه الجديدة (سامراء) بصورة موقتة ، وعلى هذا لا يمكن ان يشتمل على بناء ضخم مثل بناء (حصن القادسية) الجسيم وسوره العظيم ولا بد من التنويه في هـذا الصدد الى ان فكرة البناء في سامراء لم تكن من بنات افكار المعتصم وانما قد سبقه الرشيد اليه وفيما ذكره ياقوت من ان (الرشيد اراد بناء سامراء ثم بناها المعتصم

ونزلها في سنة ٢٢١هـ) أوضح دليل على ذلك (١)

وفضلا عن ما تقدم فان هناك ادلة تاريخية على ان موقع القادسية كان موجوداً في عهد الفرس حيث كانت هناك منتزهات تعد من اجمل المتنزهات العراقية في ذلك العهد. ولدينا في تسمية القادسية نفسها ما يجعلنا ان نتحول بتفكيرنا الى قادسية الكوفة التي تعود الى عهد الفرس ، وهذا يؤيد ترجيح رجوع تسمية قادسية سامراء الى ذلك العهد ايضاً لوجود الشبه بين التسميتين .

وأخيراً نرى فيما ذكره ياقوت من ﴿ ان الرشيد بنى قصراً بازاء اثر عظيم كان للاكاسرة ﴾ دليل تاريخي موثوق على ان حصن القادسية من عمل الاكاسرة ، ولا شك في ان المقصود بـ ﴿ الأثر العظيم ﴾ حصن القادسية نفسه ، وهو الحصن الذي لا يزال بعد اعظم اثر في منطقة القادسية حتى الآن .

ولنفترض سؤالا آخر : فاذا قلنا ان سور القادسية من عمل المعتصم فما هي الاسباب التي دفعت به لانشاء هذا الحصن الضخم المنيع ؟ ... ولا بد من الملاحظة في هذا الصدد بان تصميم بناء هذا الحصن يمتاز بفنه الهندسي الدقيق الامر الذي يدل على انه وضع بعد دراسة فنية دقيقة وتحريات تمهيدية عميقة استغرقت بعض الوقت على عكس ما نراه في الأبنية المجاورة التي تدل بقاياها على انها بنيت بدافع الحاجة الآنية ووضعت تصاميمها بصورة ارتجالية ، واذا ما قارنا تصميم بناء (حصن القادسية) مع شكل بناء (معسكر الاصطبلات) في الجهة

---

(١) ري سامراء جـ ١ ص ٢٥٧

الغربية من نهر دجلة ، وهو المعسكر الذي أنشأه المعتصم على ما نعتقد ، اتضح لنا الفرق العظيم بينهما . هذا من جهه أما من حيث الدلائل الفنية التي لا تقبل الشك فهناك ما يدل على ان النهر الذي كان يأخذ ماءه من القاطول الكسروي وينتهي الى داخل حصن القادسية هو نهر قديم للغاية وانه واسع بحيث لا يمكن ان نتصور عمله من قبل المعتصم ، اذ لم يكن لدى المعتصم الوقت الكافي لقيامه بمثـــل هذا المشروع الضخم ، هذا الى ان هناك دلائل تؤيد لنا بان الحصن انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه (النهروان) وذلك بين صدريه (مجرى القائم ومجرى الصنم) كما ان هناك دلائل ثابتة تؤيد ان النهر الذي ينتهي الى الحصن انشيء بعد ان اقام كسرى مشروع القاطول الاعلى الكسروي ثم هجر النهر ومعه الحصن بعدان هجر مجرى القائم الذي يقع عليه الحصن في اواخر عهد كسرى عندما حفر مجرى القورج مكانه . ولا يخفى ان مجرى القائم والصنم كانا مندرسين ومهجورين وكذلك حصن القادسية ، حين قرر الرشيد ترك مجرى القورج والرجوع الى صدري القائم والصنم باعادة حفر الاول .

وقد أعاد الرشيد احياء مجرى القائم ولكنه لم يفكر في اعادة احياء نهر القادسية القديم الذي كان يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى حصن حيث لم يعد بحاجة اليه بعد ان هجر حصن القادسية . على أن من المحتمل انه استغل القسم الشمالي من هذا النهر فاعاد حفر هذا القسم لايصال المياه الى حدائق قصره في (المشرحات) شمالي شرقي حصن القادسية على الضفة اليسرى لنهر القائم ، وكذلك لايصال المياه الى الاراضي المجاورة للقصر من الشرق والجنوب ما بين

القاطول الاعلى(١) ومجرى دجلة القديم . والدليل على هذا الاحتمال اننا نجدعدداً من المجاري المندرسة في صدر هذا النهر يرجح ان بعضها حفر في زمن الرشيد للغرض المذكور وعلى كل فان وجود كثرة هذه المجاري يدل على انه كان من الصعب ادخال المياه الصيفية في النهر نظراً لعدم وجود ناظم أو سد على مجرى القاطول الاعلى الذي يمكن حجز المياه امامه ورفع مناسيبها لتأمين دخولها الى النهر في كل المواسم حسب مقتضى الحاجة ، وسنرى كيف تلافى المتوكل ذلك عندما اعتزم انشاء حدائقه في المشرحات ولعل السبب في عدول الرشيد عن انجاز المدينة التي كان ينوي انشاءها في هذه المنطقة صعوبة ايصال المياه اليها في كل مواسم السنة بصورة منتظمة (٢)

كل هذه الدلائل مجتمعة تثبت لنا ان سور القادسية انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه النهروان (أي في عهد الفرس) وانه انشيء جريا على العادة المألوفة في ذلك الوقت ، وهي اقامة حصون منيعة على صدور الجداول المهمة للمحافظة عليها والحيلولة دون وقوعها بيد العدو، اذ يؤدي استلاؤه عليها الى قطع الماء عنها . ولا شك في ان هذا الحصن انشيء في الوقت الذى كانت البلاد مهددة بغارات الرومان وغزوهم دوما .

واذا سلمنا بالنظرية القائلة بان مشروع النهروان نفسه كان في الأصل مشروعا عسكريا دفاعياً اكثر منه زراعيا يسهل علينا ادراك ضرورة وجود مثل هذا الحصن على صدر النهر .

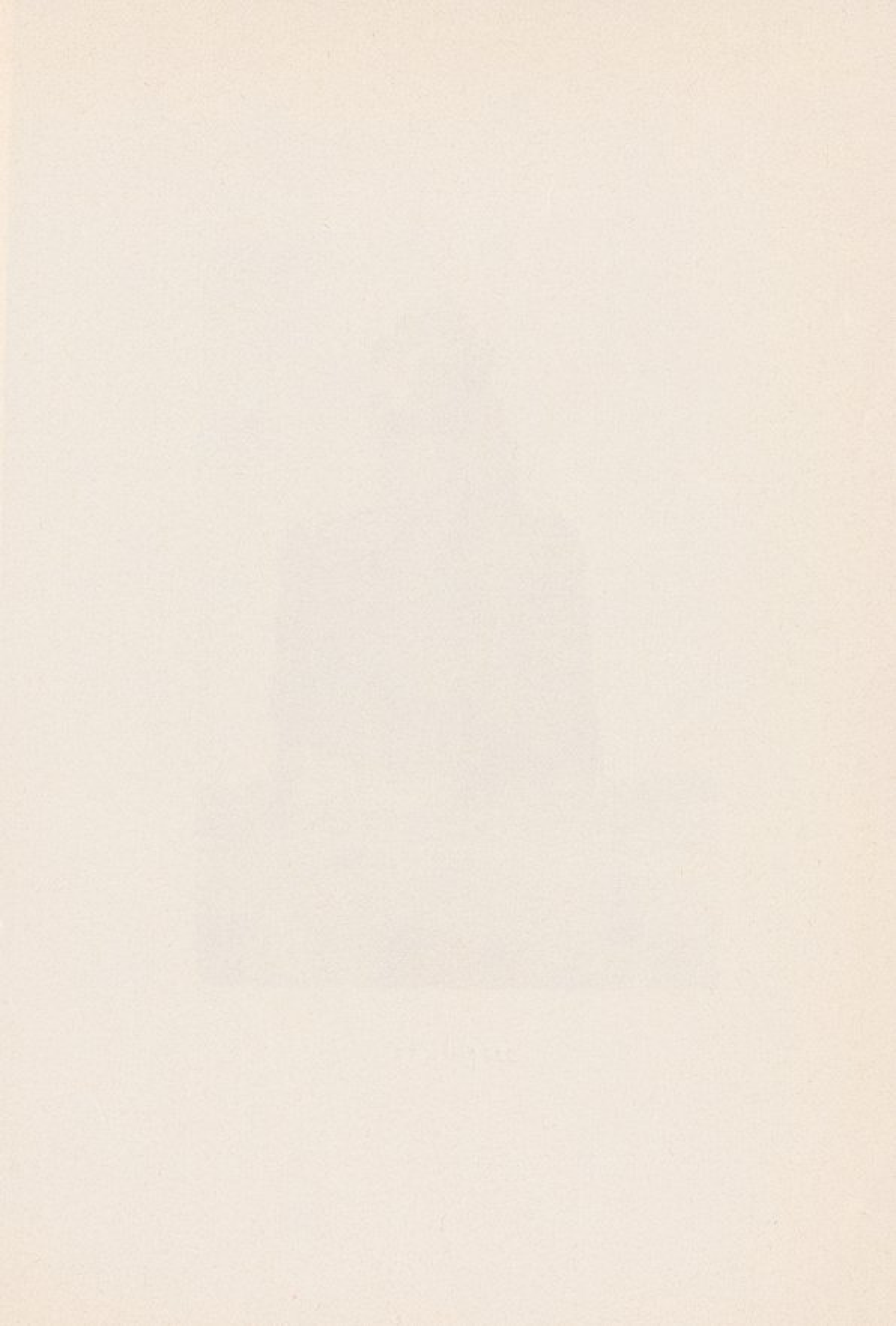
---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٨

(٢) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٩



۲۵ ـ امام دور



واخيراً فان هناك نقطة لا بد من الاشارة اليها وهي ان اللبن الذى انشيء به حصن القادسية أقرب الى احجام اللبن أو الآجـر الذي استعمله الفرس في بناياتهم منه الى أحجام اللبن أو الآجر الذي استعمله العرب ، وقد لاحظ الدكتور احمد سوسة ان حجم اللبن الذي بني به حصن القادسية (وهو ٤٧ × ٣٠ × ١٥ سنتمتراً) قريب جداً من حجم الآجر المستعمل في بناء السد الغاطس المبني فى ذنائب القاطول الأعلى الكسروي ، وهو السد الذي لا مجال للشك في انه من آثار الفرس وهناك أبنية أخرى مبنية بلبن من هذا الحجم وهي من الابنية التي ثبت رجوعها الى عهد الفرس أو الى ما قبله واعني بها (قلعة الناي) التي بني سورها بلبن حجمه (٤٥ × ٤٠ × ١٥) سنتمتراً وجدار المطبق وقلعة ام الرؤس المبنيتين باكبر انواع اللبن القديم ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى ان الدكتور سوسة لم يعثر أثناء تجوالاته الكثيرة فى خرائب سامراء العربية على بناء مبنى بلبن يضاهي حجمه حجم اللبن الذي انشيء به حصن القادسية .

والظاهر ان منطقة القادسية هذه بما فيها القاطول الاسفل (مجرى القائم) كانت من اجمل المتنزهات في زمن العرب فقـد وصف الشعراء والكتاب حدائقها واديرتها بكثير من الاطراء ، وهذا (دير السوسي الذي يقول فيـه ابن المعتز :

يا ليالي بالمطيرة والكرخ	ودير السوسي بالله عودي
كنت عندي أنموذجات من	الجنـة ولكنها بغير خلود

وقد كتب الشابشتي فى صفة القادسية قوله (والقادسية من أحسن المواضيع وانزهها وهي من معادن الشراب ومناخات المتطربين ، جامعة لما يطلب أهل البطالة

والخسارة وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بير كوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز) .

وكانت منطقة القاطول والقادسية من أحب المتنزهات وساحات الصيد لدى خلفاء بني العباس فكانوا يقصدونها لقضاء أوقات طربهم وانسهم فيها كما كانوا يقصدونها للقنص والصيد حيث كانت اطيـار البركة والماء موفورة فى المنطقة نفسها .

وقد جاء في الأغاني ما يشير الى ان المعتصم كان يقضي بعض أوقاته في منطقة القاطول وهذا نص ما ذكره صاحب الكتاب في هذا الصدد قال :

« أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني ابراهيم بـن أبي دلف العجلي قال كنا مع المعتصم بالقاطول وكان ابراهيم بن المهدى في حراقته بالجـانب الغربي وأبي واسحاق الموصلي فى حراقتيهما في الجانب الشرقي فدعاهما يوم جمعـة فعبرا اليه في زلال وأنا معهما وانا صغير وعلي أقبية ومنطقة فلما دنونا من حراقة ابراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة واذا في يديه كأسان وفي يديها كأس فلما صعدنا اليه اندفع فغنى :

حياكما الله خليليا	ان ميتاً كنت وان حيا
ان قلتما خيراً فأهل له	أو قلتما غياً فلا غيا

ثم ناول لكل واحد منهم كاساً وأخذ هو الكاس الذى كان في يد الجارية وقال اشربا على ريقكما ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ثم أخذوا العيدان فغناها ساعة وغنياه وضرب وضربا معه وغنت الجارية بعدهم فقال لهـا أبي احسنت

مراراً فقال له ان كانت أحسنت فخذها اليك فما أخرجتها الا اليك (١)

واليك ما ذكره ابراهيم بن الحسن بن سهل عن الواثق ، وهو يتصيد على القاطول قال (كنا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد فصاد صيداً حسناً) وهو في الزو (٢) من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك . ثم رجع فتغدى ، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب وقال من ينشدنا ؟ فقام الحسين بن الضحاك فانشده :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقياه مناكب قصركا

حتى انتهى الى قوله :

تحين للدراج في جنباته وللغر آجال قدرن بكفكا (٣)

والظاهر ان القصر المشار اليه في البيت الاول هو قصر الرشيد الذي على القاطول ، وهو نفس قصر المشرحات الذى بناه الرشيد ، وقد كان موجوداً على حالته الاصلية فى عهدي المعتصم والواثق حتى اذا جاء المتوكل أعاد بناءه من جديد واضاف عليه بركة البحتري المشهورة .

ولما تولى الواثق الخلافة جلس الناس ودخل اليه المهنئون والشعراء ومن جملة ما نظمه احدهم فى وصف السفينة التي كان يركبها الخليفة فى دجلة والقاطول الابيات التالية :

الى خازن الله في خلقه سراج النهار وبدر الظلم

رحلنا غرابيب زفافة بدجلة في موجها الملتطم

---

(١) الاغاني ج ٩ ص ٥٤ و ٨٣

(٢) الزو : نوع من السفن كان منتشراً في العهد العباسي

(٣) الاغاني ج ٧ ص ١٥٨

اذا ما قصدنا لقاطولها ودهم قراقيرها تصطدم
سكنا الى خير مسكونة يتممها راغب من أمم

وقد وصف البحتري احدى نزهات المتوكل بالزو على القاطول قال :

أبى يومنا بالزو الا تحسنا لنا بسماع طيب ومدام
غنينا على قصر يسير بفتية قعود على أرجائه وقيام
تظل البزاة البيض تخطف حولنا
جآجىء طير في السماء سوام
تحدر بالدراج من كل شاهق مخضبة اظفارهن دوام
فلم أر كالقاطول يحمل ماؤه تدفق بحر بالسماحة طام
ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد أما قدته بزمام

ثم وصف البحتري الزو في قصيدة اخرى قال :

تعجبت من فرعون اذ ظن انه إ له لأن النيل من تحته يجري
ولو شاهد الدنيا وجامع ملكها لقل لديه ما يكثر من مصر
ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذي نالت يداه من الأمر
اذاً لرأى قصراً على ظهر لجة يروح ويغدو فوق أمواجها تجري
تصاد الوحوش فى حفاف طريقه وتستنزل الطير العوالي على قسر

وقد بلغت منطقة القاطول والقادسية ذروتها في الجمال والتنسيق على عهد المتوكل فقد اشغل المتوكل الساحة الواسعة الواقعة بين القاطول الأعلى الكسروي وقاطول الرشيد الاسفل (نهر القائم) وأنشأ فيها حديقة فسيحة للحيوانات ثم أقام على الطرف الجنوبي من هذه الحديقة قصراً واسعاً ، فى مكان قصر الرشيد

القديم فى المشرحات ، وساحة كبيرة خلف القصر تتصل بضفة القاطول الاسفل اليسرى . وقد أنشأ أمام هذا القصر من جهة الشمال البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحتري ، وفوق كل هذا استغل مياه القاطول الأعلى فأنشأ ناظماً قاطعياً على مجراه وفتح نهراً من أمام هذا الناظم لايصال المياه الى حديقة حيواناته وبركة قصره .

وقد وصف جحظة البرمكي منطقة القاطول والقادسية فأنشد فيها أبياته التالية :ـ

الأهل الى الغدران والشمس طالعة	سبيل ونور الخير مجتمع الشمل
ومستشرق للعين تغدو ضياؤه	صوائد ألباب الرجال بلا نبل
الى شاطيء القاطول بالجانب الذي	به القصر بين القادسية والنخل
الى مجمع للطير فيه رطانة	يطيف به القناص بالخيل والرجل
لحانة من عيد اليهودي انها	مشهرة بالراح معشوقة الأهل
وكم راكب ظهر الظلام مفلس	الى قهوة صفراء معدومة المثل
اذا نفذ الخمار دنا بمنزل	تبينت وجه السكر فى ذلك النزل
وكم من صريع لا يدير لسانه	ومن ناطق بالجهل ليس بذي جهل
ترى شرس الاخلاق من بعد شربها	جدير ببذل المال والخلق السهل
جمعت بها شمل الخلاعة برهة	وفرقت مالا غير مصغ الى العذل
لقد غنيت دهراً بقربي نفيسة	فكيف تراها حين فارقها مثلي

ومما يسترعي الانتباه ان وصف جحظة للقصر من انه يقع بين القادسية والنخل ينطبق على موقع المشرحات الذي كان فيه قصر الرشيد ثم صارفيه قصر

قصر المتوكل بعد ان أضاف اليه حير الحيوانات ، لان المشرحات تقع بين القادسية من جهة (وأراضي الأجوى) التي فيها مزرعة حسين زغير الحالية من الجهـــة الثانية . والدليل على ان النخيل الذى يشير اليه جحظة كان في أراضي الاجوى المذكورة (جمع جوة) ان هذه الاراضي تؤلف سهلا خصباً يستدل من تخطيطه وتسميته بالأجوى على انه كان مقسماً الى بساتين . وممـــا لا شك فيه ان هذه البساتين كانت تروى من القاطول الاعلى الكسروي بالطريقة السيحية .

وتدل الروايات المحلية المتواترة على انه عثر على بعض جذور نخيل قديمة في جوف الاراضي المذكورة أثناء حرثها أو حفر الآبار فيها مما يؤيد انها كانت بساتين نخيل .



برج القائم

يتكون هذا البرج من بناء مربع الشكل يبلغ طول ضلعه حوالي ستة امتار وارتفاعه عن الارض المجاورة ١٥ الى ٢٠ متر ويقع على فم مجرى القائم تماما وقد سمي في اكثر الخرائط باسم (امام القائم) على حين انه لا يوجد فيه غير آثار منارة قديمة هي أقرب الى شكل النصب التذكاري أو البرج من القبر . ويظهر من الآثار المتبقية ان بناء البرج الداخلي بني بالجص والحصى الخشن . والارجح ان وجه البناء كان مغلفاً بطبقة من الآجر عليها بعض الكتابة وان هذه الطبقة تخربت او قلعت منها مادة الآجر التي فيها لاستعمالها في ابنية سامراء ، ويلاحظ في الجهة الشرقية من البرج آثار يستدل منها على انه كان فى تلك الجهة سلم مدرج يصعدالى قمة البرج .

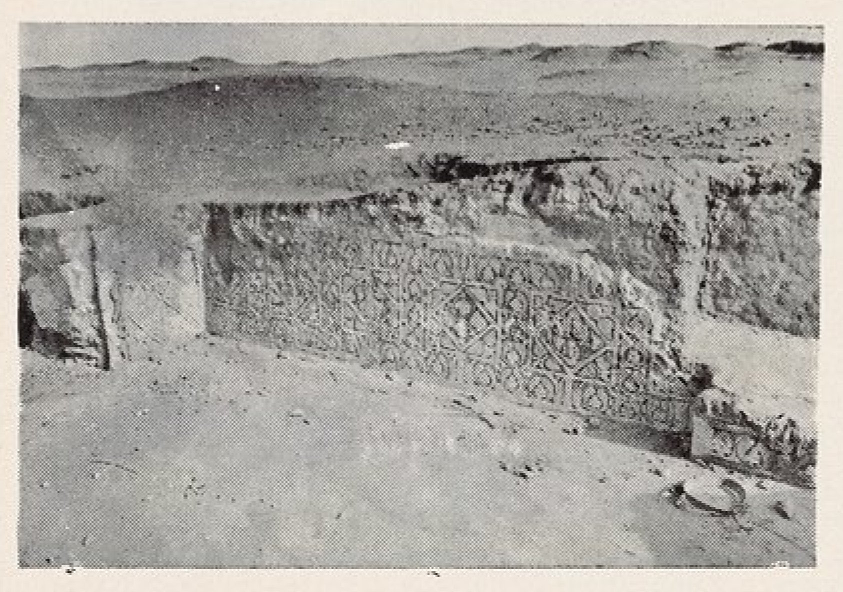
ويعتقد البعض بان البناء كان نصباً تذكاريا اقيم بمناسبة انشاء الجدول وهي الطريقة المتبعة منذ اقدم العصور حتى الآن عند انشاء الجداول فيدون عادة على النصب اسم القائم بالمشروع وتاريخ انشاء المشروع وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمشروع وقد اختلف المحققون في أمر تعيين تاريخ البنـــاء فبعضهم وفى مقدمة هؤلاء المس بيل تعتقد بانه أقيم عندما انشيء المشروع ولذلك فهـو أقدم

من العصر العربي (١)

والذي نراه هو ان البرج قديم جداً والارجح ان البناء الاصلي يرجع الى العصر الذي انشيء فيه النهروان فى الاصل ثم اعيد انشاؤه على عهد الرشيد عندما اعاد الرشيد حفــر المجرى نفسه ، ولعـل المتوكل أضاف اليه بعض الزخارف او قام بتقويته والدليل على هذا ان الحموي يذكر بان القائم (بنية كانت قرب سامراء من أبنية المتوكل) كما ان ابن عبد الحق يؤيد ذلك بقوله ان القائم (بنية قرب سامراء من أبنية المتوكل) وذكر الشيخ ذبيح الله المحلاتي في كتابه (مآثر الكبراء في تاريخ سامراء) القائم فقال اسم موضع قرب سامراء يبعد عنها نحو ثمانية كيلومترات من جهة الجنوب والقادسية بينه وبين دجلة ، والقائم ايضاً اسم لدير كان في طريق الرقة ببغداد لان عنده مرقباً عاليـاً كان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف بين المملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد وفيه يقول ابن المغني

بدير القائم الاقصى	غزال شادن احوى
برى حبي له جسمي	ولا يدري بما القى
واكتم حبه جهدي	ولا والله ما يخــفى

(١) ري سامراء ١ج ص ١٤٧ ، ١٤٨



٢٦ ـ زخارف جصية في سامراء



٢٧ - الزخارف الخشبية فى سامراء

تل الصوان

يقع هذا التل على بعد عشرة كيلومترات تقريباً جنوبي مدينـة سامراء الحالية ويقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة عن علو يقرب من ١٢ متر وشكله بيضوي تقريباً ويبلغ طوله (٢٣٠م) من الشمال الى الجنوب ، وعرضه من الشرق الى الغرب (١١٠) أمتار ، وقد عثر كل من الدكتور هرتسفلد والدكتور احمد سوسه خلال تنقيبهما على بعض الفخار والآثار التي تدل على ان منطقة سامراء كانت آهلة بالسكان منذ اقدم العصور ، وبالرغم من وجود بعض الدلائل المادية التي تشير الى وجود آثار من عصور ما قبل التاريخ في سامراء او تلقي اضواء على عراقة قدم هذه المنطقة ، فكان ذلك يفتقر الى المزيد من الادلة والاستنتاجات التي تدعمها التنقيبات العلمية المنظمة والبحث الاثري الحديث ، وفعلا قامت مديرية الآثار العامة في ١٧ شباط حتى ٢٠ من مايس ١٩٦٤ م بارسال هيئة من موظفيها برئاسة الاستاذ بهنام ابو الصوف للقيام بتنقيبات علمية منظمة في الموقع(١) المعروف (بتل الصوان) او تل ابي الصوان نسبة الى الآلات والادوات المعمولة وشظايا حجر الصوان المنتشرة

(١) مجلة صوت الاسلام عدد ٨ ص ٨ السنة الاولى ١٩٦٣ الاستاذ سالم الآلوسي مقال بعنوان (تل الصوان) .

والمبثوثة على سطحه ، ويقع هذا التل قرب النصب التذكاري المعروف لدى السكان المحليين وأهالي سامراء : (القائم) او (الگايم)

وتوصلت هذه الهيئة الى الكشف عن خمس طبقات بنائية يرجع أقدمها (الطبقة الاولى أي السفلى) الى بداية الالف السادسة قبل الميلاد ، كما تعود أحدثها (الطبقة الخامسة العليا) الى أواخر ذلك الألف . وقد أتت هذه التنقيبات بنتائج مدهشة من وجهة النظر الآثارية ، فقد تم الكشف عن طبقات بنائية متعاقبة شيدت باللبن المعمول بقالب حيث يعتبر بحد ذاته كشفاً جديداً فيما يخص العمارة في العراق اذ لم تعرف سابقاً أبنية من دوري حسونة وسامراء شيدت بمثل هذا اللبن المنتظم

ويرتفع التل المذكور عن مستوى السهل بحوالي ثلاثة امتار او اكثر بقليل في اعلا نقطة منه ويطل على نهر دجلة من ارتفاع اثني عشر متراً ، والتل بشكله العام يتألف من ثلاثة مرتفعات اعلاها وسطها وقد استغل السكان المحليون هـذا الارتفاع فاتخذه مدفناً لموتهاهم مما أحدث فيه تخربات كبيرة، تضاف الى التخريبات والتشويهات في سطحه الناجمة عن قيام الفلاحين والمزارعين المحليين باخذ السمادمنه

وقد بدأ العمل او التنقيبات في هذا التل بشق خندق في الجهة الغربية منه فعثر على عدد من الابنية كما عثر في داخل هذه الابنية على عدد من المواقد دائرية الشكل وعلى اوان وكسرات اوان من الحجر والفخار من عصور سامراء الى الالف السادسة قبل الميلاد ومن ازمنة تسبق ذلك وعلى عدد من الاصنام والتماثيل المصنوعة من الفخار والحجر كما عثر على بناية منتظمة على شكل حرف T تدل مضاهرها على

---

(١) مجلة سومر مجلد ١٩ ص ٢ من مقال للدكتور فيصل الوائلي مدير الآثار العام سنة ١٩٦٣

انها كانت محلا للعبادة لسكان الطبقة الرابعة (طبقة سامراء) مما يثبت نشوء العقيدة الدينية قبل الميلاد فى هذه المنطقة وكذلك نشوء البنايات الدينية وهي المعابد بشكلها المبسط ، ومما يقوي هذا الاعتقاد ان هذه البناية كبيرة الشبه بمعابد عصر العبيد في موضع تبه كورا والعقير واريدو .

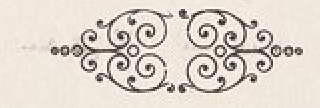
كما توصلت البعثة الى اكتشاف خندق دفاعي يحيط بمستوطن الطبقة الاولى السفلى على ما يرجح من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والجنوبية وينحدر جانبا هذا الخندق انحدارا شديداً الى قرار لا يتجاوز عرضه (٥٠ سنتمتراً) أما فتحة الخندق عند السطح فيتجاوز عرضها المترين ويبلغ عمق الخندق نحو (٣) أمتار ويعد هذا الخندق أقدم واول خندق دفاعي وجد في العراق ويبدو ان التحصينات الاولى عرفها سكان الشرق القديم منذ ذلك الزمن السحيق في القدم اذ وجدت معالمها أيضاً في مدينة أريحا في الاردن . ومن الاكتشافات الجديدة التي حققتها البعثة الوقوف على مجاميع كبيرة من الأواني صنعت من المرمر الشمعي باحجام وأشكال مختلفة مع مجموعة من التماثيل الصغيرة الحجوم من نفس الحجر يقرب عددها من خمسين تمثالا ، ومن الجدير بالذكر ان الاواني والتماثيل قد وجدت في قبور أغلبها للاطفال مدفونة تحت الارضية في غرف بنايات الطبقة الاولى السفلي ان اكتشاف هذه المجموعة من التماثيل والاواني الحجر يعتبر فريداً في بابه اذ انها اول مجموعة يكشف عنها فى هذا الدور في هذه المنطقة (منطقة الشرق الاوسط) .

وفي عام ١٩٦٥ في شهر ربيع ارسلت مديرية الآثار بعثة للتنقيب فى تل الصوان بعد النتائج التي اسفرت عنها تنقيبات الموسم الاول اي في عام ١٩٦٤ وقد تم الكشف فى التنقيبات الاخيرة عن الضلع الشمالي من الخندق ، ويبدو واضحاً ان

الخندق قد أهمل في الطبقة الثالثة بدليل اكتشاف هذه الابنية التي انشئت فوقه في هذه المنطقة وقد عثر على بقايا باب من القصب المثبت بمادة القير وكشفت الحفريات عن عدد كبير من القبور تحت الطبقة السفلى ومما تجدر الاشارة اليه ان العدد الكبير من الهياكل العظيمة وجدت غير كاملة لفقد قسم من اجزائها ، ولا بد من الاشارة الى عدم وجود دليل قاطع بشأن هذه الهياكل الناقصة ودفن أجزاء من الجسم في في محلات خاصة ، الا ان أغلب الظن هو ان هذا النقص قد حدث لاسباب طبيعية قد يكون منها وجود بعض الحيوانات القاضمة التي عثر على هياكل بعضها ، كما عثرت على اعداد كبيرة من التماثيل الحجرية الصغيرة . والملاحظ انها تتميز بدقة صنعها ووضوح تفاصيلها بالقياس الى التماثيل التي عثر عليها في الموسم الاول ، ولعل أبرز ما في هذه المجموعة دمية من الطين المشوي لرجل جالس بهيئة القرفصاء وقد برزت اعضاؤه التناسلية بوضوح . وهذا أمر غير مألوف بالنسبة لتماثيل تل الصوان وتحمل بعض التماثيل على اعناقها قلائد من خرز الشذر الازرق وكشفت حفريات هذا الموسم عن اعداد كبيرة من الاواني الحجرية ذات الاشكال المختلفة التي تدل على دقة ومهارة فائقة في النحت في هذه الفترة السحيقة في القدم . وان اهم ما ذكر هو عثور البعثة على قطع من النحاس بعضها على هيئة خرز فوق الطبقة الاولى وتحت الطبقة الثانية ، ووجدت قطعة أخرى في يعود الى الطبقة الاولى وعلى الارض البكر مباشرة ، وكانت موضوعة تحت عظام رقبة الهيكل العظمي ، ولا يخفى ما في هذا الاكتشاف من اهمية كبرى ، اذ يشير الى معرفة الانسان بالنحاس في بداية الالف السادس قبل الميلاد ويعزز الرأي الذي أبداه الاستاذ ملارت (Yemes mellaart) في تقريره عن الحفريات التي اجراها في موقع جتل هويوك في تركيا ، فيما يخص العصر المعدني والرجوع

بتاريخه الى فترة أقدم واذا أخذنا بنظر الاعتبار عدم وجود النحاس في هـــذه المنطقة فان استعماله يشير الى وجود صلات بين الاقوام التي سكنت هذا الموقـع وبين مناطق بعيدة خارج العراق يوجد فيهـــا النحاس وفي عام ١٩٦٧ اجريت تنقيبات وتحريات في التل المذكور وعثر على معلومات مفيدة .

ان هذه المعلومات النادرة عن تل الصوان التي تمثل اقدم قرية زراعيـــة ومستوطن زراعي في منطقة سامـراء في وسط العراق .



اطلال المشرحات

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء)(١) المشرحات فقال اما القصر الذي أنشأه الرشيد على قاطوله والمدينة التي شرع في انشائها هناك لم تتم فاننا نميل الى الاعتقاد بانهما يقعان في المكان المعروف باسم (المشرحات) وهذا يقع في شمال شرقي سور القادسية على الضفة اليسرى لمجرى القائم (نهر ابي الجند) وعلى بعد ستة كيلومترات تقريباً من صدر المجري المذكور . ويمكن الوصول الى موقع (المشرحات) هذا من سامراء باتباع طريق الضلوعية الذي يسير فى الاتجاه الجنوبي الشرقي ثم بعد الوصول الى (بئر العجم) الواقعة على مسافة ثلاثة عشر كيلومترا من سامراء الانحراف عن الطريق العام والنزول الى الجنوب حيث تقع (خرائب المشرحات) على بعد اربعة كيلومترات من (بئر العجم) وترتفع (تلول المشرحات) هذه الى اكثر من اربعة امتار عن سطح الارض ويمكن مشاهدتها من (بئر العجم) والاتجاه نحوها بدون أية صعوبة .

أما دليلنا على ان القصر الذي انشأه الرشيد على القاطول والمدينة التي شرع في انشائها هناك يقعان في موضع (المشرحات) المتقدم ذكره هو انه لا يوجد

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢

موضع آخر في هذه المنطقة ينطبق عليه الوصف الذي دونه المؤرخون عن القصر والمدينة فقد عين المؤرخون موضع القصر والمدينة على القاطول أو نهر ابي الجند المسمي حاليا نهر القائم بالقرب من صدره ، ولا توجد اطلال على مجرى القائم في الموضع المشار اليه يصح ان تمثل بقايا قصر مهم كالقصر المذكور غير (اطلال المشرحات) ويلاحظ ان المؤرخين لما وصفوا مواضع قصر الرشيد لم يتطرقوا الى ذكر نهر دجلة على حين انهم ذكروا ان القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي أنشأها على القاطول كانا يطلان على دجلة الامر الذي يدل على أن قصر الرشيد ومدينته كانا بعيدين عن دجلة . وهذا ماينطبق تماماً على موقع (المشرحات) المار الذكر . ويلاحظ أيضاً ان الرشيد لما أعاد حفر نهر أبي الجند (نهر القائم) أمر بوضع كل الاتربة المستخرجة من قعر النهر على الضفة اليمنى مما يدل على أنه كان يرغب في ان يجعل مدينته وقصره يشرفان على النهر المذكور لان وضع الاتربة على الضفة التي انشأ فيها قصره ومدينته يكون تلولا عالية تسد منظر النهر عن المدينة والقصر . وفضلا عن ذلك فان موضع (المشرحات) هو المكان الوحيد في منطقة القاطول الذي تجمع فيه الوسائل اللازمة لجعله لائقـاً لان يكون منتزهاً للخليفة فهو يقع بين النهرين (القاطول الاعلى الكسروي) و (قاطول الرشيد الاسفل) وفي أرض سهلة ذات تربة صالحة لانشاء البساتين والزراعة ، كما انه يمكن ايصال المياه اليه من (القاطول الاعلى الكسروي) بالطريقة السيحية بكل سهولة . وهناك مايدل على ان الرشيد لما انشأ قصره فى هذا الموضع (اي موضع المشرحات) اعاد فتح النهر القديم ، الذي يتفرع من الضفة اليمني لنهر القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى (حصن القادسية) وهو النهر الذى كان قد هجر بعد ان انشأ كسرى انوشروان نهر القورج

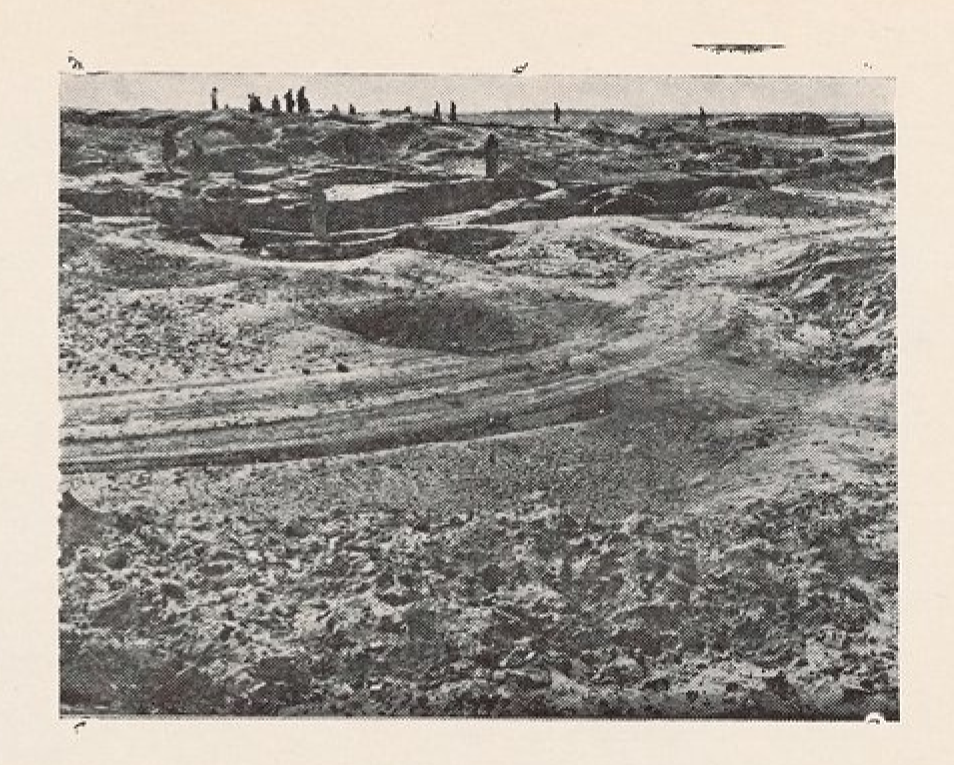
بدلا من مجرى القائم (مجرى النهروان الاصلي) وذلك باستخدام القسم الاعلى من هذا النهر لايصال المياه الى قصر المشرحات وحدائقه .

ومما يدل ان قصر الرشيد المذكور كان عامراً في زمن المعتصم نزل فيه عندما جاء الى هذه المنطقة وشرع فى بناء مدينته فيها ، والذى نراه ان قصر الرشيد هذا بقي على حاله في عهد المعتصم حتى جاء المتوكل فبنى قصراً جديداً مكانه وانشأ امام القصر الجديد البركة الجعفرية المشهورة التى وصفها البحترى ، كما انه انشأ حير الحيوانات هناك ولايصال المياه بصورة دائمة الى القصر والحير اعاد تنظيم النهر الذى كان قد أوصله الرشيد الى قصره فى هذا الموضع بانشاء ناظم قاطعي على مجرى القاطول الاعلى الكسروي وقد سمي النهر في هذا الدور (نهر نيزك) .

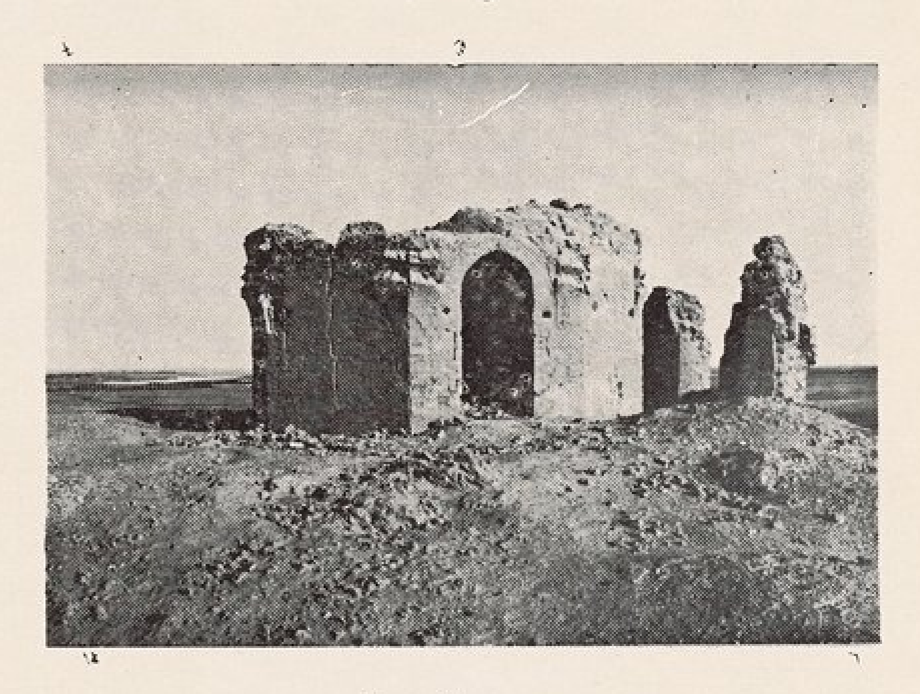
بناء على ماتقدم لا يسعنا الا ان نرى فيما ذكرته دائرة الآثار العراقية على لسان مديرها العام السابق معالي ناجي الاصيل في مقال (مدينة المعتصم على القاطول) من أن خرائب (المشرحات) الواقعة على الضفة الشرقية للقاطول (مجرى القائم) من جملة بقايا قصر المعتصم تسرعا ظاهراً وان استنتاجها هذا غير مبني على دلائل مقبولة سواء أكانت تاريخية أو واقعية . فلو كان امتد بناء المعتصم الى منطقة المشرحات الواقعة على الجانب الايسر للقاطول (مجرى القائم) لما ذكر اليعقوبي بان (المكان الذى انشأ فيه المعتصم أبنيته على القاطول ليس فيه سعة وان اراضيه متكونة من حصى وافهار بحيث يصعب البناء عليها) لان البقعة التى في جهة المشرحات تؤلف اوسع بقعة من اراضي سامراء المهملة الخصبة التي تصلح لانشاء البساتين والدور وهي تقع بين القاطول الاعلى الكسروى وقاطول الرشيد الاسفل) فتمتد الى مسافة حوالي عشرين كيلومتراً في الطول وزهاء اربعة عشر كيلومترا في



٢٨ ـ منظر جوي للمتوكلية



٢٩ ـ تل الصوان



٣٠ ـ قبة الصليبية

العرض ويمتاز موقع هذه البقعة بسهولة ايصال المياه اليها سيحاً من القاطول الاعلى هذا كما ان منطقة (المشرحات) علاوة على سعتها تتكون من تربة خصبة ليس فيها حصى ولا افهار ثم لو كان مشروع النهر الذي انشيء في تلك المنطقة لايصال المياه الى حصن القادسية وبناء (المشرحات) من عمل المعتصم لما كان هناك ما يحمله على الانتقال الى سامراء ولا سيما وانه يتعذر انشاء مثل هذا المشروع الممتاز في أي مكان آخر من تلك المنطقة كل ذلك يؤيد استنتاجنا المتقدم وهو ان المدينة التي شرع المعتصم في بنائها على القاطول ثم استبدل مكانها بموقع سامراء تقع على الضفة اليمنى لمجرى القائم في جوار (حصن القادسية) الذي كان قد أنشأه الفرس من قبل ممتدة من تلك الضفة غربا الى نهر الصنم الاسفل (مجرى القاطول الشتوي) ثم الى ضفة نهر دجلة غربي نهر الصنم . اما موضع المشرحات فهو مكان قصر الحير والبركة التي أمامه وان أوضح دليل على أن قصر الحير والبركة من عمل المتوكل هو ان السور الذي يحيط بالمشرحات وهو السور الذي يضم حير الحيوانات وينتهي الى قصر المشرحات في الجنوب متصل في زاويته الجنوبية الغربية بالسور الذي يحوط مدينة سر من رأى من جهة الشرق فيمتد السور الأخير من الزاوية المذكورة الى قصر بركوارا غربا ومن ثم الى جامع الملوية وهناك من الدلائل أيضاً على ان النهر القديم يتفرع من القاطول الاعلى وينتهي الى حصن القادسية اعيد حفره كما اعيد تنظيم مصدر مياهه في القاطول الاعلى على عهد المتوكل . وقد قام المتوكل بهذه الاعمال خلال الثلاث عشر سنة التي قضاها في سامراء قبل ان ينتقل الى المتوكلية .

ان من جملة الامور التي طلبت مديرية الآثار العراقية العامة الى الدكتور

هرتسفلد العلامة الالماني ، بيان رأيه فيها بموضع المشرحات ، وكان ذلك على اثر ماتشره الدكتور احمد سوسة حول اطلال المشرحات ، فاجاب بكتابه الى المديرية المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٩٤٧ بما يلي (ان القصر الذي وصفتموه ومعه البحيرة المنسقة كان اسمه المألوف اثناء وجودي هناك (المشرحات) ففي جهته الغربيـة مباشرة يتصل به جدار ينزل من الشمال ـ او الشمال الغربي قليلا ـ وهـذا الجدار ينتهي في البناية وفي ضفة الجدول العالية وهناك في الجهة الشمالية الشرقية تقع ضفاف القاطول الكسروي ايضاً التي تكون مع الجدار والجدول حدود ساحات الصيـد الواسعة التابعة لحائر الحير . لذلك اني اعتقد بأن بناء المشرحات انشيء خصوصاً لغرض الصيد ويظهر مما تقدم انه لم يكن فى وسع هرتسفلد تتبع آثار سور الحير كلها لانه لم يشير الى غير ضلع واحدة منها وهي الضلع الغربية ، ثم يشير الى نهر يسير بموازاة هذا الضلع ، وان هذا النهر هو نهر نيزك والذي ينتهي عند البركة الجعفرية التي امام المشرحات . ويتضح مما تقدم أيضاً ان هرتسفلد يؤيد بوجه عام ماذهب اليه الدكتور سوسه حول القصر والحديقة أي ان القصر متصل بسور الحديقة ، الا انه لم يتتبع تفاصيل الموضوع (١) .

---

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

الجسر العباسي
على نهر دجلة في سامراء

أنشأ المعتصم جسراً على مجرى نهر دجـلة أمام قصر الهاروني تماما ولا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربي من مجرى نهر دجـلة الحالي ، وقد نصبت مضخة على سقف احد الطوق الضخمة المتبقية من آثار الجسر والمضخة عائدة الى السيد حسين العابد وهو صاحب الاراضي الزراعية المجاورة (١)

وقد ورد ذكر الجسر المذكور في كتابات المؤرخين فى عدة مناسبات ، وممن أوردوا ذكره المسعودي فى كتابه (تاريخ مروج الذهب) فذكر ان المعتصم لما صمم على مقاتلة ملك الروم (عسكر غربي دجلة يوم الاثنين في ٢ جمادي الاول سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودي في الامصار بالنفير الخ ...) وقد أورد ابن المعتز ذكر الجسر في ديوان شعره قال :

سقى الاله سر من رأ القطـرا   والكرخ والخمس القرى والجسرا

وأشار الطبري الى الجسر ايضاً فقال في ذكر حوادث سنة ٢٥٠ هـ ان المغاربة تحركت يوم ٣ جمادي الاول من هذه السنة فاجتمعوا قرب الجسر بسامراء ثم تفرقوا في اليوم التالي (٢)

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٢ و ٧٤

(٢) تاريخ الطبري (٣ : ١٥١٥) مطبعة الاستقامة : القاهرة ١٩٣٩

وقد اشارت مس بيل الى بقايا هذا الجسر في كتابها (اموارت الى اموارت) فقالت انها عثرت عليها بطريق الصدفة أثناء عبورها نهر دجلة في القارب متجهة نحو قصر العاشق في الجانب الغربي من دجلة ، وقالت انهـا لاحظت هناك اناساً يقلعون احجار هذه البقايا ، وقد نقلت في هذا الصدد ما سمعته من الاهلين من ان هناك بقايا اخرى من نفس البناء تقع في وسط النهر وهي تظهر في موسم الصيهود أثناء هبوط مناسيب المياه في النهر ، وهذا ما يؤكده لنا اليوم الاهلون القاطنون على حافة النهر في هذه المنطقة . وقد استخلصت مس بيل من كلام اليعقوبي القائل ان المعتصم لما فرغ من بناء مدينة سامراء التي في الجانب الشرقي من دجلة عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة ان الجسر كان من الجسور العائمة . وقد بنت على ذلك رأيا هو ابعد ما يكون عن الواقع وهو ان الدعامات التي شاهدتها على الضفة الغربية من نهر دجلة قد تكون رقبة الجسر على ضفة النهر فتجري منها المياه في موسم الفيضان فقط على نمط بناء رقبتي جسر الموصل العائم القديم . اما قول اليعقوبي بان المعتصم عقد جسراً على نهر دجلة فمعناه انه بنى جسراً على شكل الجسور ذات العقود او الطيقان المألوفة .

العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

ذكر اليعقوبي في تاريخه (١) العمران على الجانب الغربي من نهر دجلة قال (لما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة وهو جانب سر من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي وحمل النخـل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي بسر من رأى وصلح النخل وثبتت الأشجار وزكت الثمار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل وزرع الناس اصناف الزرع والرياحين والبقول والرطاب ، وكانت الارض مستريحة الوف سنين فزكا كل ما غرس فيها وزرع بها حتى بلغت غلة العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقي وماعليه والايتاخي والعمرى والعبد الملكي ودالية بن حماد والمسروري وسيف والعربات المحدثة وهي خمس قرى ، والقرى السفلى وهي سبع قرى ، والاجنة والبساتين

(١) تاريخ البلدان لليعقوبي ص ٣٠

وخراج الزرع اربعمائة الف دينار فى السنة ، واقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض ، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الادهان ومن سائر البلدان من اهل كل مهنة وصناعة وانزلوا بعيالهم بهذه المواضع واقطعوا فيها ، وجعل هناك اسواقا لاهل المهن بالمدينة وبنى المعتصم العمارات قصوراً وصير في كل بستان قصراً فيه مجالس وبرك وميادين فحسنت العمارات ورغب وجوه الناس في ان يكون بها لهم ادنى ارض وتنافسوا في ذلك وبلغ الجريب من الارض مالا كبيراً ثم مات المعتصم سنة (٢٢٧ هـ) .

ويقول الدكتور احمد سوسة في كتابه « ري سامراء (١) » ولما أنشأ المعتصم مدينة (سر من رأى) واتسعت ابنيتها اتساعها كانت مياه الشرب تحمل من نهر دجلة الى المدينة على البغال وعلى الأبل ، ونظراً لأن الأراضي التي تقع فيها المدينة مرتفعة بالنسبة الى مستوى مياه النهر لذلك لم يكن هناك مجال لانشاء البساتين والمزارع بصورة واسعة حوالي المدينة ، ولا سيما وان الوسائط لرفع المياه لم تكن متوفرة بمقياس واسع فى ذلك الزمن .

ولما كانت الاراضي في الضفة الغربية من نهر دجلة منخفضة بالنسبة الى مستوي أراضي الضفة الشرقية التي تقع فيها مدينة « سر من رأى » لذا انتقل بعض السكان الى الجانب الغربي من دجلة فحفروا هناك جداول سيحية انشئت

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٩

عليها الجنائن والبساتين والمزارع والقرى . وكانت هذه الجداول تتفرع من نهر الاسحاقي الذي حفره المعتصم لارواء الاراضي الواقعة على الجانب الغربي من نهر دجلة ارواء سيحياً .

ونهر الاسحاقي هذا يستمد المياه من نهر دجلة في نقطة تقع جنوب تكريت بقليل فيجري من أمام مدينة (سر من رأى) بموازاة نهر دجلة من جهة الغرب ثم ينتهي في دجلة فى الحد الجنوبي لمدينة (سر من رأى) .



قبة الصليبية

تشتمل اطلال الصليبية على بناية مثمنة الشكل من اللبن الجصي تتوسطها قاعة مربعة يحيط بها رواق مثمن ، وقد اجمع الاخصائيون على انها كانت متوجة بقبة . وقد رسم هرتسفلد مخططاً مفصلا لهذه البناية كما انه رسم مقطعاً عرضياً للبناية .

ويظن البعض ان هذه البناية كانت ضريحاً لأحد الخلفاء ويرى آخرون انها كانت منظرة على رأس الجسر من الجهة الغربية وهي في نفس الوقت قبة الحراس نظراً لوقوعها أمام الجسر تماما ، ويرى هؤلاء أيضاً ان من المحتمل ان تكون البناية سميت بالصليبية لصب بعض الاشخاص على رأس الجسر بالقرب منها ، لاسيما أن التاريخ يذكر كثيراً من مثل هذه الحوادث حيث كان الصلب العلني مألوفا في ذلك العهد .

على اننا نميل الى الأخذ بالرأى الاول وهو ترجيح كون البناء ضريحاً لشخصية مهمة لأن البناء أشبه بقبب الاضرحة منه الى أي طراز آخر . ولابد من الاضافة في هذا الصدد الى ان البناء يقع فى أعلى نقطة من هذه المنطقة وهذا يتفق والعادة المتبعة باقامة المقابر على الاماكن المرتفعة (١)

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٩١ ، ٩٣ ، ٢٨٤

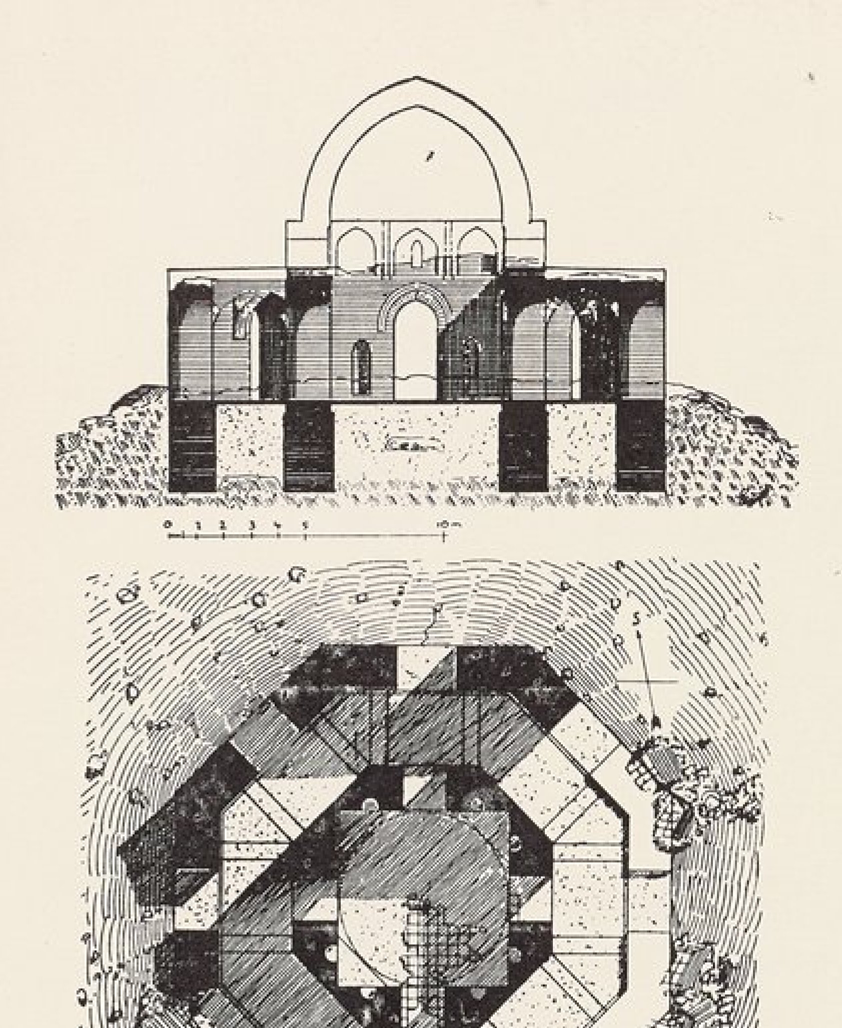
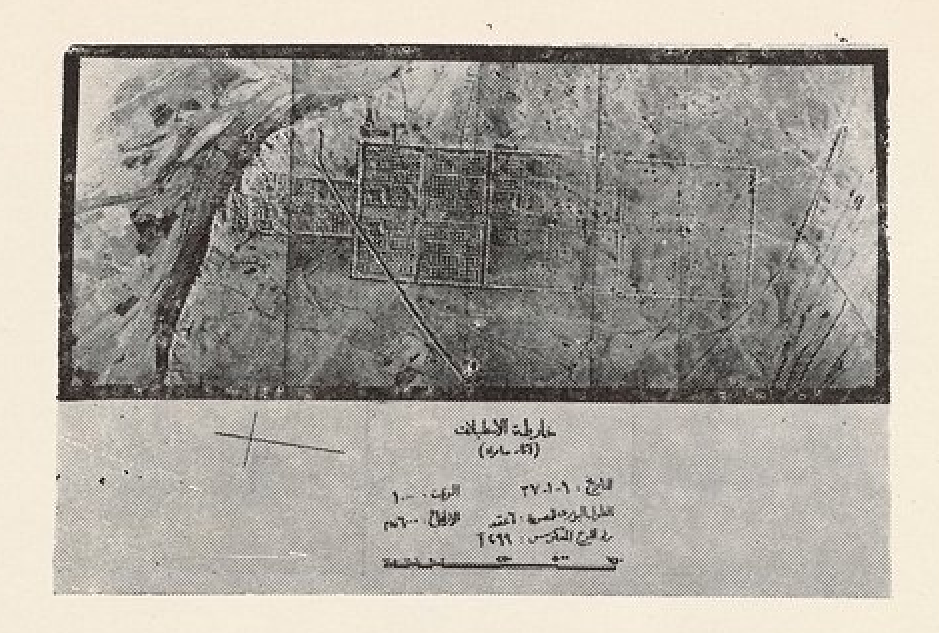


Abb. 6. Schnitt und Grundriß der Qubbat al-Ṣulaibiyyah

٣١ - مخطط قبة الصليبية حسب رأي هرتسفلد



٣٢ ـ منظر جوي لمعسكر الاصطبلات



٣٣ ـ سور معسكر الاصطبلات

ومما هو جدير بالذكر ان هرتسفلد يرى انه من المحتمل جداً ان تكون « قبة الصليبية » موضع قبر المنتصر الذي كان قد انشيء فى شهر ربيع الثاني من سنة ٢٤٨ هـ مستنداً الى ما ذكره الطبري من أن المنتصر (هو أول خليفة من بني العباس فيما قيل عرف قبره وذلك ان امه طلبت اظهار قبره ... واسم امه حبشية وهي أم ولد رومية (١) ويرى هرتسفلد أيضاً ان مقبرة المنتصر هذه كانت تضم ، علاوة على قبر المنتصر ، قبري المعتز والمهتدي مستنداً الى قول الطبري أيضاً من ان المعتز لما مات في سنة ٢٥٥ هـ (اشهد على موته بنوهاشم والقواد فدفن مع المعتز في ناحية قصر الصوامع (٢) و كذلك قوله من ان المهتدي محمد بن الواثق لما توفى في سنة ٢٥٦ هـ (صلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعده من اخوة امير المؤمنين ودفن في مقبرة المنتصر (٣) ومما حمل هرتسفلد على الوثوق من اعتقاده المذكور انه قام ببعض الحفريات في أرضية (القبة) فعثر على ثلاثة قبور اسلامية تحتها ، ويرى كريزويل انه اذا صح رأي هرتسفلد هذا امكن ان نعد (قبة الصليبية) من بين اقدم المقابر الاسلامية كما انه يرى ان القبة تعود الى عهد متأخر من عصر سامراء العباسي لأنها مبنية بنفس المادة التي بني بها (قصر العاشق) وهو القصر الذي انشيء على عهد المعتمد .

---

(١) الطبري (٣ : ١٤٩٨)

(٢) الطبري (٣ : ١٧١١)

(٣) (٣ : ١٨٢٣) مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٩٣٩

جسر حربى

يقع هذا الجسر على مجرى نهر دجيل على بعـد ٢٢ كيلومتراً من صدره وعلى مسافة حوالي ٩٠ كيلومتراً من شمال بغداد بالقرب من اطلال مدينة حربى وهو يقع بالجانب الغربى من سكة القطار الممتدة بين بغداد والموصل . وكان يقع سابقاً على الطريق العام بين بغداد وسامراء إلا أن الشارع غير اتجاه سنة ١٩٦٠م وقد أنشأ الجسر هذا الخليفة المستنصر بالله العباسي وقد انشيء على عرض مجرى النهر فى خط يمتد من الشمال الى الجنوب . وللقنطرة أربع فتحات يبلغ عرض كل من الفتحتين الجانبيتين ٥٠ر٥ متراً وعرض كل من الفتحتين الوسطيتين ٨٠ر٥ م وهناك ثلاث فتحات صغيرة بين الفتحات الاربع الكبيرة عرض كل منها ٥٠ر١ م فيبلغ بذلك مجموع عرض مجرى الماء من تحت القنطرة ٦٠ر٢٢ متراً اما مجموع طول الجسر فيبلغ ٥٤ متراً وعرضه ٨٠ر١١ متراً . وقد انشيء الجسر على طريقـة العقادات الرأسية العربية الطراز (Pointed arches) بالآجر المفخور . وتجري مياه نهر دجيل الشتوية فى الوقت الحاضر من تحت هذا الجسر . وكان قد انشيء جسر الى جانبه لعبور السيارات والناس لما كان الشارع العام يمر به وذلك بغيـة المحافظة على بقايا الجسر الأثرية . واهم ما في بقايا هذا الجسر الكتابة التي على

جبهتيه ، وهي تمتد على (١) طوله من اعلاه لمسافة مائة متر تقريباً . وهذه هي :

١ ـ الكتابة فى الجبهة الغربية :

(بسم الله الرحمن الرحيم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . أمر بانشاء هذه القنطرة المباركة تقربياً الى الله تعالى الذي لايضيع أجر من أحسن عملا وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي اعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا سيدنا ومولانا الامام إمام المسلمين ووارث الانبياء والمرسلين وخليفة رب العالمين وحجته البالغة على الخلق أجمعين) .

٢ ـ الكتابة في الجبهة الشرقية :

(الذي ايد الله تعالى باعزاز نصره الدين وافترض طاعته على الحاضرين والبادين (واختصه من جليل بما) يعجز عنه حصر العادين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في ارضه تمكن الوارثين ورفع مقدس اعماله الصالحات الى عليين ونشر بعدالته الزاهرة فى آفاق الارضين وأوضح للخلائق بولاية سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين بن الامام السعيد البر التقي أبى نصر محمد الظاهر بامر الله بن الامام السعيد الزكي الطاهر الوفي أبى العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكي أبي الحسن محمد المستضيء بامر الله أمير المؤمنين ووارث

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٩٥ و ٤٩٦

الخلفاء الراشدين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك في سنة تسع وعشرين وستمئة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه) .

لقد اختلف المؤرخون والكتاب في نقل هذه الكتابة ، فقد نقلها فيليكس جونس ونشرها في كتاب سجلات حكومة بومباي سنة (١٨٥٧ص٢٥٢ ـ ٢٥٦) كما نقلها الدكتور مصطفى جواد فنشرها في مجلة لغة العرب (مجلد ٨ ، ١٩٣٠ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣) ، ونقلها ايضاً السيد محمود شكري الآلوسي في مخطوط بحوزة الاستاذ كوركيس عواد ، واخيراً نقلتها دائرة الآثار فنشرتها عن جسر حربى المطبوعة في مطبعة الحكومة سنة ١٩٣٥ . وتختلف هذه النصوص بعضها عن بعض الأمر الذي حمل الدكتور احمد سوسة على الرجوع الى الصور الفوتغرافية المكبرة فنقله عنها النص المدون اعلاه ، وقد ساعده في تدقيقه الاستاذ كوركيس عواد .

معسكر الاصطبلات

تقع اطلال معسكر الاصطبلات في الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوبا (وتتألف من حيث الاساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير يبلغ طول ضلع المستطيل الصغير نحـــو خمسمائة متر وعرضه مائتين وخمسة عشر متراً كما يبلغ طول المستطيل الكبير ألفا وسبعمائة متر وعرضه خمسمائة وخمسين متراً وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بابراج والمستطيل الصغير مقسم الى سلسلة احواش منتظمة واما المستطيل الكبير فمقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تفصل بينهما اسوار شبيهة بالاسوار الخارجية وان المربع الشرقي من هذه الاقسام الثلاثة كامل البناء حيث يشاهد فيه شارعان رئيسيان عريضان يتقاطعان من منتصفيهما في اتجاه عمودي على جدران السور وعلى الشوارع الاربعة التي تمتد على طول الاسوار والمربعات الاربعـــة التي تتكون على أضلاع هذين الشارعين المتعامدين تنقسم بدورها الى اقسام عديدة بشوارع طويلة وعرضية كلها متعامدة او متوازية واما القسم الاوسط من المستطيل الكبير فقليل البناء واما القسم الغربي فمحروم من المباني فلا يرى فيه شيء غير خطوط الشوارع ومن الواضح ان الاصطبلات كانت معسكراً كبيراً مع دور للقواد وثكنـــة للجنود

وساحات للخيم) ومما يلفت النظر ان الاضلاع الجانبية للمستطيلين المذكورين تمتد في اتجاه الشمال الحقيقي تماما (١)

وكان يحيط بالمعسكر سور خارجي طويل يبدأ في الشمال من حافة نهر دجلة الغربية في المكان المعروف باسم (تل بندري) وهو التل الواقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من جنوب مدينة سامراء الحالية ، فيمتد الى مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غربي المعسكر ثم ينتهي جنوبا الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم (تل مسعود) الواقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من جنوب (تل بندري) وكان هذا السور محصناً بابراج عدة في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر ومن جملة هذه الابراج البرجان الواقعان في (تل بندري) و (تل مسعود) وقد أنشأ في أول السور وفي منتهاه في مكان اتصالها بحافة نهر دجلة .

اما مساحة أرض المعسكر بما فيها مساحة الثكنات التي في داخل السور ، وهي حوالي ٤٢٠ دونماً عراقياً ، (مشارة) فتبلغ ثمانية وخمسون كيلومتراً مربعاً (أي حوالي ٢٣٫٠٠٠ مشارة) .

وقد رسم الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) خارطة تبين حدود السور الخارجي للمعسكر وحدود الثكنات التي داخل السور وقد رسمت بعد تتبع آثارها وتدقيقها في مواقعها . ويشاهد في الخارطة المذكورة ان السور الخارجي بعد أن يترك (تل بندري) الى يمينه في الزاوية التي يشكلها من الخارج باتصاله

---

(١) ري سامراء جـ١ ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣

مع حافة نهر دجلة يسير جنوبا بانحراف قليل نحو الغرب مسافة (١٢٠٠ متراً) ومن ثم ينتطف نحو الغرب وبعد أن يسير نحو ٦٠٠ متر في الاتجاه الاخير يعرج الى الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في هذا الاتجاه زهاء ٧٠٠ متر مشكلا مثلثاً احدى ضلعيه المستطيلتين في الشمال والاخرى فى الجنوب وقاعدته تتكون من الفتحة التي في الشرق بين الضلعين المذكورتين . ويقترب مجرى الاسحاقي الذى تنحدر من الشمال من الزاوية التي في رأس المثلث ومن هنا يلازم السور فيسير بمحاذاته من الخارج حتى نهاية السور في الجهة الجنوبية الشرقية ويوجد في آخر الضلع الجنوبية للمثلث باب رئيسي بواجه (القبلة) فتشاهد آثار بناء هذا الباب وآثار قنطـرة العبور على نهر الاسحاقي الذى يسير بمحاذاة السور من الخارج وتشكل بقايا بناء الباب تلاً من انقاض الآجر والجص ، أما قنطرة العبور التي بجانب الباب غربافقد استخرج آجرها حتى اعمق نقطة من الاساس . ومن الباب يسير السور نحو الجنوب الشرقي بصورة متعرجة حتى اذا ما قطع مسافة ٦٠٠ ر٥ كيلومتراً على هذه الصورة وصل الى جوار الزاوية الجنوبية الغربية لحدود بناء الثكنات المستطيل فيصبح على بعد مائتي متر عن تلك الزاوية .

ويوجد في هذه النقطة من السور مدخل رئيسي للمعسكر والثكنات تقع عنده آثار برج كما تقع على جانبه من الخارج قنطرتا عبور على مجريي نهر الاسحاقي وفرعه اللذين يسيران بمحاذاة السور . وبهذا يشكل بناء الثكنات حاجـزاً مستطيلا يمتد على عرض المعسكر بين نهر دجلة والسور الخارجي للمعسكر هـذا باستثناء فتحة المائتي متر التي بين الركن الجنوبي الغربي للبنـاء والسور الخارجي للمعسكر ، ومن هنا يستمر السور في سيره الى الجنوب الشرقي على شكل شبه قوس

حتى اذا قطع مسافة ستة كيلومترات في هذا الاتجاه وصل الى ركن بارز ياخذ السور منه في اتجاهات هندسية مستقيمة في متعرجاته . فينعطف نحو الجنوب الشرقي فيسير مسافة ٧٠٠ ر ٢ كيلومتراً في اتجاه مستقيم ، ثم يميل الى الشرق فيسير فى اتجاه مستقيم هندسي أيضاً مسافة ٤٠٠ ر ٣ كيلومتراً في هذا الاتجاه ويقع على هذه الضلع الاخيرة مدخلان للمعسكر يشاهد الى جانبهما آثار ابراج لحماية المدخلين المذكورين في أوسع ساحاته بالنسبة الى المسافة التي تمتد عرضياً بين نهر دجلة والسور الخارجي ، حيث تبلغ هذه المسافة زهاء سبعة كيلومترات ، وفي نهاية الضلع الاخيرة يعرج السور الى الشمال بانحراف قليل الى الغرب راجعاً الى حافة نهر دجلة فيشكل زاوية قائمة داخلها آثار برج كبير ، فيسير في اتجاه مستقيم مسافة ٢٠٠ ر ٤ كيلومتراً وينتهي في حافة مجرى دجلة عند (تل مسعود) الواقع داخل الزاوية التي يشكلها السور باتصاله مع حافة نهر دجلة ويعترض السور في اتجاهه الاخير نهر دجيل الحالي فيقطعه على مسافة كيلومتر واحد من (تل مسعود) جنوبا كما يعترضه ايضاً خط سكة حديد بغداد ـ سامراء وطريق بغداد ـ سامراء العام فيقطعانه على بعد حوالي كيلومتر من نهر دجيل جنوبا .

ويتصل السور عند رأس الزاوية القائمة التي تشكلها الضلع الاخيرة المتجة نحو دجلة مع الضلع التي قبلها بجدار مرتفع يعرف بـ (عركوب المطبك) وهو جدار ضخم قديم مبني باللبن ومحصن بابراج ضخمة يرجع الى ما قبل عهد العرب ، فكان يبدأ من ضفة نهر دجلة الغربية من قرب امام الخضر الحالي ثم يمتد في الجهة الجنوبية الغربية نحو أرض الجزيرة التي بين دجلة والفرات .

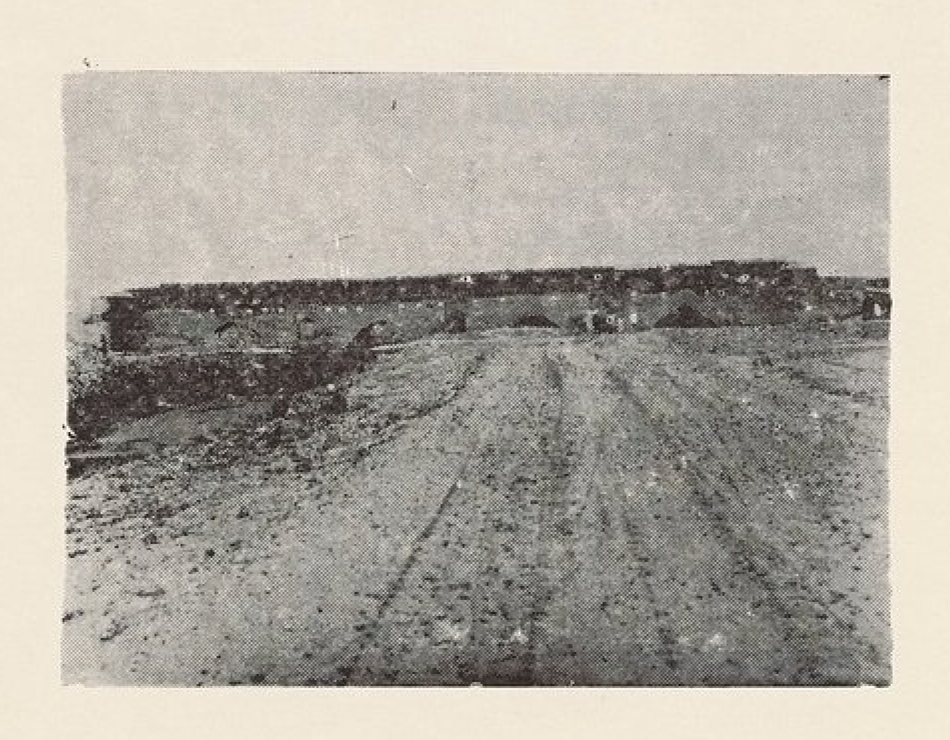
ويوجد خلف الجدار من الجهة الغربية خندق عمق يسير الى محاذاة الجدار



٣٤ـ برج القائم



٣٥ـ السور المادي



٣٦ - جسر حربی

ويظهر ان هذا الخندق كان يستمد المياه من ضفة نهر دجلة اليمنى فيؤلف حاجزاً مائياً خلف الجدار وقد ظن المؤرخون والكتاب الافرنج بان هذا الجدار هو (سور الميديين) الذي ورد ذكره في الكتب اليونانية القديمة .

وكان نهر الاسحاقي الذي انشأه المعتصم يأتي من الشمال فيسير بمحاذاة سور معسكر الاصطبلات غربا وجنوبا ثم بعد ان يقطع (جدار المطبك) وخندقه يسير شرقا حتى ينتهي في نهر دجيل القديم فيصب فيه . ونهر دجيل هو النهر القديم الذي يقع شرقي (جدار المطبك) والذي يسميه الاهلون (عركوب الفرحاتية) وكان يتفرع من ضفة دجلة الغربية شرقي (تل مسعود) فيسير في الجهة الجنوبية الشرقية في وسط الجزيرة التي بين دجلة والفرات حتى ينتهي في متخفض عقرقوف ولاحاطة السور بخندق من المياه من أطرافه كافة فتح في شماله فرع من الضفة اليسرى من نهر الاسحاقي في نقطة تقع مقابل (تل بندرى) فيسير خلف السور في قسمه الاعلى الذي يمتد ما بين نهر الاسحاقي ودجلة ثم ينصب في دجلة .

وهكذا احيط المعسكر بالمياه من كل اطرافه ، فنهرا دجلة ودجيل يحدانه من الشمال والشرق ، ونهر الاسحاقي يحده من الجنوب والغرب ، ويحده في أقصى الشمال الفرع الذي يمتد ما بين نهر الاسحاقي ونهر دجلة أمام (تل بندري) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان القدماء كانوا يحرصون الحرص كله على ان يجعلوا تحصيناتهم محاطة بحواجز من المياه على شكل خنادق عميقة تملأ بالمياه فيصعب عبورها بدون واسطة عبور او سباحة ، لذلك نجد ان أكثر الاسوار والجدران القديمة التي نشاهدها في مختلف انحاء العراق ، ولا سيما تلك التي ترجع الى ما قبل عهد العرب ، تحاذيها خنادق عميقة

لتحقيق هذا الغرض .

وكان نهر الاسحاقي عدا احاطته سور معسكر الاصطبلات بحاجز مائي يمون المعسكر بالمياه ، ولتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثة فروع رئيسيه تتفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر ثم يصب بعضها في نهر دجلة والبعض الآخر في نهر دجيل الواقع في الجنوب . فالفرع الاول وهو الفرع الشمالي كان يتفرع في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من جنوب شرقي المدخل الرئيسي للمعسكر وهو المدخل الواقع في القسم الشمالي من السور الخارجي فيخترق السور من تحته وبعد ان يمتد عرض المعسكر في القسم الواقع شمال غربي بناء الثكنات يصب في دجلة ويلي هذا الفرع الاوسط وهو الفرع الذي كان يتفرع من نهر الاسحاقي فى نقطة تقع على بعد ١٨٠٠ متر من جنوب شرقي صدر الفرع الشمالي ، فيخترق السور من تحته ثم يتجه الى جهة الثكنات فيدخلها من الناحية الشمالية وبعد ان يخترقها يصب في دجلة أيضاً وهناك ناظم خاص انشيء على نهـــر الاسحاقى فى جنوب فوهة هذا الفرع مباشرة لحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور .

ويشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات ، ولا تزال آثاره ظاهرة في جنوب مأخذ الفرع مباشرة ، وقد استخرج آجر البنـاء الى حد الاساس بحيث ظهرت معالم الاساسات بكل وضوح ، فغدت اشبه شيء بالحفائر الهندسية التي تحفر عادة قبل بناء اساسات الناظم وفي جنوب هذا الناظم على مسافة حوالي نصف كيلومتر من موضعه يتفرع الفرع الثالث وهو الفرع الجنوبي فيسير بين نهر الاسحاقي وبين سور المعسكر مسافة ٥٨٠٠ متر ثم يدخل المعسكر من تحت السور ايضاً الى خارج

المعسكر بالقرب من ملتقى السور بجدار المطبك فيخترق جدار المطبك وخندقه ثم يتجه نحو نهر دجيل القديم فيصب فيه على مسافة حوالي اربعة كيلومترات ونصف كيلومتر من مقدم مصب نهر الاسحاقي في نهر دجيل وهناك ناظم ثان انشيء على نهر الاسحاقي في جنوب مأخذ الفرع الجنوبي هذا مباشرة بحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور كما انشيء ناظم في فوهة هذا الفرع لتنظيم المياه التي تدخل اليه ويستدل من آثار الناظمين المذكورين ان الناظم الواقع على نهر الاسحاقي يتألف من فتحتين والناظم الواقع في فوهة الفرع من فتحة واحدة وقد انشئت على مسافة قصيرة جنوب فوهة هذا الفرع قنطرتان للعبور عند المدخل الى الثكنات احداهما على نهر الاسحاقي وهي ذات فتحتين والاخرى على الفرع وتشتمل على فتحة واحدة .

ومما يلفت النظر ان قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاحداث مراع اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، واما القسم المبني ضمن السور الداخلي فكان معداً لسكنى الجنود والضباط . وكان بعض اراضي المعسكر وخاصة القسم الجنوبي الشرقي الذي يشكل اوسع بقعة داخل المعسكر يفجر بالمياه من فروع نهر الاسحاقي المار ذكرها فيتكون بذلك المرعى المطلوب وهو ما نسميه « الجاير » وكانت هذه الطريقة متبعة في القطر العراقي منذ اقدم الازمنة وقد استمر استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسن قانون الري والسداد العراقي الذي يمنع احداث مثل هذه المراعي في الاراضي الزراعية واذا تصورنا وضع الجياد وهي ترعى رعي الاغنام في داخل سور المعسكر اتضحت لنا ضرورة تحقيق مشروع النهر الذي يفضي الى المعسكر لتأمين مياه الشرب لتلك الجياد فلا يضطر

الجنود الى نقل مياه الشرب اليها من نهر دجلة .

ولا بد ان نبحث عن تاريخ انشاء هذا المعسكر وعمن قام بانشائه ، وهل كان من عمل المعتصم أو من عمل المتوكل أو غيره من خلفاء سامراء ؟ .....
واذا رجعنا الى المدونات التاريخية فاننا لانجد فيها ما وصلنا الى أية معلومات صريحة في هذا الصدد لذلك كان لزاماً علينا ان نستند الى نتائج التتبعات العملية حول صلة المعسكر بالاعمال الاخرى في سامراء ولما كان مشروع نهر الاسحاقي اوثق دليل يستند اليه في التوصل الى معرفة العهد الذي انشيء فيه المعسكر وكان هذا المشروع (نهر الاسحاقي) قد انشيء في عهد المعتصم ايضاً بدليل ان فروع النهر كانت تفضي الى المعسكر .

والظاهر ان من اهم الاغراض التي كان نهر الاسحاقي يرمي الى تحقيقها اقامة نهر جار على محاذاة السور الخارجي للمعسكر لتقوية وسائل التحصين خلف السور وذلك بحسب القاعدة العسكرية التي كانت متبعة حينذاك واعني انشاء الخنادق خلف الاسوار واملائها بالمياه لتكون حواجز مائية تحول دون الوصول الى تلك الاسوار .

وعلينا ان نتسائل الان هل كان انشاء المعسكر اثناء اقامة المعتصم في القاطول اي اثناء شروعه في بناء عاصمته في القادسية التي تقع امام معسكر الاصطبلات في الجانب الايسر من دجلة أم انه كان بعد عدول المعتصم عن فكرة انشاء المدينة في القاطول وانتهائه الى موضع سامراء ؟؟ فاننا نرى ان المعتصم شرع في بناء هذا المعسكر اثناء مكوثه في القاطول وبعد ان انتقل الى موضع سامراء واتجهت نيته الى بناء العاصمة هناك ارتأى ضرورة الاستفادة من موضع هذا المعسكر المنعزل

فاضاف اليه سوره الخارجي كما انــه انشأ نهر الاسحاقي لتموينه بالمياه واحداث المراعي للجياد واحاطة السور بخندق للمياه وقد استدل الدكتور سوسة على ما تقدم وجود كهاريز وسط بناء الثكنات يستدل منها على ان المعتصم قبل ان يفتح نهر الاسحاقي كان قد استعان ببعض الكهاريز التي تستمد مياهها من الينابيع الواقعة في منطقة الجزيرة غربي المعسكر لايصال المياه الى داخل المعسكر .

ويرى السيد امير علي صاحب كتاب (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) أن المعتصم هو الذي شيد معسكر الاصطبلات ليستوعب جياد الجيش الامبراطوري وقد كان عددها (١٦٠) الف حصان والذي يلفت النظر ان المستر لاين صاحب كتاب (المسائل البابلية) يذهب الى ان آثار نهر الاسحاقي واطلال معسكر الاصطبلات وهنالك من بقايا ابنية قديمة في هذه المنطقة انما تعود الى العهد البابلي وانها كانت تحصينات تتصـــل بمشروع (سد نمرود) القديم ويضيف الى ذلك قوله انما ذكره المؤرخون العرب عن انشاء نهر الاسحاقي في عهد المعتصم غير صحيح ويورد مثالا لاخطاء الجغرافيين القدماء في وصفهم للجداول القديمة منها ماذكره ابن سرابيون من ان نهر دجيل كان يتفرع من نهر الفرات

ومن الغريب ان يرى هرتسفلد فى آثار الاصطبلات الرأي الذي أيده فى كتاب ارسله الى المؤلف بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ انه يحتمل ان تكون هذه الآثار من بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين مـــن العرب مستنداً فى رأيه هذا الى ما جاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهرية قام بها المتوكل بصحبة ولاة العهود من سامراء الى قصر العروس وفيما يلي ترجمـة كلامه هذا قال (اما اطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه

اذا استندنا الى المدونات التاريخية ولكن من المحتمل ان تكون بقايا قصر العروس الكبير فقد جاء في الاغاني (٩ : ٣٢) ان جماعة من المحتفلين انحروا من جسر سامراء نهراً حتى وصلوا الى هذا القصر الامر الذي يدل على ان القصر كان على الضفة الغربية وكان قد كلف انشاء هذا القصر مبلغاً كبيراً كما ذكره ياقوت (٣ : ١٧) لذلك يحتمل انه كان اوسع قصور سامراء)

اما وصف الاغاني الذي أشار اليه هرتسفلد فهذا نصه (اخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هرون قال : لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى ركبة لم ير احسن منها وولاة العهود بين يديه والاتراك بين ايديهم اولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب في ايديهم الطبرزينات المحلاة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس واذن للناس فدخلوا اليه فلما تكاملوا بين يديه مثل ابراهيم بن العباس بين الصفين فاستأذن في الانشاد فاذن له فقال :

ولما بدا جعفر في الخميس   بين المطل وبين العروس

فيتضح من النص المذكور انه ليس فيه اية اشارة او دليل على ان قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة او انه كان جنوبي سر من رأى او شماليها ولا ندري كيف توصل هرتسفلد الى الرأي الذى تقدم ذكره فى حين ان كل ما في الاصطبلات من الآثار ينطبق بكونها ثكنات للجيش وقـد يكون فى التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم اي الاصطبلات كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

السور المادي

جاء فى كتاب المرشد الى مواطن الآثار والحضارة للاستاذين طه باقر وفؤاد سفر ما نصه « بمسافة ٩٠ كيلومتر عن الكاظمية يشق الطريق الى سامراء بقايا سور من اللبن عرف باسم (السور المادي) ويلاحظ في هذا الموضع انه مكون من جدار ثخنه ٥٠/١ م والباقي من ارتفاعه نحو ٤ ـ ٥ م وهو من اللبن المربع الكبير بمعدل ٢٩ × ٢٩ × ١١ سم . ومدعم بابراج نصف دائرية من الشمال ويرى احدها بالقرب من يسار الطريق . وهناك خندق محفور بمحاذاة الوجه الشمالي ولا يعلم بالضبط تاريخ هذا الجدار والغاية من تشييده فهو يبدأ من دجلة الى الشمال من بلد قاطعاً ما بين النهرين الى الصقلاوية على الفرات بالقرب من الفلوجة .

والشائع ان نبوخذنصر الملك البابلي (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق م) قد شيده للدفاع عن مملكة بابل ازاء الماديين ومن هنا جاء اسمه اي السور المادي كما ذكره مؤرخون اغريق ورومان منهم هيرودوتس (القرن الخامس ق م) . وزينفون (٤٠١ ق.م) وديودورس الصقلي (منتصف القرن الاول ق.م) ويجوز تفسير وظيفته ايضاً بانه حد فاصل بين بلاد بابل وبلاد آشور التي صارت تابعة للماديين بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م .

وقد ذكر الجغرافي اليوناني الشهير (اراستينس) ـ القرن الثالث قبل الميلاد ـ على ما روى سترابو في جغرافيته ان الملكة سميراميس بنت جدار في موضع يكون فيه بعد الفرات عن دجلة ٢٠٠ ستاديا . والستادبوم وحدة قياس يونانية تساوي ١٨٥ م . ومما لا شك فيه انه كان يقصد الجدار الذي ذكره زينفون بالجدار المادي .

أما الدكتور احمد سوسة فقد ذكر في كتابه (ري سامراء) حول هذا ما ينافي ما تقدم حيث قال (ومما يدل على ان الاقدمين كانوا يعلقون على مشروع سد نمرود أهمية كبرى أنهم أقاموا في جواره تحصينات عسكرية ضخمة لصد هجمات الاعداء والحيلولة دون وقوع هذا الموضع الستراتيجي الحيوي بايدي العدو . ومازالت هذه التحصينات ماثلة للعيان ، فهي تتألف من جدار ضخم من اللبن مدعم بدعامات كبيرة .

ومما يلفت النظر ان اللبن المستعمل في البناء يبلغ من الحجم بحيث يضاهي اكبر أنواع الآجر البابلي القديم ، وليس في هذه المنطقة ما يساوي حجمه غير اللبن المستعمل في بناء حصن القادسية الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من موضع سد نمرود وأبنية الحصون الفارسية القديمة .

أما الجدار فيبدأ من الضفة اليمنى من نهر دجلة في نقطة تقع في جوار موضع سد نمرود من جهة الغرب فيمتد غربا مخترقا الأراضي السهلة الواقعة على الجانب الغربي من دجلة وبعد أن يسير مسافة حوالي عشرة كيلومترات في هذا الاتجاه ينتهي الى حدود الأراضي الصحراوية المرتفعة . ويعرف هذا الجدار اليوم باسم (عرقوب المطبق) ويمكن المرء ان يتتبع آثاره بين (إمام الخضر) وحدود

الصحراء المرتفعة بكل سهولة نظراً لضخامته وارتفاعه . وتشاهد في نهاية الجدار آثار بناء مربع يبلغ طول ضلعه زهاء ثلاثين متراً ، وفي كل من الاركان الاربعة لهذا البناء برج ضخم ينظر منه الى مسافات بعيدة من جميع أطراف الصحراء المجاورة كما تشاهد آثار خندق عميق يسير الى محاذاة الجدار شمالا وقد انشيء هذا الخندق وفق الطريقة التي كان يتبعها الاقدمون في انشاء تحصيناتهم العسكرية وكان الخندق المذكور يستمد مياهه من نهر دجلة من أمام سد نمرود (١)

ومما لا شك فيه أن للجدار المذكور صلة مباشرة بالسد الذي كان قد أقيم على مجرى دجلة في هذا الموضع ، أي موضع سد نمرود على ان الكثير من الكتاب والمحقيقين الآثاريين قد توهموا فظنوا ان هذا الجدار كان يمتد في الصحراء الواقعة بين نهر دجلة والفرات ، فيبدأ من ضفة دجلة اليمنى وينتهي الى ضفة الفرات اليسرى وان السور التاريخي المشهور المعروف باسم « سور الميديين » وهو السور الذي أشار اليه زينفون في كتابه عن حملة العشرة آلاف المشهورة ونعني بذلك الحملة التي نظمها كورش الصغير في اليونان في سنة ٤٠١ قبل الميلاد ووجهها ضد أخيه ارتاكيس للاستيلاء على عرش المملكة الفارسية في بابل و (سور الميديين) وهو الاسم الذي اطلقه المؤرخون والباحثون على التحصينات التي كان قد أقامها البابليون لاستخدامها في الدفاع عن مملكتهم وصد عادية المديديين عنهم .

وقد وصف المستر جيزني رئيس البعثة البريطانية التي قامت بمسح نهري دجلة والفرات بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٧ الجدار في قسمه الواقع قرب نهر

---

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧

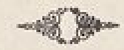
دجلة فقال ان ارتفاعه يتراوح من ٣٥ الى ٤٠ قدماً وان هناك أبراجا كثيرة على جهته الشمالية تقع على بعد مسافات متقاربة ، ثم ذكر ان هناك آثاراً لخندق عرضه ٢٧ متراً تقريباً بنيت اطرافه بالحصى والنورة يقع في الجهة الشمالية من الجدار ويسمى باسم (الجالي) وقد ذهب المستر جيزني الى ان هذا الجدار يمتد الى نهر الفرات مستنداً بذلك الى كتابات المستر فيتز جيمس (fitz James)

والدكتور روس (Dr . Ross) والملازم لنج (tI lynch) الذين سبقوه في ابداء هذا الرأي المبني على الحدس دون ان يتبعوا آثار الجدار وسط الجزيرة .

ويتضح مما تقدم ان ماذهب اليه هذا الفريق من ان السور يمتد الى نهر الفرات لم يكن الا استنتاجا وهمياً مستنداً الى آثار الجدار القديم بالقرب من دجلة من جهة وكتابات الاغريق التي نوهت بوقوع سد الميديين بالقرب من نهر الفرات من الجهة الاخرى وقد خالف بعض الخبراء الرأي المذكور فرأى هؤلاء ان الجدار الذي تقدم وصفه جدار مستقل يتصل بمشروع سد نمرود ولا علاقة له بسور الميديين الذي ينبغي التحري عنه في مكان آخر . وقد اطلق هذا الفريق على الجدار اسم (سور سيميراميس) لتمييزه عن سور الميديين الذي كان يقع في الجنوب ، وكان ويليم ويلكوكس من مؤيدي الرأي الاخير فكتب قائلا :

« ويشاهد اليوم في الجانب الايسر أن نهر دجلة في المكان (أي مكان سد نمرود) حصن مهيب (ويقصد بذلك حصن القادسية) وعلى الجانب الاخر سور سيميراميس) الذي يسمى في بعض الخرائط خطأ سور الميديين وكانت تصون

هذه المباني جناحي سد نمرود » وكان يرى ويلكوكس ان سور الميديين كان يمتد بين الفرات ودجلة فيبدأ من قرب صدر نهر الصقلاوية الحالي فيسير نحـو عقرقوف ثم ينتهي الى دجلة جنوبي بغداد ، وكان هذا السور يحمي البابليين من غارات الآشوريين كما كان يحميهم من عدوان الميديين في العهد الذي سبق العصر الفارسي .



المراجع

١ ـ بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد

٢ ـ ري سامراء في عهد الخلافة العباسية للدكتور احمد سوسة

٣ ـ سامراء من منشورات مديرية الآثار العامة

٤ ـ معجم البلدان ياقوت الحموي

٥ ـ مروج الذهب للمسعودى

٦ ـ الفن الاسلامي محاضرات كتبت بآلة الطابعة للدكتور زكي محمد حسن

٧ ـ تاريخ الطبرى للطبرى

٨ ـ نزهة القلوب المستوفي

٩ ـ تاريخ الدولة العباسية محمد الخضرى

١٠ ـ تاريخ الاسلامي السياسي الدكتور حسن ابراهيم حسن

١١ الكامل فى التاريخ لابن الأثير

١٢ ـ تاريخ العرب فيليب حتى

١٣ ـ الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني

١٤ ـ الديارات — للشابشتي
١٥ ـ الرافدان — سيتون لويد ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس
١٦ ـ مجلة المقتطف
١٧ ـ مجلة عالم الغد
١٨ ـ مجلة سامراء
١٩ ـ مجلة صوت الاسلام
٢٠ ـ مفصل جغرافية العراق — طه الهاشمي
٢١ ـ مأساة هندسية اوالنهرالمجهول — الدكتور احمد سوسة
٢٢ ـ مجلة سومر
٢٣ ـ مجلة العراق الجديد
٢٤ ـ مجلة بغداد
٢٥ ـ آثار البلاد واخبار العباد — للقزويني
٢٦ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — للمقدسي
٢٧ ـ آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع — للحصري
٢٨ ـ دائرة معارف البستاني
٢٩ ـ البلدان — لليعقوبى
٣٠ ـ فتوح البلدان — للبلاذرى

محتويات الكتاب

كلمة الختام

انتهي من طبع الجزء الاول من (تاريخ مدينة سامراء) وانا اعترف بان خير كتاب انتفعت به من المصادر الحديثة هو كتاب (ري سامراء) للدكتور احمد سوسة ، الذي يعتبر موسوعة عربية عن ري العراق وغيره وانا لا انكر بان معظم مادة كتابي مستقاة منه كما اني لا أنسى فضل الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني باخراج الكتاب واخص بالذكر منهم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني والاستاذ مير بصري والدكتور فوزي رشيد والاستاذ ميخائيل عواد والاستاذ حكمت توماشي والاستاذ بهنام ابو الصوف وجعفر الحسيني وغيرهم لا مجال لذكرهم داعياً المولى ان يوفقهم لكل خير آمين .

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى والفهارس تكون بالجزء الثالث

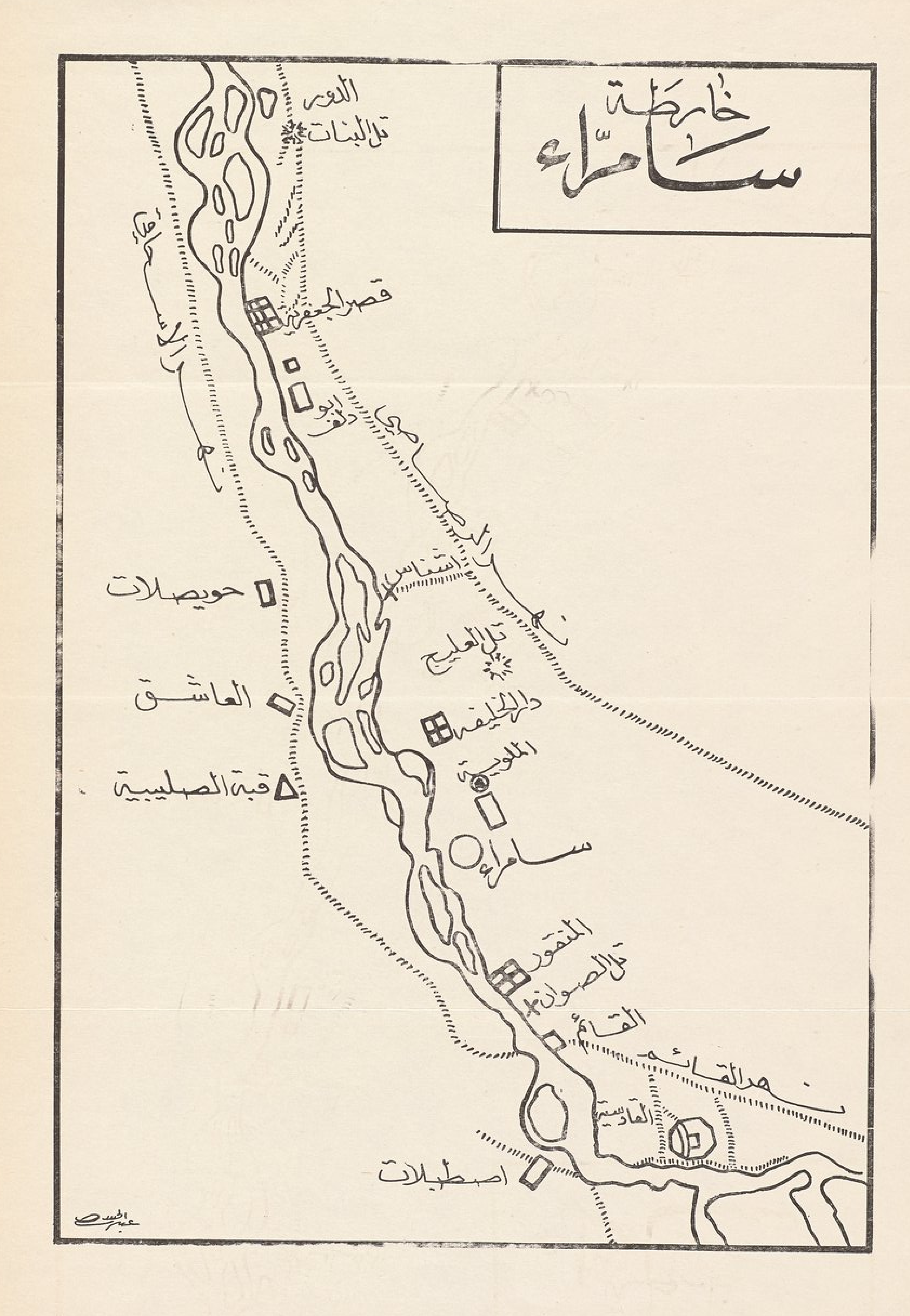
تم طبع الكتاب في مطبعة دار البصري ١ / ١٠٠٠

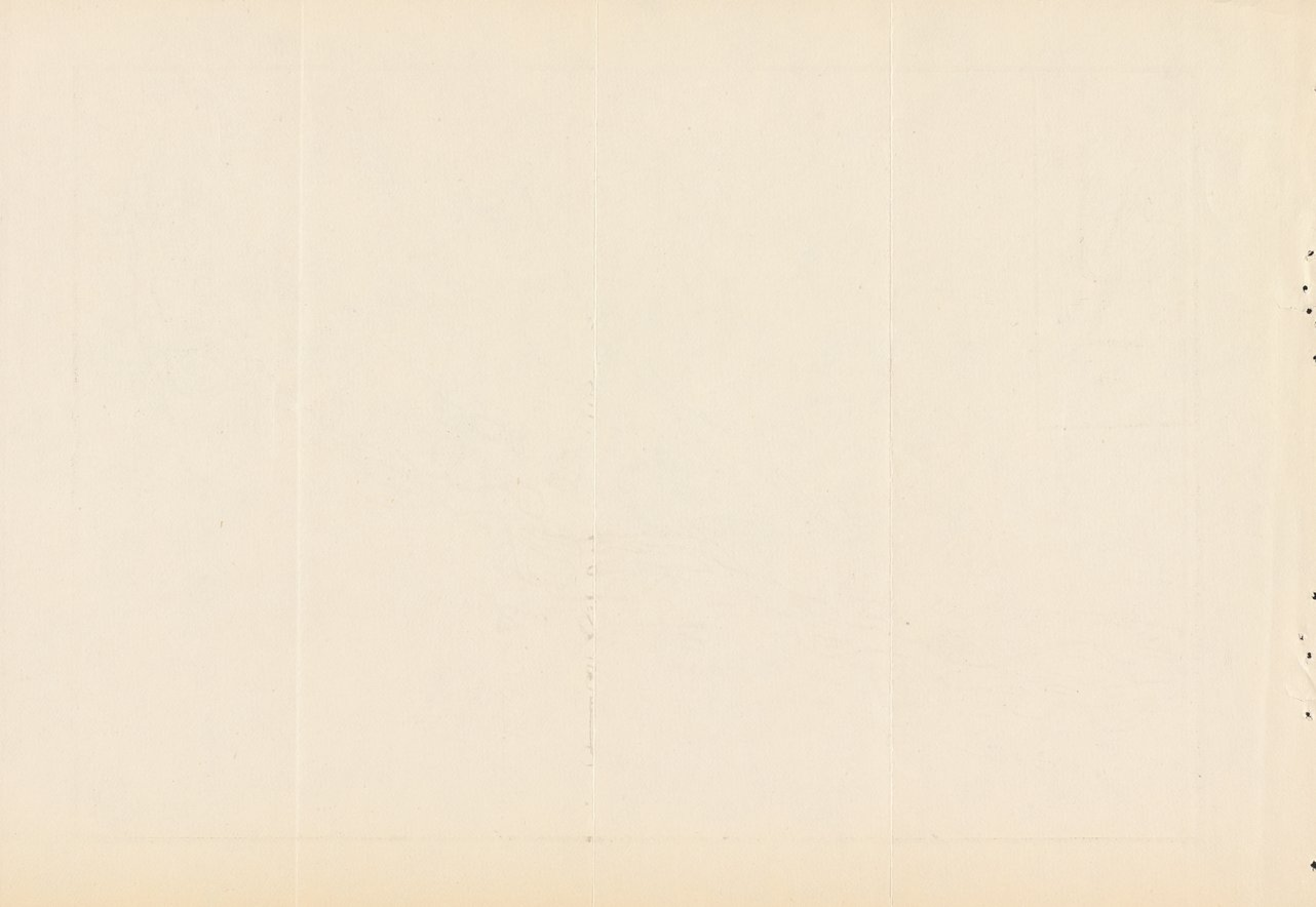
٤/ صفر /١٣٨٨ ـ ١ / ٥ / ١٩٦٨

﴿ تاريخ سامراء ﴾

﴿ عواطف الاخ الشاعر السيد أنور عبد الحميد السامرائي ﴾

أحسنت في تأليف (سامراء)	(يا يونس) العزة والاباء
ياثاقب الفكـــر الذي شأوه	قد فاق من علم مدى الفضاء
ومبـــدع الآيات في نثره	وكاشف الاسرار للاحياء
ألفت (سامراء) في حكمة	مفاده من خالق السماء
أزلت عن تاريخها ستره	حتى بدا كناصع الضياء
تبهج أرواح الورى بالذى	كان به من خالد العلاء
ويمنح الأنفس أعطـــاره	فتنتشي من فضله المعطاء
خلدت (سامراء) في روعة	كتابك الفائح بالاشذاء
آنا به تختال (ملوية)	بما جنت منه من الثناء
والبركة الحسنـاء مواجـــة	تزهو على كواكب الاجواء
وكل ما فيها من القصور والآ	يات والمفاخـــر الشماء
لتفتخر مكتبتي فيه يا	(يونس) يا كاتب (سامراء)


خارطة
سامرّاء
الدور
تل البنات
قصر الجعفري
ابو دلف
اشناس
حويصلات
تل العليج
العاشق
دار الخليفة
الملوية
قبة الصليبية
سامراء
المنقور
تل الصوان
القائم
نهر القائم
القادسية
اصطبلات



فهارس الصور

Schaich Junis hat uns in den Seiten dieses Buches die Berschreibung der stadt und ihre ursprunglicheGeschichte vorgelegt. Ausserdem unterrichete er unsüber ihre Dekorationen während der Regierungszeiten von al – Mu'tasim und al –Mutawakkel und u¨ber ihre unbedeutende Rolle in den späteren perioden .

kein anderer Verfasser konnte einen plan fur eine solche Untersuch - ung darstellen, besonders was den Anteil der osmanischen und der letzten perioden anbetrifft .

Besondere Beachtung wirb in der Bearbeitnng den sozialen, wirtsch - aftlichen und kulturellen Seiten durch die verchiedenen perioden ihrer Geschichte .

Ferner zog er die Chroniken und nie Biographien in Betracht .
Diese Untersuchung von: schaich Junis al - Samarra ' i wird den je - nigen angeboten, die besonders an der Geschichte dirses wichtigen Isla - mischen zentrums iteresiert sind .

Bagdad 1 / 5 / 1968
Dr. Fauzi Rashid

Die Geschite von Samarra

130 Km nördlich von Baghdad liegt Samarra . Es nahm nach Baghdad für mehr als die Ha¨lfte eines Jahrhunderts die Stelle als Residenzstadt des abbasidischen kalifats ein . Heutzutage ist Samarra eine kleine stadt inerhalb des Baghdad - Liwa und liegt am linken per Udes Tigris .

Im Jahre 221 n . H (= 836 n. c.) gru¨ndete der abbasidische kalif al - Mu' tasim der sohn von Harun al - Raschid die stadt samarra . Sie liegt auf den Ruien einer stadt, die mit dam Namen " Surre - man - Ra ' a " benannt war .

Nach der Gündung bewöhnte der kalif al - Mu' tasim die neue stadt und es folgen ihm in der Bewo¨hnung von Samarra acht kalifen dis zur Regierungszeit von al - Mu' tamid, der wieder Baghdad zu Residenzstadt machte .

Die heuting Geschichte unseres Landes beruht grundsätzlich auf der alten geschichte von Samarra und den Regierungszeiten der jenigen kalifen die von dort aus die Islamische Welt regiert haben .

Viele Mu¨he kostete den Verfasser die Bearbeitung dieses Buches . Seine historischen Quellen bestehen hauptsa¨chlich aus den Klassischen arabischen Werken wie der Geschichte des al – Tabari , Ibn tel - Atier , Ibn Ja'qub, al – Mas'udi, al – Schabuschti usw . Ferner gebrauchte er in seiner untersuchung ausländische literatur wie Herzfeld und Guy le strange usw . Das vorliegende Buch ist das Ergebnis einer Untersuchung, die neun Jahre daurte und es bildet eine Zusammenfassung aller perioden der Islamischen Geschichte .

que l ' etude des mouvements politiques et religieux et des developpements sociaux economiques et cultureles . Des chroniques et des biographies in - edites son publiees pour la premiere fois .

Sheikh Yunis Al - Samarrai merite tous nos eloges pour son oeuvre savante , et nous ne doutons pas que les lecteurs y puiseront un fonds d , information interessante .

Bagdad 1 / 5 / 1968

Meer Basri

Histoire de Samarra

Samarra ancienne Cite des Califes Abbassides ' qui a supplante Bagdad Comme siege du Califat islamique pour une periode de plus de Cinquante ans , est a present une bourgade sur la rive gauche du Tigre , a une distance de 130 kilometres au nord de Bagdad . C' est un arrondissement de la province de Bagdad meme , dependant de l' administratien de songoverneur .

La ville fut fondee par le Calife Abbasside Al - Mu' tasim, fils du celebre Haroun Al - Rachid, en l ' an 221 de l ' Hegire, 836 de l ' ere chretienne, sur les ruines d ' une Cite antique nommee surra - Man - Ra'a . Al Mu ' tasim en fit sa capital , et , ainsi , la ville de Samarra vit se succeder sur le trone huit Califes , dont le dernier , Al - Mu ' tmaid retourna a Bagdad .

La presente Histoire traite des annales de samarra depuis ses debuts les plus recules et les regnes des Califes qui ont gouverne de ses palais splendides , le mond de l ' Islam .

L'auteur Sheikh Yunis Al - Samarrai, a prepare son oeuvre avec soin, se basant sur les sources classiques arabes , telles Histoires d ' Al - Tabari, Ibn Al - Athir , Al - Yaqubi , Al - Massoudi , Al - Shabushti, etc ., ainsi que les oeuvres des erudi ts europeens tels que Hertzfild , Guy Lestrange et autres . Il a presente les resultats de ses recherches laborieuses de plus des dix annees dans ce volume qui relate les peregrinations d ' une ville depuis son origine et les suplendeures des Califes Al - Mu ' tasim et Al - Mutawakkil Jusqu 'aux temps presents . Les renseignements relatifs aux periode Ottomanes recentes son d ' une importance speciale , ainsi

the peregrinations of thiscity,its origins its splendours during the reigns of Al. Mu ' tasim and Al. Mutawakkill, and its modest destiny in modern ages.

No other writer has been able to collect such a wide body of informations on Samarra,especially during the Ottoman and later periods,

Special care has been devoted to the study of political and religious movements,as well as social, economical and cultural developments during the centuries and many unknown biographies and chronicles have been elucidated.

Sheikh Yunis Al. Samarrai 's scholarly work is therefore recommended to all lovers of history and readers interested in the annals of an important Islamic Centre.

Baghdad 1/5/1968
Yusuf Yacub Miskony.

HISTORY OF SAMARRA

Samarra , the old city of the Abbasside Caliphs which suppla - nted Baghdad as the seat of the Caliphate for more than half a century is now a small town on the left bank of the Tigris River at a distance of 130 kilometres to the north of Baghdad . a sub - district in the province of Baghdad, it depends administratively of the Governor of Baghdad .

The town was founded by the Abbasside Caliph Al-Mu' tasim, son of the famous Haroun Al - Rashid ; in the year 221 A . H ., 836A.D .,on the ruins of an old city known as Surra - Man Ra'a. Al - Mu' tasim moved his capital to the new city, and it rema - ined the seat of eight Caliphs who succeeded him on the throne , until , finally Al . Mu ' tamid returned to Baghdad .

The present history deals with the annals of Samarra from anc. ient times and registers the reigns of the Abbasside Caliphs who governed the Islamic world from its precincts .

The author took great pains in preparing this book, relying on classical Arabic sources , e . g . the histories of Tabari , Ibn Al - Athir , Al - Yaqubi , Al . Mas'udi ' Al . Shabushti , etc . , as well as foreign books on the subject, e . g Hertzfeld , Gug Le strange , etc .His work is the result of ten years research wich covered pr - actically the whole history of Islam .

Sheikh Yunis Al - Samarrai has presented to us in these pages



المؤلف في سطور



* ولد سنة ١٩٣٤ م
* دخل المدرسة الابتدائية وتخرج منها عام ١٩٤٧
* دخل المدرسة العلمية الدينية في سامراء وتخرج منها عام ١٩٥٨ ودرس على كبار علمائها وحصل على الشهادة الدينية .
* عين امام وخطيب في جامع القلعة بسامراء عام ١٩٥٨ .
* اصدر اول مجلة في مدينة سامراء باسم (سامراء) عام ١٩٦٣ .
* اصدر مجلة اخرى في بغداد باسم (صوت الاسلام) عام ١٩٦٤
* انتقل الى بغداد حيث عين اماماً وخطيباً في جامع السامرائي في بغداد الجديدة عام ١٩٦٤.
* عين واعظ في بغداد الجديدة عام ١٩٦٦ .

للمؤلف عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة .

HISTORY OF SAMARRA CITY

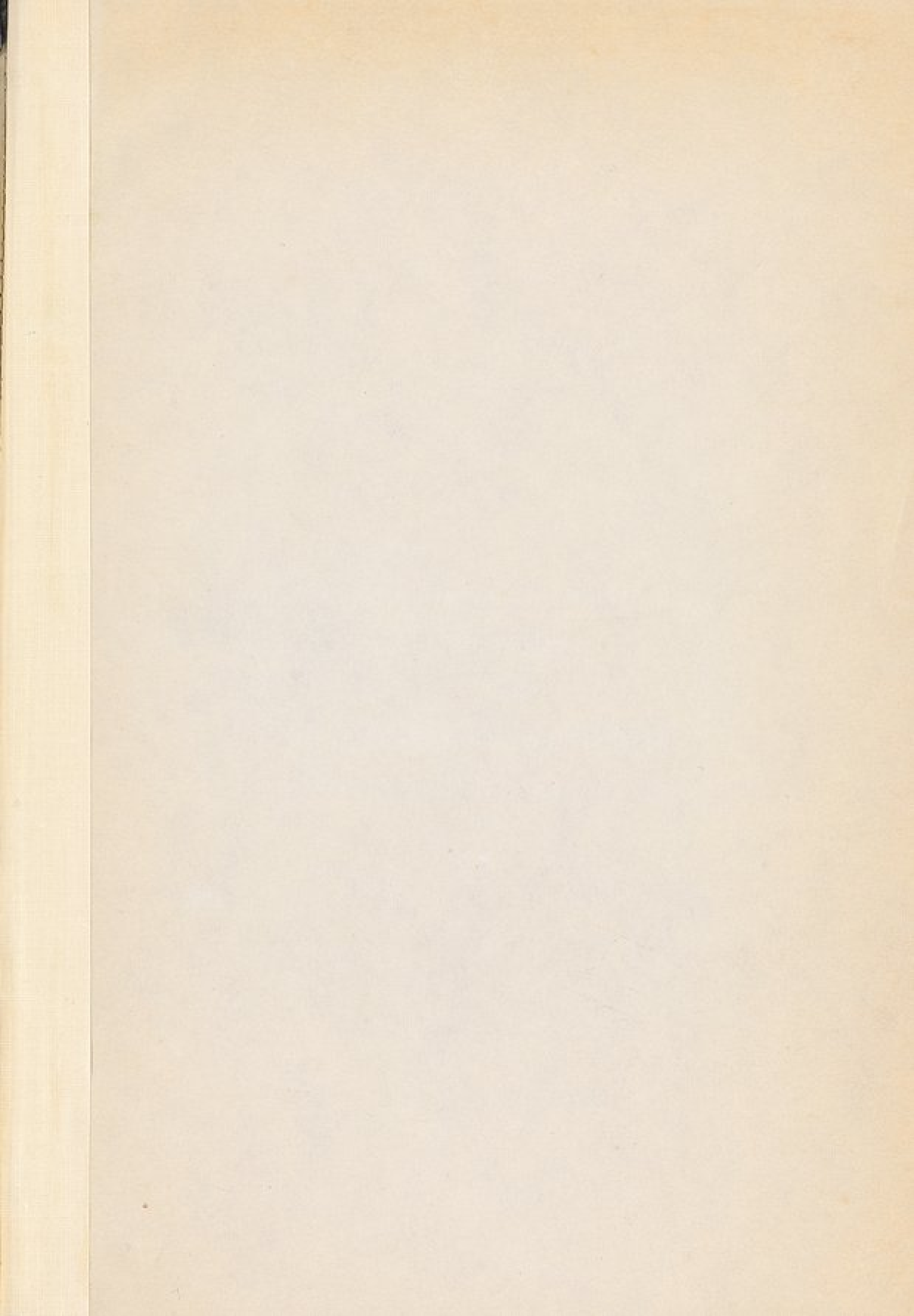
BY

Sheikh Yunis AL - Samarra - i

1388 .H - 1968

Price : One dinar

مطبعة دار البصري ـ بغداد تلفون ٨٩٢٧٩




Princeton University Library
32101 074323070